محاضرات

في الثقافة الإسلامية

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

من منشورات

مديرية الإفتاء في القوات المسلحة الأردنية

محاضرات في

الثقافة الإسلامية

الطبعة الثالثة

مزيدة ومنقحة

من منشورات

مديرية الافتاء في القوات المسلحة الاردنية

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيماً لينـذر بأسـاً شـديداً مـن لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبدا﴾(١)

وصلى الله على سيدنا محمد الذي عرفنا على الله فكانت تلك المعرفة سبيل المجد في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة. وعلى آله وصحبه الذين نشروا من بعده رسالته ولقنوها للاجيال فجزاهم الله عنا خيراً.

وبعد.. فان امتنا وهي تكافح اليوم من أجل غد مشرق عزيز - إن شاء الله - تدرك الآن ان ذلك الغد لن يكون الا على قواعد الامس الماجد، وما كانت تلك القواعد الا قواعد الاسلام الحنيف.

ان كل واحد في الامة اصبح الآن يشعر ان الامة وصلت الى مرحلة خطيرة من الضعف لا تخفى على أحد، واصبحت مهددة في عقيدتها ومقدساتها وديارها، واصبح كل واحد يشعر ان عليه ان يؤدي دوره في النهوض بالامة، وهو اذ يفكر في ذلك يرى أنه على مفترق طرق، اما ان يسير في طريق يقطع صلته بماضيه، ويلحقه نهائياً بالامة التي شقت تلك الطريق، مع ما فيها من جاهلية وأشواك، تتيه فيها وتشكو منها تلك الامم ذاتها، واما ان يسير في طريق يربط حاضره بماضيه ويجعله خير خلف لاكرم سلف، وهو طريق واضح المعالم، أوّله سعادة في الدنيا، وآخره جنة في جوار الله واكرم به من جوار، وبهذا تبقى لأمتنا شخصيتها المستقلة عن سائر الامم، وهي شخصية قيادية تدعو الناس كل الناس الى ان يحطوا رحالهم في رحاب الله الواسعة ليذوقوا طعم الراحة بعد ان اضناهم التعب.

وكل عاقل يقارن بين الطريقين لابد ان يقرر فوراً السير على الطريق الثانية، غير ان اعداء الامة الغادرين وهم يضللونها ويدعونها لتكون تبعاً لهم كانوا يدركون ان هذه الامة ستأبى على نفسها التبعية، وستحاول مهما طال الامد ان تنفض يدها من هذه القيود وتعود الى سبيلها القويم وحمل رسالتها الخالدة،ولتصعب تلك العودة الى الاسلام الحنيف حاول اعداء الامة تعمية الطريق واخفاء معالمها، ولكن هيهات ﴿يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (٢) فمعالم الطريق واضحة ولا تزال طائفة من هذه الامة ظاهرة على الحق لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله.

---

(١) الكهف : ١ - ٣ ، (٢) التوبة : ٣٢.

نعم لقد وجدت جفوة بين الاسلام وبين ابنائه. ولم تعد صورته واضحة في اذهان البعض، ولكن حملة الشريعة على استعداد دائم ان يوضحوا السبيل ويجلوا الصورة المشرقة لهذا الدين العظيم بإذن الله.

ونحن بهذه المحاضرات نحاول ان نرسم صورة مجملة للاسلام ونظهره - كما هو - نظاماً للحياة يربط الارض بالسماء، ويمزج المادة بالروح، فلا هو انعزال في الصوامع، ولا تهالك على الدنيا بل كما قال الله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (١) نظام يظهر فيه بصورة جلية.

ان الذي انزله يعلم الامس واليوم والغد، ويعلم الطبيعة البشرية على حقيقتها، فرسم لها نظاماً لا يصلح ليوم دون يوم، ولا لارض دون ارض، بل يسعد الناس في كل زمان، ويوجههم الى الخير في كل مكان، انه دين الحياة ما دامت الحياة.

والصورة التي نرسمها تختلف عن تلك التي رسمها في ذهن بعضنا اعداء الاسلام، اعداء هذه الامة، لقد رسموا له صورة مشوهة بتراء، اظهروه على انه عبادة فقط، واتكال على الاقدار مع ترك العمل، ولكن انى للشمس ان يحجبها جناح الغراب.

نرسم صورة للاسلام صادقة يعشقها أبناؤه، من أجل ان يستبسلوا في الدفاع عن إسلامهم، ويسترخصوا الارواح والجهود في سبيل ذلك، وليصنعوا على ضوئه غدا النصر والظفر إن شاء الله تعالى.

ان ديناً اخرج آباءنا من جزيرة العرب وشقائها، ليبنوا بغداد وقرطبة لقادر على ان يخرجنا من هذه الحلقة المفرغة ومن هذا التخلف المقيت.

ان ديناً صنع من الامة الأمية اساطين الفكر في كل مجالاته، لقادر اليوم على ان يدفعنا في سبيل العلم، لنكون اساتذة العالم لا تلاميذ حتى الموت.

ودين استطاع ان يجعل من الذين تقاتلوا يوم بعاث (٢) - في سبيل الباطل - جنوداً متحابين يدافعون عن الحق يوم بدر قادر ان ينزع من بيننا الشقاق، ليحوله ناراً تنصب على اعداء الحق والعدل، ودين يجعل العلم والوحدة والاستعداد فروضاً كالصلاة والصيام لهو ابعد ما يكون عن التواكل والاوهام.

وسنجد في هذه المحاضرات ان شاء الله مصداقاً لما نقول في هذه المقدمة، ونرجو الله ان يسدد خطانا ويجنبنا الزلل انه سميع الدعاء

مديرية الافتاء في القوات المسلحة الأردنية

١٩٧٠م

---

(١) القصص : ٧٧.

(٢) معركة مشهورة كانت بين الأوس والخزرج في المدينة المنورة قبل أن يدخلها الاسلام ويهاجر اليها النبي صلى الله عليه وسلم.

الحاجـــة الـى الديـــن

ما كنا بحاجة لنعقد هذا الفصل لولا تلك العدوى التي سرت الينا من الغرب، فنحن امة كل ما وصلنا اليه من مجد وما بلغناه من حضارة انما كان ثمرة من ثمرات ديننا، فكيف نتساءل بعد ذلك عن حاجتنا اليه؟! اما الغرب فقد مرت بهم ظروف وأيام اجبرتهم ان يتساءلوا بعد ان خرجوا منها هل من حاجة الى الدين؟ لقد حكمهم رجال باسم الدين أياماً طويلة، شرعوا لهم فيها ما لم يأذن به الله افتراء عليه تعالى، فسدوا في وجوههم كل باب، وكانوا عقبة كؤودا في طريق التحرّر من الخرافة والجهل، صوروا لهم الكون صورة خرافية، واجبروهم على ان يعتقدوها، وحرموا عليهم كل بحث يخالف هذه العقيدة، وكانوا يمنونهم بمجد السماء ليثبطوهم عن مقاومة سياط الظالمين في الارض.

ولم تستطع هذه الخرافات ان تكبح العقل وهو يسمع صرير اقلام العلم والتفكير الحر في المشرق، بل قريباً منهم في الاندلس المسلمة، وأخيراً انفلت العقل من قيوده، وانطلق يبحث ويحقق، واذا به يكتشف الكثير من الاخطاء التي كانت تُفرض عليه، وقام الصراع بين العلم والسلطة الكهنوتية ادى في النهاية الى مصالحة تقضي بان ينحصر الدين في معابده، ومن احبه زاره هناك، وان تُخلى بقية مجالات الحياة للعلم، ولم يصل الامر الى هذه النتيجة بسهولة، بل كان بعد صراع مرير دامٍ استتبع ان يحقد رجال العلم على خصومهم رجال الدين، وان يرفضوا افكارهم بما فيها من حق وباطل.

ولقد خطا العلم بعد ذلك خطوات واسعة اكتشف فيها العجائب، ووصل فيها الى العجائب لكن رجاله لم ينسوا صراعهم مع رجال الدين، وهكذا اجتمع في نفوس رجال العلم الغرور بالمنجزات والحقد على الدين، فأصبح من المسّلم به عندهم ان لا سبيل الى التقدم والرقي الا برفض الدين واسقاطه نهائياً من الحساب.

واليوم بعد ان فتر الغرور العلمي، واكتشف الانسان انه ما يزال امام مجاهيل غير محدودة ما زالت غامضة امامه، وان كل ما اكتشفه لا يعد شيئاً بالنسبة لما لم يكتشفه.

وبعد ان بلغ نهاية الشوط في الهروب من الدين وتعاليمه، وبعد ان لفحت وجهه سموم المادة بدأ يفكر من جديد: هل من حاجة الى الدين؟.

ان امامه مقدمات كثيرة كلها تفرض عليه نتيجة واحدة هي: انه لابد من العودة الى الدين، وان كان من المفهوم سلفاً انها لن تكون كتلك التي كان عليها الغرب في السابق، انما هي عودة للاستفادة مما في دينهم من خير، يأخذون منه ما يعينهم على الحياة ويطمئنهم على وجه الارض.

ومن هذه المقدمات مايلي:-

١ - لقد حقق العلم الكثير من متاع الجسد وراحته، وعرف بـه الانسـان مـا ينقذه مـن الامـراض، وما يمده بالصحة، ومـا يريحـه مـن المجهـود العضلـي، فبضغطـة علـى زر يرقـى الطبقـات وهـو واقف، وباخرى يجعل جو المسكن دافئـاً او بـارداً كمـا يشـاء. وبثالثـة ورابعـة يقضـي الكثير مـن حوائجه التي كانت تتعبه فيما مضى، ولم تعد تهمه المسافات الطويلة فهذه الطـائرات النفاثـة تنقلـه اليها في دقائق، والهاتف يأتيه بأخبار الاحبة علـى بعد آلاف الاميـال، ولا داعـي لان يجهد نفسـه فيحضر مباراة رياضية بل يستطيع رؤيتها وهو مستلق على ظهره في اريكة وثيرة مهدهـا لـه العلم.

ومع ذلك، فهو يشعر بالملل، بالقلق، بالاضطراب، لماذا؟ انه يرفض كل هذه الراحة لينتحـر، او ليمشي حافياً طويل الشعر شبه عار يجوب البلاد، لماذا؟ عم يبحث؟ أي متعـة مـن متـع الجسد فاتته فهو يبحث عنها؟ الجنس ارخص من رخيص يسلك فيـه السـبيل السـوي وغير السـوي بـلا حساب، المأكل والمشرب؟ أوفر من وافر، الثيـاب؟ يحتـار كيـف يصنـع بهـا مـرة يضيقهـا ومـرة يوسعها ومرة يخلعها، المسكن، الاثاث...

كل هذه لم تستطع ان تضمن للانسان الاستقرار وطمأنينة النفس، فلماذا؟ لا بد مـن جـواب، والجواب واضح، لكنه يرفضه بدافع الحقد القديم على الدين، لا يريد ان يسمع شيئاً من الدين حتى ولو كان حقاً، ولكن لابد ان يسمع.

ان الذي حققه العلم كان راحة للجسد، وليس الانسان جسداً فقط، انه جسد وروح! ولقد ارغـم الانسان ان يسير على قدم واحدة! وأنّى له ان يطمئن وهو يسير على قدم واحدة ولو كـانت تلبـس حذاء من ذهب.؟!

لقد صمم الانسان بحيث يعتمد على جسد مادي وروح من عالم غير عالم المادة، انه قبضـة من تراب ونفخـة مـن روح، إذن كيـف يسـتقر ونصفـه مهمـل تمامـاً؟ كيـف تسـتقيم العربـة وأحـد الحصانين يطعم حتى التخمة، والآخر أصبح قديداً من الجوع؟!

لابد من الاعتراف بالحقيقة ولو كانت من حقائق الدين، وهي ان الاستقرار يحتـاج الـى تلبيـة رغبات الروح، كما يحتاج الى تلبيـة رغبـات الجسـد، والعلـم ان اسـتطاع تلبيـة رغبـات الجسـد لا يستطيع ان يلبي رغبات الروح، انما يلبي رغباتها الدين. الروح من عالم آخـر غيـر عـالم المـادة، فهي تحن اليه وتشتاق، ولا يصلها به ويبل شوقها اليه الا الدين، فان حرمت من هذه الصلة قلقـت واقلقت الانسان كله، فجنح مرة الى الانتحار لأهون سبب، وقد يفقد اعصابه لادنى خسارة، وكيـف لا ينتحر من يرى المادة كل شيء وها هو يفقدها؟!

٢ – ان الانسان اذا بقي حبيس المادة لابد أن يصير حسابه لكل شيء حساباً مادياً، فما لا يتعبه هو شخصياً افضل مما يتعبه، اذن فما الذي يدفع الانسان الى التضحية في سبيل تغيير الواقع السيء للمجتمع اذا كان ذلك يستتبع ألماً وحرماناً؟ لابد من الدين الذي يهون عليه مصائب الدنيا ويمنحه نعيم الآخرة مقابل التعب في سبيل الصالح العام، ويعلمه الحب: حب الناس، حب الحق، فتهون عليه التضحية في سبيله وتبقى راية الحق خفاقة في الوجود.

٣ – ان الانسان بلا دين يشعر بضعفه امام الصعوبات الجسيمة وعندئذ يرى ان الأسلم له الخضوع لهذه الصعاب، فاذا ربطه الدين بالله تعالى استهان بكل صعب واستعان عليه بالله فذللت كل صعوبة وانزاح كل عائق.

٤ – كم هي ايام الانسان في هذه الحياة؟ انها غير معروفة، وعلى أي حال لابد ان تنتهي، وكل ما ينتهي قصير، فليقضها في الملذات والمتع من أي طريق، ومن أي يد كانت تلك الملذات، انها فرصته الوحيدة ليمتّع نفسه فليستغلها بأوسع صورة!! هذا هو منطق الانسان بلا دين، منطق لا يعرف مُثُلا ولا قيما، ولا يفكر في عزة وطن ولا رفعة امة، أليس هذا المنطق اخس من منطق الحيوانات ان كان لها منطق.؟!

اليس هذا ما وصل اليه بالفعل الذين تخلوا عن الدين؟! وهم نفر لا يصلحون للحياة، فلا خير فيهم ولا في منطقهم! ولا بد من الدين.!

ومع ذلك، فهو يشعر بالملل، بالقلق، بالاضطراب، لماذا؟ انه يرفض كل هذه الراحة لينتحر، او ليمشي حافياً طويل الشعر شبه عار يجوب البلاد، لماذا؟ عم يبحث؟ أي متعة من متع متاع الجسد فاتته فهو يبحث عنها؟ الجنس ارخص من رخيص يسلك فيه السبيل السوي وغير السوي بلا حساب، المأكل والمشرب؟ أوفر من وافر، الثياب؟ يحتار كيف يصنع بها مرة يضيقها ومرة يوسعها ومرة يخلعها، المسكن، الاثاث...

كل هذه لم تستطع ان تضمن للانسان الاستقرار وطمأنينة النفس، فلماذا؟ لا بد من جواب، والجواب واضح، لكنه يرفضه بدافع الحقد القديم على الدين، لا يريد ان يسمع شيئاً من الدين حتى ولو كان حقاً، ولكن لابد ان يسمع.

ان الذي حققه العلم كان راحة للجسد، وليس الانسان جسداً فقط، انه جسد وروح! ولقد ارغم الانسان ان يسير على قدم واحدة! وأنّى له ان يطمئن وهو يسير على قدم واحدة ولو كانت تلبس حذاء من ذهب.؟!

لقد صمم الانسان بحيث يعتمد على جسد مادي وروح من عالم غير عالم المادة، انه قبضة من تراب ونفخة من روح، إذن كيف يستقر ونصفه مهمل تماماً؟ كيف تستقيم العربة وأحد الحصانين يطعم حتى التخمة، والآخرّ أصبح قديداً من الجوع؟!

لابد من الاعتراف بالحقيقة ولو كانت من حقائق الدين، وهي ان الاستقرار يحتاج الى تلبية رغبات الروح، كما يحتاج الى تلبية رغبات الجسد، والعلم ان استطاع تلبية رغبات الجسد لا يستطيع ان يلبي رغبات الروح، انما يلبي رغباتها الدين. الروح من عالم آخر غير عالم المادة، فهي تحن اليه وتشتاق، ولا يصلها به ويبل شوقها اليه الا الدين، فان حرمت من هذه الصلة قلقت واقلقت الانسان كله، فجنح مرة الى الانتحار لأهون سبب، وقد يفقد اعصابه لادنى خسارة، وكيف لا ينتحر من يرى المادة كل شيء وها هو يفقدها؟!

٢ – ان الانسان اذا بقي حبيس المادة لابد أن يصير حسابه لكل شيء حساباً مادياً، فما لا يتعبه هو شخصياً افضل مما يتعبه، اذن فما الذي يدفع الانسان الى التضحية في سبيل تغيير الواقع السيء للمجتمع اذا كان ذلك يستتبع ألماً وحرماناً؟ لابد من الدين الذي يهون عليه مصائب الدنيا ويمنحه نعيم الآخرة مقابل التعب في سبيل الصالح العام، ويعلمه الحب: حب الناس، حب الحق، فتهون عليه التضحية في سبيله وتبقى راية الحق خفاقة في الوجود.

٣ – ان الانسان بلا دين يشعر بضعفه امام الصعوبات الجسيمة وعندئذ يرى ان الأسلم له الخضوع لهذه الصعاب، فاذا ربطه الدين بالله تعالى استهان بكل صعب واستعان عليه بالله فذلت كل صعوبة وانزاح كل عائق.

٤ – كم هي ايام الانسان في هذه الحياة؟ انها غير معروفة، وعلى أي حال لابد ان تنتهي، وكل ما ينتهي قصير، فليقضها في الملذات والمتع من أي طريق، ومن أي يد كانت تلك الملذات، انها فرصته الوحيدة ليمتع نفسه فليستغلها بأوسع صورة!! هذا هو منطق الانسان بلا دين، منطق لا يعرف مُثُلا ولا قيما، ولا يفكر في عزة وطن ولا رفعة امة، أليس هذا المنطق اخس من منطق الحيوانات ان كان لها منطق.؟!

اليس هذا ما وصل اليه بالفعل الذين تخلوا عن الدين؟! وهم نفر لا يصلحون للحياة، فلا خير فيهم ولا في منطقهم! ولا بد من الدين.!

٥ – ان القانون يستطيع ان يحكم في تصرفات الانسان، والسلطة ان تبث الكثير من الرقباء، ولكنها لن تستطيع ان ترافق الانسان في كل لحظة، وهذه اللحظة التي يخلو بها لنفسه اذا لم يكن له دين ما الذي يمنعه فيها ان يكون وحشاً مفترساً يؤذي الآخرين، يسطو على اعراضهم واموالهم؟ ان يد السلطة لا تطوله طالما عينها لا تراه! وما حال مجتمع لا يعرف الا رقابة السلطة؟! لا بد من الدين ليكون كلٍ واحد حارساً، على نفسه في السر والعلن يستحي من الله او يخاف عقوبته ان هو آذى الآخرين.

٦ – الانسان حتى وهو في عصر العلم لن يستغني عن الدين لان العلم كائن متقلب فهو ينفي اليوم ما اثبته بالامس فاذا ربَط الانسان نفسه ومشاعره به اصبح في قلق دائم وتقلب مستمر، اما قواعد

الدين الحق فثابتة ترسو عليها المشاعر والنفوس، فتجد الطمأنينة واليقين، وهذا لا يتعارض مع العلم ولا يحد من الانطلاق فيه.

ثم ان البحث العلمي اذا لم يستصحب الدين سيقف حائراً أمام حقائق الكون الكبرى، مثلاً لقد وضع العلم الفرضيات لاختلاف الاجناس على وجه الارض، لكن من اين اتى اصل هذه الاجناس؟ او كيف وجد فيها هذا النظام والتناسق الذي امضى الانسان ردحاً من عمره في الكشف عنه ومعرفة قوانينه؟! ويأتي الدين ليريحه من هذه الحيرة لينصرف الى شأن آخر من شؤون العلم فيقول له: الله خالق كل شيء ومنظمه ومبدعه.

٧ – لو كان الدين باقياً في النفوس لما قامت الحروب المدمرة، ولما وجد أولئك العلماء المتخصصون الذين يسخرون كل خبراتهم وذكائهم في اختراع الاساليب الفتاكة في القضاء على البشر. ثم يقدمون حصيلة علومهم من غازات سامة، وقنابل جرثومية وذرية، وهيدروجينية ليستخدمها غلاظ الاكباد في حروبهم، فيقتل الطفل قبل الجندي والمسالم قبل المقاتل.

كم ذاق العالم من الحربين الماضيتين، وهاهو اليوم يتوجس خيفة من ثالثة اشد وأنكى، ولن ينجيه منها الا الدين، يعلم الرحمة ويملأ القلوب شفقة على كل ذي روح، عندها تتحول الجهود والعقول لاسعاد البشر وتعمير الارض في ظل الله الرحيم، وبغير ذلك كيف نقنع من في أيديهم السلاح ان يلقوه ويتحابوا؟ كيف نشعرهم بالرحمة للناس وقد علمتهم المادة ان لا يرحم احدهم ولده فهو يحاسبه على وجبة الطعام واجرة الغرفة بعد ان يبلغ سن الرشد؟! كيف نقنعهم بالاخوة الانسانية وقد فككت المادة اسرهم وحرمتهم الجو العائلي اللطيف؟! أم كيف نشعرهم بالحق والعدل لينصفوا الشعوب المظلومة ويردوا الحقوق المهضومة وقد اعادتهم المادة الى شريعة الغاب؟!

لماذا المكابرة؟ لابد من الدين استجابة للفطرة، لغريزة التدين في الانسان؟ فالذين رفضوا الدين على الورق وفي الدساتير لم يستطيعوا انتزاعه من النفس البشرية، فظهرت هذه الغريزة بلون آخر، وان لم يكن لها هذا الاسم، أريد أن أقول: لم يستطيعوا ان ينتزعوا من نفوسهم الا اسم الدين اما غريزة التدين فقد تقمصت مظهراً آخر، وعبرت عن نفسها، والا فما الفرق – من حيث الظاهر – بين تقديس المتدينين لرسل الله وتقديس الملحدين لمعلمهم الأول؟ وبين تقديس المؤمنين للأولياء والصالحين، وتقديس الجاحدين لرجال الثورة وروادها.

ما الفرق بين الاعياد والمواسم الدينية، وبين الاحتفال باعياد ميلاد ووفاة رجال الثورة والمراسيم بمناسبة قيامها؟ لكن يبقى الفرق الحقيقي الكبير هو ان هذه ديانات تستند الى الارض فهي لا تلبي أشواق الروح، والديانات السماوية تربط الانسان الضعيف بالله القوي.

هناك تحط الروح رحالها لتنعم في جوار الله، هناك تجد الميدان الرحب اللا متناهي تنطلق فيه فرحة مسرورة، لتظهر فرحتها وجذلها على الحياة اجمع، تصبغها بندى الرحمة ونسمات المحبة.

هذا عن الدين بشكل عام اما الاسلام فله زيادة على ذلك حديث آخر نتحدث عنه في المحاضرة التالية إن شاء الله تعالى.

مميزات الدين الاسلامي

تحدثنا في المحاضرة السابقة عن حاجة الانسانية الى الدين بشكل عام والذي ذكرناه قدر مشترك بين الديانات السماوية جميعاً، إلا أن الاسلام امتاز على سائر الديانات والانظمة – لاسباب سنذكرها – بمميزات لم تجتمع في سواه مما يجعل حاجة الانسانية اليه خاصة اكثر من حاجتها إلى سواه. وفيما يلي بعض هذه المميزات:–

١ – **مراعاة التوازن بين المادة والروح** :– لو نظرنا الى الاتجاهات الفكرية في العالم، عدا العالم الاسلامي، لوجدناها تتفرع من تيارين رئيسيين:

الأول : التيار المادي الذي لا يعرف الا المادة، ولا يفكر الا على اساسها، وفي نفس الوقت يهمل الروح او ينكرها.

الثاني : التيار الروحي وهو الذي لا يعرف الا الروح ، ويهمل المادة بل يعد من شروط السمو الروحي اهمال الحاجات المادية ، بما في ذلك الطعام والشراب ، ولذلك فهو يعتمد على الصيام الطويل ، وتعذيب الجسد والتخفيف من متع الحياة في سبيل السعادة الروحيه.

واذا كنا قد بينا خطأ الفكرة الاولى في المحاضرة السابقة، فان الفكرة الثانية لاتقل عنها خطراً على الحياة الانسانية، اذ كيف يكون عمران وحضارة اذا اهملت المادة؟ والديانات ايضاً منها ما يغلب جانب المادة، ومنها ما يغلب جانب الروح، طبقاً لمقتضيات الحقبة التاريخية التي نزلت فيها، والوضع الاجتماعي الذي كانت تعالجه.

وهنا تظهر **المميزة الاولى** للاسلام، وهي المحافظة على التوازن بين المادة والروح فقد حدد وظيفة الانسان في الارض بأنها الخلافة عن الله تعالى، قال الله عز وجل: **﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة﴾** (١) فالانسان جعل في الارض ليعمرها العمارة المادية، لكن ليس كيفما اتفق، بل كما يريد الله تعالى لانه خليفة عنه، فهو يمزج المادة بالروح، وواضح ان هذا هو الذي يتلافى اخطاء التيارين السابقين ويكفل التقدم الخير المتزن على وجه الارض.

٢ – **مراعاة التوازن بين مصلحة الفرد والجماعة:** ان الانظمة في دول العالم أيضاً تنقسم الى قسمين:

الأول : يراعي مصلحة الفرد على حساب مصلحة المجموع في كل الانظمة بما فيها الاقتصادية، والجزائية والسياسية والاجتماعية، وهذه لها أخطاؤها ونتائجها السيئة وهي التي أدت الى ظهور الفكرة الثانية.

---

(١) البقره : ٣٠.

القسم الثاني : يراعي مصلحة الجماعة على حساب مصلحة الفرد، وهذه أيضاً لها نتائجها السيئة مما دعا أصحابها الى التراجع قليلاً عن تطرفهم، كما أجبر أصحاب الفكرة الاولى على التراجع عن تطرفهم أيضاً.

اما الاسلام فهو يراعي مصلحة الفرد ويراعي مصلحة الجماعة ويقيم التوازن بينهما فلا تطغى واحدة على اخرى، ويظهر هذا في انظمته الاقتصادية وغيرها. (انظر بحث العقوبات والنظام المالي في هذا الكتاب).

٣ - **العناية بكل شؤون الحياة:** وهذه تتفرع عن المميزة الاولى، ويستطيع الباحث ان يتبين هذه الميزة بسهولة اذ قرأ كتاب الله تعالى: (القرآن الكريم) أو كتب الحديث النبوي بل كتب الفقه الاسلامي، فانت ترى في القرآن الكريم الاية التي تتحدث عن الايمان بالله والعبادات الى جانب التي تتحدث عن شأن آخر من شؤون الحياة كالبيع او الربا او عقوبة الجاني او الجهاد في سبيل الله، وحسبك ان تعلم ان اطول آية في كتاب الله تتحدث عن كيفية كتابة الدّين، وتوثيقه بالشهود او الرهن.

واذا علمت ان كل تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم تشريع للناس وان اختلفت درجة الالزام بها، وقد شملت كل تصرفات البشر، من شؤون الاسرة، الى شؤون الدولة، الى الحياة المدنية، الى العلاقات الدولية، علمت عندئذ ان هذا الدين شامل لكل شؤون الحياة.

وقد يخطر بالبال ان هذا يعني من جهة اخرى حصر تصرفات الانسان وانظمة المجتمع بكيفية معينة وهذا فيه من الحرج ما فيه.

ولكن الواقع: ان الاسلام لم يغفل عن تطور البشر ولذلك جعل انظمته على نوعين: فما يتعلق بأمور الحياة التي لا تتغير جعل لها انظمة لا تتغير، كنظام الارث، فمداره على مقدار صلة القربى وهي لا تتغير بتغيير الزمان.

واما ما يتعلق بأمور الحياة المتغيرة فقد جعل لها قواعد ثابتة لا تتغير وترك التفاصيل لتطور الازمان، فمثلاً في مجال القضاء: امر بالعدل قال الله تعالى: **﴿وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل﴾** (١) اما كيفية الوصول الى ذلك العدل، وكيفية تنظيم مجلس القضاء، فمتروك الى الزمن، والمهم الذي لا يتغير هو اقامة العدل اي الحكم بالاسلام. .

اما الديانات الاخرى فمنها ما لم يخرج عن شؤون العقيدة والعبادات وبقي محصورا في جدران المعبد والانظمة الوضعية لم تتطرق أيضاً الى شؤون العبادات ومنها ما لم يتطرق الى قضايا العقيدة والاخلاق - جحوداً او تجاهلاً.

---

(١) النساء : ٥٨

٤ – **الاسلام دين عالمي أبدي:** أي غير خاص بمكان ولا بزمان، وبيان ذلك ان الديانات هي الشرائع المنهاج الالهي لتربية البشر وتوجيههم، لكن البشر كانوا بدائيين في تفكيرهم، بسيطين في حاجاتهم متباعدين في ديارهم ولذلك كان كل نبي يأتي قومه بما يناسبهم وتكون رسالته خاصة بهم.

أما الاسلام فقد اوحى الله به في وقت بدأ فيه العقل البشري بالنضوج، والحاجات بالكثرة والتعقيد وبدأ الناس يتصل بعضهم ببعض، فهناك الفلسفة اليونانية والحضارة الرومانية والفارسية وقوافل التجارة التي تصل اطراف العالم ببعضها، فكانت رسالة الاسلام للناس كافة ومعالجته للقضايا على جانب من التقدم، وطابع العموم ظاهر في الرسالة الاسلامية، فنجده لا يتحدث عن قوم دون قوم، ولا عن زمان دون آخر، ولا يعسر تطبيقه بين شعب من شعوب الارض، ولا يعالج مشكلة زمن معين فقط، بل يضع القواعد الكفيلة بحل مشاكل الحياة مهما تنوعت وتلونت، قال تعالى: **﴿قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً﴾**. (١)

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة). (٢)

اما الديانات الاخرى فنجد عليها طابع التوقيت، فاليهودية تعالج خبث اليهود بالانظمة القاسية، والمسيحية تعالج قسوة الرومان واليهود بالتسامح المطلق، ولذلك يقول عيسى عليه السلام عن نفسه: (انما بعثت الى خراف بني اسرائيل الضالة).

ولا نجد في الاسلام التحيز لقوم على قوم ولا للون على لون فالكل امام الله سواء واكرمهم عنده اتقاهم، وهذا مبدأ يسع الناس اجمعين، وحتى غير المسلم، وان كان له جزاء في الآخرة ومعاملة خاصة في الدنيا – الا انه انسان له حرمته ويجب حفظ دمه وعرضه وما له الا بالحق.

٥ – **اليسر ورفع الحرج** : هذه المميزة سنفرد لها بحثاً خاصاً، ولكننا نبين هنا ان شرائع الاسلام واحكامه سهلة ميسرة سواء في المعاملات او العبادات، فالصلاة مثلا تصح في اي مكان طاهر، بينما لا تصح في الديانات الاخرى الا في المعابد، والذنب مهما عظم تكفره التوبة، وعند اليهود لابد من قتل النفس كفارة لبعض الذنوب، ثم هو لا يكلف الناس بأعمال وصفات اقرب الى الخيال، لان البشر لا يستطيعون الارتفاع جميعاً الى هذا المستوى، فاذا كلفوا به وقعت الاغلبية الساحقة في المعصية. وفي نفس الوقت لم يسد الاسلام امام الناس باب الطموح الى الارتقاء في معارج الكمال، فمثلا في باب العقوبات سمح بالقصاص، وشجع على العفو بل على الاحسان للمسيء،

---

(١) الاعراف : ١٥٨ ، (٢) متفق عليه.

قال الله تعالى: **﴿ادفع بالتي هي احسن السيئة﴾** (١)، والتكاليف الشرعية **قليلة** لكن المجال واسع في النوافل.

فالمطلوب في اليوم سبع عشرة ركعة، اما النوافل فلا حدود لها، بينما تجد التكاليف الشاقة في بعض الديانات الاخرى، كالتكليف بقطع الثياب عند التنجس، وعدم جواز المقابلة بالمثل عند الاعتداء.

٦ - **الحفظ من التغيير والتبديل** : هذه المميزة هي اعظم مزايا الاسلام ومن اكبر نعم الله على المسلمين فكل الكتب السماوية دخلها التحريف والتغيير والتبديل وكل سير الانبياء السابقين واقوالهم غير محفوظة بالضبط.

أما الاسلام فقد حفظ الله كتابه من كل تحريف وتبديل منذ نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا والى قيام الساعة، وقد وعد الله بحفظه فقال: **﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾** (٢). وحفظ الله تعالى السنة برجال حرصوا على ضبطها واحبطوا محاولات الدس فيها والافتراء على صاحبها، وكذلك سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم محفوظة بالضبط الدقيق حتي يخيل لقارئها انه يرى الرسول صلى الله عليه وسلم بأم عينه وهذه الميزة كانت لها نتائج كبيرة في قوة هذا الدين وخلوده.

فمثلا لا تجد في الاسلام خرافات تناقض العقل كتلك التي ادخلها البشر على دياناتهم السابقة، ونقول ادخلها البشر لأن الذي انزل الديانات واحد، هو الذي خلق الكون فلا يمكن ان يكون في وحيه ما يخالف الواقع، قال تعالى: **﴿الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** (٣).

وهكذا كانت سلامة كتب الاسلام من التحريف سبباً في سلامته من الخرافة واللامعقول ونظراً لاهمية هذه الخاصية فقد افردنا لها البحث القادم نتحدث فيه عن كيفية وصول هذا الدين الينا.

---

(١) المؤمنون : ٩٦ ، (٢) الحجر : ٩ ، (٣) الملك : ١٤.

كيفية وصول الاسلام الينا

ان الايمان بدين من الاديان ليس كالايمان بفكرة فلسفية قد يكون لها تأثير محدود على حياة الانسان وقد لا يكون، بل هو الاستسلام المطلق لكل ما يأتي به ذلك الدين.

وهذا يعني ان تكون حياة الانسان كلها منسجمة مع ذلك الدين، فتراه يكيف حياته وفقاً لاوامره، ويواجه المشاكل حسب تعليماته وحلوله، وهذا الامر سهل وميسور لاغبار عليه اذا كان الشخص يعيش في (عصر) الرسول، ويسمع منه ويراه بعيني رأسه.

اما اذا لم يكن معاصراً له وانما نقلت اقواله وتعاليمه اليه بواسطة الرجال، فهنا تبرز المشكلة، ان الامر محتمل لان يتقول رجل على الرسول، فينقل اراء نفسه موهما انها تعاليم الرسول الذي ينتمي لدينه، ليروج فكرة ما على حساب ذلك الرسول، وهذا فيه من الخطر ما فيه اذ يكون الانسان ملزماً بأمور لا تلزم.

ثم ان آراء البشر مهما كانوا عبقريين لابد ان يظهر فيها النقص البشري، وعندها يظن الناس ان النقص في نفس الدين، وهم لا يدرون انه في الاراء الملصقة او المدسوسة على تعاليم الدين، فتكون فتنة قد تصرف البعض عن ذلك الدين.

وخلاصة القول: ان بقاء تعاليم الرسول محفوظة ومميزة عن غيرها أمر ضروري لاستمرار الدين، وللمجتمع الذي يدين به، ليعرف ما يجب عليه اتباعه مما لا يجب، ويعلم ما تكفل الله ببيانه مما تركه للبشر يُعملون فيه عقولهم، واذا كان الانبياء بشراً كسائر البشر فلا بد ان يتعرضوا لما يتعرض له البشر من الموت وغيره، وعندها فلا سبيل الى حفظ تعاليمهم الا بواسطة تلاميذهم، ونخبة من الناس يتناقلون هذا الامر جيلاً بعد جيل.

وهنا تبرز مشكلة اخرى وهي ان حملة الدين بشر وليسوا بمعصومين كعصمة الانبياء، ولذا فقد يعرض لبعضهم النسيان أو الذهول أو الخرف عند الكبر، وقد يندس فيهم من ليس منهم ليفسد عليهم دينهم، او يبدله لمصالح شخصية او حزبية، او يعرض لهم ظالم يضطهدهم فيضطرهم لاخفاء بعض تعاليم دينهم، او تغيير شيء منها.

ان هذه المشاكل واسعة وشائكة وهي السبب في اختفاء او تبديل بعض الديانات، وهي السبب في اختلافها في بعض الامور الاساسية ، فضلاً عن الفرعية، مع ان اصلها واحد، وكلها تخرج من مشكاة واحدة، ولقد كشف الله تعالى ذلك في القرآن الكريم فقال تعالى: **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾**. (١)

---

(١) البقرة : ٧٩

أما الاسلام فقد حفته عناية الله تعالى، فوفر له من الاسباب والظروف ما مكنه من تخطي هذه العقبات جميعاً. ومن هذه الاسباب والظروف مايلي:

١ – قد كان الامر الاول الذي تلقاه الرسول عليه السلام من ربه تعالى: ﴿إقرأ﴾ (١) وتوالت الآيات تحث على العلم، وتنفيذاً لهذا الامر شجع الرسول عليه السلام اصحابه على القراءة والكتابة والعلم، فكون حوله جماعة يكتبون ما يوحى اليه من ربه، بل امر بعضهم ان يتعلم بعض اللغات الاخرى، واصبح العلم ركناً من اركان المجتمع الاسلامي قال عليه الصلاة والسلام: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)). (٢)

٢ – لم يمر الاسلام بعهد اضطهاد عام كغيره من الديانات، فان النبي عليه السلام ما توفي الا وقد اعز الله الاسلام وقامت دولة الاسلام تحافظ عليه: بل هدفها الاول المحافظة عليه وحماية دعوته من الاضطهاد.

٣ – ان القوم الذين نزل فيهم كانوا اذكياء بفطرتهم، فقد روي عنهم الكثير من القصص التي تدل على قوة الذاكرة إذ كان احدهم يحفظ القصيدة الطويلة اذا سمعها ولو مرة واحدة، والخطبة الطويلة بمجرد سماعها، فهم أمة امية لم تكن تعتمد على الكتابة بل على الذاكرة والحفظ، مما يثبت ان الاسلام كان بين ايادي قوم اذكياء امناء على تعاليمه يحفظونها دون تبديل.

٤ – ان هذه الاسباب المتقدمة ليست شيئاً بالنسبة الى ارادة الله التي شاءت ان يحفظ هذا الدين، إذ لا دين بعده، فهو دين الزمان ما بقي الزمان، ولكل الناس ما بقي على وجه الارض ناس، فحفظه الله ليكون حجة الى قيام الساعة.

بعد هذه المقدمة نرجع الى بيان الطرق التي وصل بها هذا الدين الينا فنقول: ان نصوص القرآن وصلت الينا بطريق التواتر، واما السنة فمنها المتواتر، ومنها المشهور، ومنها الآحاد، والآحاد ثلاثة انواع: الصحيح، والحسن، والضعيف، ولنبين الان معنى هذه الاصطلاحات.

أولاً : المتواتر: هو ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جمع لا يحتمل تواطؤهم على الكذب، ورواه عنهم جمع مثلهم، وهكذا حتى وصل الينا.

هذا النوع من الرواية يفيد العلم القطعي عقلاً، بمعنى انه لا يسع عاقلاً الا ان يصدق ما نقل بهذه الطريقة وكأنه يسمع من المنقول عنه مباشرة.

وبهذه الطريقة نقل الينا القرآن الكريم كما ذكرنا آنفاً، فان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اتخذ كتاباً للوحي، فاذا نزلت آية تلاها على الصحابة فحفظوها وأمر الكتاب فكتبوها، وكان الصحابة يسمعون القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وهي ليست قصيرة كصلاتنا

---

(١) العلق : ١ ، (٢) رواه ابن ماجه وغيره.

اليوم بل كان يقرأ السورة الطويلة في الركعة الواحدة، ويتلو القرآن الكريم في خطبة الجمعة، ويتدارسه مع الصحابة فيأمر بعضهم ان يسمع له، او يقرأ الصحابي ويسمع النبي صلى الله عليه وسلم له، ليرسخ في اذهان الجميع، وهكذا لم ينتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى الا وقد حُفظ القرآن في السطور والصدور، ثم روى التابعون عن الصحابة فكانوا يتعلمونه منهم، وروى عن التابعين تابعو التابعين، وبهذا روي القرآن جيلا بعد جيل في وضح النهار لا في الدهاليز المظلمة، ورواه جيل عن جيل لا شخص عن شخص، فالقرآن مفتوح للجميع، وواجب عليهم ان يتعلموه وليس محصوراً في طبقة معينة، وحسبك ان تعلم ان المصاحف في مشارق الارض ومغاربها قديماً وحديثاً متطابقة لم تختلف في كلمة ولا حرف من حروفها هذا من اكبر معجزات القرآن الكريم، سيما اذا عرفت مقدار حقد الحاقدين عليه وحرصهم على اطفاء نور الله، ولكن الله وعد بحفظه فقال: ﴿**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾ (١).

أما السنة النبوية: أي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وافعاله، فقد روي بعضها بهذه الطريقة، كصلاته، وصيامه، وحجه، وجهاده، وغزواته، وبعض اقواله، والاكثر روي بطريق الشهرة والآحاد، وسبب ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يركز على حفظ القرآن وكتابته، وروايته، لأنه هو الاساس، ولم يكن يركز بهذا الشكل على حفظ السنة لانه كان يخشى ان تختلط بالقرآن، ولذلك لم يسمح للصحابة بكتابة السنة الا ما روي من اذنه لعبدالله بن عمرو ابن العاص لانه كان كاتباً متقنا، يؤمَن عليه من الالتباس، ولا يعني هذا اهمالها بل حافظ عليها الصحابة ومن بعدهم، وتأكدوا من روايتها كما سيأتي، لكن لم يبلغ الامر مبلغ القرآن.

ثانياً : المشهور : هو ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم، شخص او اشخاص لم يبلغوا حد التواتر، ثم رواه عنهم جمع بلغوا حد التواتر، وعنهم مثلهم حتى وصل الينا، اي ان الطبقة الاولى فقط من رواته لم يبلغوا حد التواتر اما بقية الطبقات فقد بلغت جميعها التواتر ومن هذه الاحاديث حديث (انما الاعمال بالنيات). (٢)

ثالثاً : الآحاد : وهو مالم يبلغ حد التواتر ولا حد الشهرة وهو انواع:.

أ - الصحيح وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط ضبطاً تاماً عن مثله الى منتهاه وسلم من الشذوذ والعلة.

ومعنى هذا التعريف: أن الحديث لا يكون صحيحاً الا اذا اجتمعت فيه الشروط التالية:-

١ . اتصال سنده: أي ان يثبت لدينا ان كل شخص ذكر في سند الحديث قد روى عن المذكور قبله مباشرة بدون واسطة، وهذا يحتاج الى معرفة تاريخ ولادة ووفاة،

---

(١) الحجر : ٩. (٢) متفق عليه.

واساتذة كل راو، ومن هنا نشأ علم الرجال اي تاريخ رجال الحديث، فان تبين ان راوٍ لم يأخذ مباشرة من الذي قبله كان الحديث ضعيفاً ويسمى منقطعاً.

٢ ، ان يكون كل راو عدلاً لا يفعل الذنوب الكبائر (سيما الكذب) ولا يصر على الصغائر، ولا يفعل فعلاً لا يليق بامثاله، وهذا يحتاج الى معرفة سيرة كل راوٍ، وهو ما يسمى بعلم (الجرح والتعديل) فان كان احد الرواة يقع في شيء من الذنوب السابقة كان حديثه ضعيفاً.

٣ ، أن يكون كل راو ضابطاً : أي يحفظ ما يرويه حفظاً تاماً، اما في ذاكرته او في كتابه، فان كان كثير الغلط والنسيان كان حديثه ضعيفاً (اي مشكوكاً فيه).

٤ ، يجب ان تتوفر صفة العدالة والضبط في كل راوٍ من رواة الحديث الذي يستدل به، فان كان في سلسلة الرواة رجل واحد لم تتوافر فيه الشروط المذكورة، كان الحديث ضعيفاً أيضاً.

٥ ، الا يكون الحديث شاذاً، والشاذ: هو الحديث المخالف لبقية روايات الحديث التي نقلها الثقات.

٦ ، الا يكون الحديث به علة، وهي نوع من النقد يعرفه أهل الخبرة برواية الحديث.

بهذا الذي سلف من القيود على رواية الحديث، يتبين لنا حرص العلماء المسلمين على التأكد من حقيقة ما ينسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مما حملهم على دراسة سيرة كل راوٍ من رواة الحديث، ومعرفة تاريخ ولادته ووفاته، ليعرف صدقه واتصاله بمن يروي عنه.

وهذا علم واسع جليل يدهش من دقته من يطلع عليه، لقد وضعوا هذه الشروط الدقيقة العلمية وهي غاية ما يمكن ان يصل اليه التحقيق العلمي، والتنقيح التاريخي فبأقل شبهة يرد الحديث. وينزل عن رتبة الصحيح، وبهذه الطريقة رويت احاديث كثيرة جداً عن النبي صلى الله عليه وسلم اشهرها ما في صحيحي البخاري ومسلم وقد جمعت هذه الاحاديث في كتب السنة الكثيرة اشهرها بعد البخاري ومسلم سنن ابي داوود والنسائي والترمذي وابن ماجه وموطأ الامام مالك.

ب – الحسن وهو لا يختلف عن الصحيح الا في كون احد رواته او بعضهم يضبط ضبطاً غير تام اي عرف عنه غلط او ذهول نادر.

جـ – الضعيف: هو الحديث الذي لم تتوفر فيه شروط الحديث الصحيح والحديث الحسن.

بعد هذا البيان نعود فنذكر: ان امور العقيدة لا يقبل فيها الا ما كان متواتراً، بمعنى انه يجب الاعتقاد بما ورد بطريق التواتر، ومن كذب ما جاء بطريق التواتر فقد كفر كمن انكر آية من القرآن أو فريضة من فرائض الصلاة، اما امور العبادات والمعاملات والحلال والحرام وبقية

امور الدين فيقبل فيها الحديث المتواتر والصحيح والحسن فاذا ورد حديثٍ بهذه الطرق يأمر بفعل اصبح ذلك الفعل واجباً او ينهى عن فعل صار ذلك الفعل حراماً، ومن انكر ما جاء في حديث صحيح يفسق، كالذي ينكر عذاب القبر، لان حديثه صحيح، واما الضعيف فلا يعمل به الا اذا كان ضعفه قليلاً وايدته روايات اخرى كثيرة مثله فيكون حسناً لغيره ويعمل به، ومن هنا يتبين:

١ . ان مافي كتب بعض المتقدمين من حكايات منقولة عن كتب بني اسرائيل لا تعتبر ديناً، ولا يجب تصديقها، بل منها ما يجب تكذيبه كحكاية ان الارض على قرن ثور، وان قاف جبل من ذهب محيط بالعالم الى آخر تلك الخرافات، وكم حاربها أهل العلم والحديث سابقاً ولاحقاً، وبينوا كذبها، وهي انما تروج عند العامة والجهلة، الذين لا يعرفون السند ولا الرواية، كما ان الاسلام لا يحمل وزرها اطلاقاً، فهي ليست من كلام نبينا عليه السلام، انما نقلها بعض الناس عن كتب الامم السابقة، فلا تكون حجة على الاسلام.

٢ . انه لا مجال للتلاعب في احكام الدين، لا في السابق ولا في اللاحق، ولا مجال للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان وضع العلماء هذه القيود للتثبت من صحة الرواية عنه صلى الله عليه وسلم، فقد كوّنوا سياجاً يحمي الشريعة من تلاعب اعداء الدين الماكرين.

الاقســـام الــرئيســة للثقافة الاســلاميــة

الاسلام هو الاستسلام لله تعالى، والعمل بمقتضى شريعته في كل ناحية مـن نواحـي الحيـاة، ولذا فان الاسلام كل لا يتجزأ، والتقسيم الذي يشير اليه العنـوان هـو تقسيم للموضوعـات بحسـب النواحي التي تعالجها فما يتعلق بالقلب والاعتقـاد يسـمى (الايمـان) ومـا يتعلـق بالاعمـال الظـاهرة يسمى (الاسلام) ثم ان كانت تلك الاعمال يقصد بها تنظيم علاقة العبد بربـه فهـي (عبـادات) وان كانت تنظم علاقة الانسان بالانسـان فهـي (المعـاملات) وامـا مـا يتعلـق بالصفـات النفسية فيسـمى (الاحسان) او (الاخلاق).

وهذه التسمية يشير اليها الحديث الصحيح الذي رواه عمر بـن الخطـاب رضـي اللـه عنـه ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة رجل فسأله عن الاسلام فقـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: (ان تشهد ان لا اله الا اللـه وان محمـداً رسـول اللـه وتقيـم الصـلاة وتؤتـي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا). (١)

وهذه الاعمال كما ترى كلها مما يمكن مشاهدته، فمن فعلها فهو مسلم تنطبـق عليـه الاحكـام التي تنطبق على المسلمين، وان كان باطناً لا يعتقد بهـذه الامـور، فـان الاسـلام لـه الظـاهر واللـه يتولى السرائر.

ثم سأله عن الايمان فقال (ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بـالقدر خيره وشره). (١)

وهذه محلها القلب فهي العقيدة التي لا يطلع عليها الا الله تعالى.

ثم سأله عن الاحسان فقال: (ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك). (١)

وهذا كناية عن مراقبة الله تعالى في كل عمل وان لم يكن هناك رقيب ومن كـان كذلـك فقـد ارتقى القمة في الاخلاق.

وسوف نتحدث ان شاء الله عن مواضيع مختارة من كل قسم من هذه الاقسام، لأن المقـام لا يتسع لكل فروعها فاكتفينا بالمهم الذي يحتاج الى ايضاح والذي يدور فيه الحديث بين الناس، والله الموفق.

---

(١) متفق عليه.

القسم الأول :

العقيـدة الاسـلاميـة

تتمثل عقيدتنا الاسلامية في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذه ما نص عليه الحديث المتقدم ولنتحدث عن الركن الاول وهو:

الايمان بالله تعالى

وأول ما نبحث تحت هذا العنوان الدليل على وجود الله تعالى:

ان الموجودات في الكون نوعان محسوس وغير محسوس، واذا اردنا اثبات وجود محسوس فالسبيل الى ذلك ان نضعه تحت حس المنكر، فمن انكر وجود جمل لـه سنامان نبرهن لـه على ذلك بأن نريه هذا النوع من الابل؛ ومن انكر أن للورد رائحة زكية، نبرهن لـه بـأن نضـع تحت شمه وردة.. وهكذا كل المحسوسات.

اما غير المحسوس فالسبيل الى اثباته: هو وضع آثاره تحت حس المنكر، مثال ذلك: لو وجدنا انساناً ملقى على الارض ولم ندر أحي هو او ميت، اي أفيه روح ام لا ، لا نستدل على وجود الروح باللمس او الرؤية او غيرهما من الحواس لان الروح لا ترى ولا تحس، لكن نستدل على وجودها بوجود آثارها كالحرارة والنبض...

والفرق بين العالم والجاهل هو وجود العلم في العالم وعدمه في الجاهل، لكن كيف نستدل على وجود العلم في شخص ما، ان العلم لا يحس لكن تحس آثاره، فنلقي عليه أسئلة فان كانت أجوبته مطابقة للواقع كان هذا دليلاً على علمه.

وهكذا نقول في العقل، والفرح، والحزن، وغير ذلك من امثالها نستدل عليها بآثارها.

ونحن نقول ان لله تعالى صفة الوجود، وفي نفس الوقت نقول: انـه لا تدركـه الابصار ولا الحواس، ولذلك نستدل على وجوده بوجود آثاره، ومن آثار الله تعالى هذا الكون المشاهد المحسوس المنظم المتقن، وبيان ذلك فيمايلي:

لا شك ان هذا الكون موجود وليس وهماً ولا خيالاً، فمن اين اتى هذا الكون وكيف وجد؟ ان الفطرة تجيب على هذا السؤال وتؤكد انه لابد له من خالق، فإن اي واحد لو سلك يده في جيبه فوجد فيها قلماً او مفتاحاً غريباً لتساءل: من اين اتى؟ ومن وضعه في جيبي؟ بل يكثر من التساؤلات بحثاً عمن اوجد المفتاح في جيبه، ولا يخطر على بالـه اطلاقاً ان هذا المفتاح وضع نفسه في جيبه من غير واضع!! فاذا كانت الفطرة ترفض وجود مفتاح بلا موجد فماذا عسى ان يكون جوابها لو سألناها عن الكون الهائل المتقن!! ومع ذلك فلندع الفطرة ولنسلك طريقاً آخر.

نحن تساءلنا وقلنا من اين اتى هذه الكون الرائع المنظم؟

وفي الدنيا نظريتان للجواب على هذا السؤال، نريد ان نتفحصهما لنعرف الاقرب منها للمعقول.

تقول النظرية الاولى :-

ان الله القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، هو الذي خلق الكون ونظمه.

وتقول النظرية الثانية :-

ان الكون قديم لا يدرك العقل أوله تطور حتى اصبح بهذا الشكل. ولو ناقشنا النظرية الثانية لتبين لنا مايلي:-

١ . من اين اتى الكون؟ يقولون لا ندري، انه قديم اي لا يتصور العقل له بداية.

٢ . كيف تطور الكون من سديم الى اجرام؟ يقولون بالمصادفة.

٣ . كيف وجد نظام الكون؟ يقولون بالمصادفة.

٤ . كيف وجدت الحياة؟ يقولون بالمصادفة.

٥ . كيف وجدت اصناف الاحياء؟ يقولون بالمصادفة.

هذه بعض الاسئلة التي يمكن ان نلقيها على من يقول بهذه النظرية لكن نكتفي بهذا القدر ونتأمل فيه.

أما الجواب الأول: فغير معقول، لان الكون في اصله جماد، والجماد اعجز الموجودات فكيف يوجد نفسه، ثم ان علماء الطبيعة يقولون انه لا يوجد شيء من العدم فكيف وجد الكون من العدم.

والجواب الثاني: غير معقول أيضاً، لأن الانقسام إلى اجرام لا يكون الا بالحركة (كما يقولون) وكيف توجد حركة بلا محرك مع ان الكون جامد في الاصل ولا محرك للكون الا الله.

والجواب الثالث: أيضاً غير معقول، لأن الكون له نظام معقد والنظام والتعقيد يتنافيان مع المصادفة، ولنضرب على ذلك مثلاً: لو أن أحداً رفع لنا صورة تشبه صورة الطائر وقال: لقد انقلبت هذه الدواة فرسمت هذه الصورة لكان بالامكان ان نصدقه، لكن لو كانت الصورة صورة طائر متقنة لما صدقه أحد، ومن باب أولى لا يصدق ان كانت صورة طائر معين ملونة بالالوان الطبيعية.

إذن كلما ازداد التنظيم والتعقيد اصبحت الصدفة مستحيلة اكثر، ويقول بعض العلماء: ان أدق ساعة في العالم هي ساعة تسير بقوة الذرة وهذه الساعة يمكن ان تقدم أو تؤخر ثانية واحدة لكل مائة سنة، ولو كانت حركة الافلاك تقدم أو تؤخر بهذه النسبة لتحطم الكون واصطدمت

اجرامه، ان تلك الساعة التي يمكن ان تخطيء لا يصدق احد انها وجدت بلا صانع فكيف يصدق عاقل ان حركة الافلاك التي لا تخطيء وجدت بلا صانع، ومن يصدق ان حروف المطبعة اذا انقلبت على الارض يمكن ان تشكل قصيدة ذات معنى؟!

والجواب الرابع: غير معقول، لان المصادفة اعجز من ان توجد الحياة، فالعلماء منذ سنين وبشتى الطرق والمعدات فشلوا في ايجاد خلية حية، فكيف توجد بالصدفة هذه الانواع والاصناف المختلفة من الاحياء؟! ان مالا يوجد عن عمد ومحاولة يستحيل أن توجده المصادفة.

والجواب الخامس: باطل. فقد اكتشف العلماء أن في كل صنف من الاحياء ما يمنع انتقال صنف الى آخر ويحافظ على خصائص الاباء في الابناء وهو ما يسمى بالوراثة او (الجينات) في علم الاحياء.

ان هذا كله قليل من كثير مما يبطل النظرية الملحدة التي تنكر الخالق وقد اجاد في رد هذه النظرية كتب عدة منها (كتاب الله والعلم الحديث) و (كتاب العلم يدعو للايمان) و (كتاب الله يتجلى في عصر العلم) .

وكلها ناقشت الموضوع بأسلوب علمي وهي كتب ضرورية لكل مسلم مدافع عن دينه، اذن لابد من التسليم بالنظرية الاولى وهي (ان الله خالق كل شيء) لكن تعترضنا أسئلة:

الاول :- كيف وجد الله تعالى؟

والجواب على ذلك : ان الله قديم ازلي ليس لوجوده بداية، لأننا بين أمرين.

فاما ان تقول ان الكون ازلي لا بداية له.

واما ان تقول ان هناك خالقاً ازلياً للكون لا بداية له.

وقد بينا ان الكون لا يمكن ان يكون ازلياً فلم يبق الا القول بأن الله ازلي، واذا كان العقل يصعب عليه تصور ازلي لا بداية له فان المنطق السليم يفرض عليه التسليم بذلك، والصعوبة ناشئة عن عجز العقل لا عن عدم صحة الفكرة.

فالعقل عاجز عن ادراك كثير من الامور لانه محدود، منها: أنه لا يستطيع تصور آخر عدد، لأن أي عدد يتصوره يمكن الزيادة عليه وهكذا، وكذلك لا يدرك بداية الاعداد ولا بداية ونهاية الزمان والمكان، فاذا كان عاجزاً عن الاحاطة بهذه المخلوقات فكيف يمكنه ان يحيط بخالقها تعالى؟ وكيف يمكن المحدود (اي العقل) ان يحيط بغير المحدود وهو (الله تعالى).

الثاني :- كيف نؤمن بما لا تحس به؟

والجواب ان هذا السؤال أهون من السؤال الاول: فان العقل والحواس محدودة كما بينا، والله غير محدود فلا يمكن ان تحيط به عقول أو حواس.

ثم ان الانسان يؤمن بكثير من الاشياء وهو لا يحس بها. انما يحس بآثارها. كالعقل والفرح والحزن والاشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء والذرة والالكترونات.. الخ.

فاذا كان حس الانسان لا يصل الى بعض المخلوقات فكيف يصل الى خالقها.

وهكذا يؤدي المنطق السليم الى الايمان بالله تعالى وان كانت الحواس لا تدركه سبحانه وتعالى، فهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار.

وقد وصف الله تعالى نفسه بصفات ذكرها في محكم كتابه (القرآن) وذكرتها السنة المطهرة وعلى المسلم أن يعرفها ويتفهم معانيها (راجع الكتب التي جمعت اسماء الله الحسنى وشرحت معانيها).

الايمان بالرسل عليهم السـلام

الرسول – في اللغة – هو الشخص المرسل لتبليغ خطاب، وبالمعنى الشرعي، شخص ارسله الله تعالى ليبلغ شريعته للناس. ونريد هنا ان نبحث هل من ضرورة تقتضي ارسال الرسل؟ وما هي علامات صدق الرسول؟

حاجة الناس الى الرسل..

بينا سابقاً ان الله تعالى هو الخالق لهذا الكون، ونحن اذا لاحظنا أي نوع من المخلوقات وجدنا عناية الله ورعايته تحيط به من كل جانب، سيما الانسان، فقد هيأ الله له كل الوسائل ليجعله سيد الارض، وخليفته فيها، فالطفل يولد عاجزاً عن تغذية نفسه، ولا يناسبه اي غذاء. لكن رعاية الله له جعلت له غذاء مناسباً في جسم شخص آخر هو امه، وألهمته ان يمتص ذلك الغذاء وهو ابن دقائق لم يفتح عينيه بعد، وجعل الله له ذلك الحنان في قلب الآخرين سيما الوالدين، ليتحملوا اذاه ومشقة تربيته عن طيب خاطر.

وجعل الشمس تشرق ثم تغرب لحكم كثيرة ومصالح عديدة، منها ليجبر الانسان على اراحة هذا الجسد الذي تتلفه مواصلة العمل، وجعل له عينين من أجل أن لا يحرم حاسة البصر ان فقد عيناً بل يستعين بالثانية، الى آخر تلك الامور التي يطول ذكرها والتي يستدل منها قطعاً على عناية الله تعالى بهذا الانسان فهل يمكن لهذه العناية ان تهمله في مجالات اخرى اهم من الطعام والشراب، وهذه المجالات منها مايلي:–

١ ◦ الانسان عاجز تماماً عن ايجاد نظام ناجح لحياة البشر على وجه الارض، يؤمن لهم السعادة، والدليل على ذلك ان الدول التي بلغت مبلغاً عظيماً في مجال العلوم المادية لم تتوصل بعد الى ذلك النظام، فانت تراها تنقض اليوم ما أبرمته بالامس، وتستسخف اليوم ما كانت تعده بالامس عين الحكمة والصواب، وتستجهل ما عدته علمياً، كل ذلك لجهل الانسان بحقيقة نفسه، واقرأ ان شئت كتاب (الانسان ذلك المجهول) او كتاب (الاسلام ومشكلات الحضارة). فالانسان بحاجة ماسة الى نظام عادل يسعده في هذه الحياة.

٢ ◦ الانسان عاجز عن ادراك ما وراء المادة، ذلك لان حواسه محدودة، فهو محصور في حدود المادة، ولا بد له ممن يطلعه على ما وراء المادة، حتى يكون تفكيره وسلوكه منسجمين مع حقائق الكون كله، مرئية وغير مرئية، والاّ جانب تفكيره الصواب، واصبح شاذاً في بعض النواحي بل في اكثرها، فهو بحاجة ايضاً الى ان يعرف شيئاً عن الامور الغيبية.

٣ . ليس كل الناس على درجة واحدة من الذكاء والفهم بحيث يستطيعون الاستدلال بالخلق على الخالق، وبالكون على المكون، وبذلك يبقى كثير من الناس جاهلين بحقيقة لا يجوز ان تجهل، هي ان لهم رباً خلقهم وخلق الكون كله، فضلاً عن ان يستطيع أحدهم تأدية حق ذلك الخالق.

والانسان بحاجة الى ان يعرف خالقه ويؤدي حقه.

٤ . قد يستحوذ على الانسان طاغية، يوهمه بشتى الوسائل ان عليه طاعته والتسليم له، فيهين كرامته ويذيقه الوان الذل والعذاب، فاذا لم يأت من يبين له ان هذا عبد مثلك وانسان لا سلطان له عليك فمن ذا الذي يفك عنه ذلك الغل..

فالانسان بحاجة الى ان يعرف قدر نفسه ويعرف انه مساوٍ لغيره من أبناء جنسه.

هذا قليل من كثير مما يحتاج اليه الانسان حاجة ضرورية ملحة وهو عاجز عن بلوغه بنفسه فهل يعقل ان تتركه عناية الله (التي رعته وليداً ويافعاً وشيخاً والتي أمنت له الكماليات) محروماً من هذه الضروريات..؟ كلا.؟

لقد تطرف بعض الفلاسفة، اذ نظروا الى هذه الامور وغيرها مما يحتاجه الانسان فقالوا: ان ارسال الرسل واجب على الله، وحاشا لله فان الله لا يجب عليه شيء، وانما يفعل ما فيه مصلحة عبادة تفضلاً منه وكرماً، فاقتضت حكمته ان يرسل للبشر رسلاً يبلغونهم ما يسعدهم في دينهم ودنياهم، واقتضى لطفه ورحمته ان يكون الرسل من نوع البشر ليأنسوا بهم وليألفوهم ويستطيعوا مخاطبتهم.

علامات صدق مدعي الرسالة

قلنا ان عناية الله وحكمته تقتضيان ارسال الرسل للبشر من بني جنسهم، لكن ماهي العلامات التي نستدل بها على ان هذا الشخص رسول مبلغ عن الله؟ ان كل من يدعي دعوى اذا اردنا ان نعرف صدقه يجب ان ننظر الى نفس الدعوى وما تضمنته، وننظر الى الملابسات وقرائن الاحوال، اذن يجب النظر الى نفس تعاليم من يدعي الرسالة، والنظر الى سيرته، والى ما يثبت به دعواه، ولننظر هذه النظرات الى بعض الرسل، وغيرهم ممن ادعى الرسالة.

١ . ان كل الرسل الذين ذكروا في القرآن الكريم والذين بلغنا شيء من رسالاتهم يدعون الى توحيد الله، وعبادته، والى المحافظة على الدين، والعقل، والنفس، والعرض، والمال، واي شيء من هذا يأباه العقل السليم، ولو تدبرنا التعاليم التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي كثيرة متوفرة بين ايدينا، ومحفوظة من التلاعب، لوجدناها تبهر العقول، فهي تضع الامور في مواضعها، وتسبق الزمن بقرون كثيرة.

مثــلاً : خذ قضية الرق، لقد اعلن الرسول عليه الصلاة والسلام ان العبد أخو السيد، والاسود أخو الابيض، في الوقت الذي كانت الطبقية متأصلة في النفوس ولم يكن يتصور ان العبد والسيد من أصل واحد.

وهذا ما نفر بعض السادة الحمقى من رسالته صلى الله عليه وسلم لأنه يدعو الى مساواتهم بالعبيد، ومضت قرون حتى أدرك الناس هذه الحقيقة، وبعض الدول لم تدركها حتى الآن، فهي تحتقر الاسود لأنه أسود.

اما قضية المرأة – فقد بين عليه السلام انها اخت الرجل، ولكل مجال يختص به، وهناك مجال يشتركان فيه وبنى أروع مجتمع على هذا الاساس، في الوقت الذي كان يتساءل فيه الفلاسفة هل المرأة انسان أم لا؟ وقد فشلوا اذ لم يجعلوها انساناً، او جعلوها انساناً من الدرجة الثانية، ثم فشلوا اذ سووها بالرجال في كل شيء، والآن تظهر بوادر تدعو الى تخصيص كل في مجال، اي للآن لم يدركوا بوضوح ما اوضحه النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل قرون.

ثم انه يدعو الى العدل، والاحسان، وايتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وما الذي ينافي العقل من هذا كله؟ بل هل يتصور العقل كمالا بعد هذا الكمال؟ ان دعوة كهذه تحمل في طياتها الدليل على صدق صاحبها صلى الله عليه وسلم.

لكن قارن هذا بما دعى اليه مدعي النبوة في الهند (ميرزا غلام احمد القادياني) لقد دعى الى ترك الجهاد، ووجوب طاعة السلطة الحاكمة مهما كان نوعها وان الانكليز هم خلفاء الله في الارض، لا يجوز رفع السلاح في وجوههم؟ اي عاقل في الدنيا يصدق كلمة من هذا؟ سيما اذا علم انه قال بهذا والانكليز يحكمون الهند!!

انه كلام أسخف من ان يناقش، وان دعوة كهذه الدعوة تحمل في طياتها الدليل على كذب صاحبها.

٢ • ومما يستدل به على صدق مدعي الرسالة سيرته قبل الدعوة وبعدها، فان وجدناه مستقيماً في صغره وشبابه، سيما من ناحية الصدق، كان ذلك دليلاً على صدق ما يدعي، وبهذا الدليل استدلت خديجة (رضي الله عنها) على ان الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء هو الوحي، لقد كانت تعرف سيرته جيداً واعرف الناس بالرجل اهل بيته فعلمت ان صاحب السيرة المستقيمة لن يكذب ولن يبتليه الله بتخيلات باطلة، وكذلك استدل بهذا الدليل الكثيرون ممن آمنوا بادىء الامر، بل إن بعض اعدائه استدل بهذا الدليل لكن صرفه عن الايمان الكبر او الحسد، لقد عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقاً اميناً ولا داعي لتكذيبه بعد ان ادعى الرسالة، وبعد الرسالة لم يجرّ لنفسه مكسباً شخصياً، ولم تتغير سيرته، بل ازداد خيراً وفضلاً، وهكذا كل الرسل عليهم السلام، ويتضح هذا عندما تقارن سيرته صلى الله عليه وسلم بسيرة مسيلمة في الماضي

وميرزا غلام احمد في العصر الحديث، ان الانحراف والحرص على المنافع الشخصية اشهر من ان يشار اليهما، في سيرة هذين الكذابين.

وكذلك يجب النظر في شخصية مدعي النبوة فان وجدناه راجح العقل سليم التفكير دلنا ذلك على صدقه، والعكس بالعكس، ولو طبقنا هذا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لرأينا الاعداء والاصدقاء يشهدون برجاحة عقله، وحسبك موقفه من وضع الحجر الاسود، لقد سأل هرقل ابا سفيان عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلما اخبره عن سلوكه وشخصيته علم انه رسول من عند الله.

٣ . ومما يستدل به على صدق مدعي النبوة المعجزة التي يأتي بها، والواقع انها الدليل الظاهر الذي يدركه ويفهمه الجميع، فما كل الناس لديهم تلك القدرة العقلية التي يستطيعون بها الاستدلال على صدق الرسول من جوهر رسالته، وان كان هذا اقوى الادلة، وحتى لا يبقى لاحد عذر ولا حجة يظهر الله المعجزات على أيدي الرسل، والمعجزات يعرفها علماء التوحيد بأنها: امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، وقولهم خارق للعادة اي لم تجر عادة بحدوث مثله وان كان هو في حد ذاته ممكناً عقلاً، فمثلاً من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم نبع الماء من بين اصابعه فهذا لم تجر العادة بمثله، وان كان ممكناً عقلاً، وقولهم مقرون بالتحدي اي بدعوى الرسالة او النبوة، فان لم يكن مقروناً بالتحدي وظهر من رجل صالح فهو كرامة، وان كان على يد رجل مسلم عادي فهو معونة، وان كان على يد فاسق فهو استدراج، وقولهم مع عدم المعارضة اي ان لا يستطيع احد الاتيان بمثله، واشترطوا ان لا يكون مكذباً للمدعي، وان لا يكون في آخر الزمان، لأن خرق العوائد يكثر في آخر الزمان، كما ورد في الاحاديث الصحيحة عن الدجال، وهذه الشروط كلها متوفرة في القرآن الكريم، فقد عجز الناس عن ان يأتوا بمثله، ومتوفرة في كل معجزات الانبياء والرسل عليهم السلام.

صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام

تحدثنا فيما سبق عن علامات صدق الرسول وهنا نريد ان نذكر بعض الصفات التي يوجبها الشرع لكل رسول، ذلك لأن الرسول مبلغ عن الله، فلا بد ان تتوفر في هذا المبلغ صفات تتناسب مع المهمة المكلف بها، وهذه الصفات هي:-

١ . **الفطانة** : اي الذكاء ليستطيع اقامة الحجة على المخالفين والمعاندين، وهذه الصفة يلمسها كل من تتبع الرسل عليهم السلام ومحاججتهم لاقوامهم، فانظر كيف جعل ابراهيم عليه السلام قومه يضطرون الى الاقرار بعجز آلهتهم، عندما كسرها ولم تستطع ان تدافع عن نفسها. وكيف استفاد

يوسف عليه السلام من حاجة سائليه في السجن ليبلغهم الدعوة، وكيف استطاع نبينا صلى الله عليه وسلم ان يعرف عدد الاعداد يوم بدر عندما سأل السقاة كم ينحر القوم كل يوم والقصة معروفة.

٢ . **العصمة** . بمعنى أنه لا يصدر عنهم أي فعل أو قول مخالف لامر الله تعالى، ولا تقع منهم معصية مهما كان نوعها، وذلك لان الله امرنا باتباعهم، فلو وقعت منهم معصية مهما كان نوعها لكان معنى ذلك: ان الله يأمرنا باتباعهم في المعصية، وهذا مستحيل، وهذه العصمة متفق على وجوبها لهم بعد الرسالة، واما قبلها فالصحيح المعتمد أنهم معصومون أيضاً، ودليل ذلك أننا لا نجد في سيرتهم قبل البعثة اي ذنب، ولذلك يجب رد كل اكاذيب بني اسرائيل على الانبياء، كتلك القصص المنسوبة الى بعضهم، والتي نجدها بكل اسف في كتب من لا يتحرى الدقة في النقل من المسلمين، وأما الآيات التي قد يفهم منها وقوع بعض المعاصي من بعض الرسل، فارجع الى كتب تفسير أهل السنة لترى انها ليست معاصي بالمعنى الذي نقصده هنا.

٣ . **الصدق** . لما ثبت أن الرسل معصومون من المعاصي فان من افحش المعاصي الكذب، سيما الكذب على الله تعالى، فهم اذن معصومون من الكذب، فوجبت لهم صفة الصدق، ثم ان تأييد الله لهم تصديق لهم، فلو جاز أن يكذبوا لكان ذلك تأييداً لهم على الباطل، وذلك مستحيل في حق الله تعالى.

٤ . **التبليغ** . اي تبليغ ما أمرهم الله بتبليغه للناس، ودليل ذلك ان الله اذا امرهم بالتبليغ اصبح واجباً عليهم، فاذا لم يبلغوا فقد عصوا، وهم معصومون من المعصية، اما مالم يؤمروا بتبليغه فهم لا يبلغونه، ومن افحش الضلالات ضلالة من يدعي ان الرسول صلى الله عليه وسلم خص بعض الصحابة بشرع باطن، يخالف الشرع الظاهر المبلغ لباقي الناس، وانت ترى ان ذكرنا لصفة العصمة تغني عن ذكر صفة الصدق، والتبليغ، وانما تذكران مفردتين اهتماماً بامرهما.

٥ . **حفظ الله لهم من الامراض المنفرة**. وذلك لان الله يأمر الناس باتباعهم والمرض المنفر يبعد الناس عنهم لما جبلت عليه الطباع من النفرة من المرض، وحكمة الله تأبى الامر باتباع قوم تنفر الطباع منهم، ولذلك يأبى العقل السليم ما تذكره الاسرائيليات عن مرض ايوب عليه السلام، ويجزم بأن ذلك كذب، اما المرض الذي لا ينفر فذلك جائز في حقهم.

٦ . **الذكورية** . لقد بين الله تعالى ان الرسل كلهم رجال قال تعالى: ﴿**وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**﴾(١). وذلك لأن كل الشرائع متفقة على وجوب المحافظة على العرض، وهو يقتضي صون النساء عن الاختلاط بالرجال، بينما مهمة الرسول تتطلب الاختلاط بالناس، رجالاً ونساء، فتنافت طبيعة المرأة مع مهمة الرسول.

(١) النحل : ٤٣

الفرق بين الرسول والنبي :

النبي رجل اوحي اليه بشرع امر بتبليغه ام لا.

والرسول رجل اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه.

ومن هذا يتبين ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

وقد ارسل الله تعالى رسلاً الى كل امة في الارض قال الله تعالى: ﴿**وان من امة الا خلا فيها نذير**﴾(١) ولكن الله تعالى لم يذكر لنا الا أولئك الذين كانوا هم وأقوامهم في منطقتنا لأن الاتعاظ بقصصهم بالنسبة لنا اكثر، او لحكمة يعلمها الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**﴾(٢) وعدد الرسل الذين قصهم الله تعالى علينا في القرآن خمسة وعشرون يجب الايمان بانهم جميعاً رسل. وبذلك يتبين لنا جهل من يسأل ويقول لماذا لم يرسل الله رسلاً الا لمنطقة الشرق الاوسط، فلو قرأ كتاب الله تعالى لما سأل هذا السؤال.

---

(١) فاطر : ٢٤ ، (٢) غافر : ٧٨.

الايمان بالكتب السماوية

الايمان بالكتب السماوية ركن من اركان عقيدتنا الاسلامية، قال الله تعالى: **﴿آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾**.(١) والكتب هي: كلام من كلام الله تعالى فيه هدى ونور يوحي الله به الى رسول من رسله ليبلغه للناس وتسمى: سماوية لأن الوحي ينزل بها من السماء.

حاجة الناس الى الكتب السماوية..

وهذه الكتب ضرورية لبقاء الدين بين الامم، لأن رسالة الرسول ليست لجيل واحد بل لاجيال، والرسول المبلغ للرسالة بشر، يعرض له الموت كما يعرض للبشر، فاذا كانت الرسالة تنقضي بانقضاء عمر صاحبها احتاج الناس عندئذ الى رسول في كل جيل، واذا لاحظنا تلك المشقة التي يواجهها كل رسول في بداية دعوته لاقناع الناس برسالته كان معنى ذلك ان يعيش البشر دائماً في ازمة الثقة بالرسل، ويشغل الناس كل اوقاتهم بالتمييز بين الرسول الصادق وبين مدعي الرسالة، بل قد يؤمن رجل برسول فيطول به العمر فيبعث رسول آخر فلا يصدق برسالته لسبب ما فيحبط عمله ويموت كافراً، وهذا كله حرج ومشقة لا يحملها الله لعباده ولذلك اقتضت حكمته تعالى ان ينزل كتباً على الرسل تحفظ عقائدهم، وتنظر بها الاجيال فيؤمنون بها وبمن نزلت عليه، وبذلك تبقى الرسالة حية كأن الرسول الذي نزلت عليه ما زال حياً.

واذا كانت الرسالات متفقة في العقيدة وفي الامور الكبرى من التشريع فانها تختلف في الفروع، لان بعضها كان يعالج وضعاً خاصاً لامة من الامم، او لمرحلة خاصة من مراحل تطور البشر، فاذا ما انتهت هذه المرحلة أو زال ذلك الوضع لم تعد حاجة الى تلك الاحكام، فتأتي شريعة بعدها من الله تحكم بحكم آخر في تلك الفروع، مثلاً كان من الجائز ان يتزوج الاخ بأخته في شريعة آدم، ومن الواجب قتل النفس عند التوبة من بعض الذنوب في شريعة موسى، فنسخ ذلك بشرائع لاحقة لهما.

ثم ان حفظ الكتاب انما يكون بكتابته، ووسائل الكتابة لم تصل الى درجة تستطيع بها الناس حفظ كتب مهمة كهذه الكتب الا في فترة متأخرة من تاريخ البشر، لذلك كله ولغيره مما يعلمه الله رأينا الكتب يتلو بعضها بعضاً، مؤكداً اللاحق منها ما ورد في السابق من عقائد، ومعدلاً للفروع بحسب حالة البشر، ولم تحفظ تلك الكتب من التغيير والتبديل، مع ان الله قد كلف اصحابها

---

(١) البقرة : ٢٨٥.

المنزلة عليهم بحفظهـا، قـال تعـالى: ﴿**بمـا اسـتحفظوا مـن كتـاب اللـه**﴾(١) وحـرم عليهم الزيـادة والتلاعب فيها، وقال تعالى: ﴿**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على اللـه وجوههـم مسـودة**﴾(٢). ولكن ما يضيع منها سيأتي كتاب بعده يجدده. ويتحمل المغيرون لكتب الله أوزارهم وأوزار الذين أضلوهم من عباد الله.

أما بعد أن وصل البشر الى مرحلة من الرقي، ودخل ابواب عهد الازدهار، واتصل بعضهـم ببعض، وتقدمت وسائل الكتابة، ولم يبق من عمر الدنيا الا القليل بالنسبة لمـا مضـى، اذ اصبحـت في المرحلة الختامية فقد انزل الله تعـالى كتابـه القـرآن علـى نبيه محمـد صلـى اللـه عليـه وسـلم، وحفظه من التغيير والتبديل، وجعله خاتماً للكتب، كما جعل الرسـول المـنزل عليـه خـاتم الانبيـاء. وما زال القرآن كما هو منذ نزل حتى الآن ولله الحمد والمنة، وذلك لانه لا كتـاب بعـده ولا نبـي بعد النبي الذي نزل عليه، فاقتضت حكمة الله ان يحفظه، ليبقى هذا الدين محفوظاً وكـأن نبيـه مـا زال حياً.

الكتب التي يجب الايمان بها:

كما ان الرسل كثيرون ولكن لا يجب الايمان الا بمـن ورد ذكـره فـي القـرآن الكريـم منهـم، فكذلك الكتب لا نطالب بالايمان الا بما ورد ذكره في القرآن وهي: صحف ابراهيم، والتوارة التـي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى : ﴿**ان هذا لفي الصحـف الاولـى صحـف ابراهيـم وموسـى**﴾(٣) والزبـور الـذي انـزل علـى سيدنا داوود عليـه السـلام قـال تعـالى: ﴿**وآتينـا داود زبورا**﴾(٤) والانجيل الذي نزل على سيدنا عيسى عليه السـلام قـال تعـالى ﴿**وقفينـا علـى آثـارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور**﴾(٥) .

والقرآن المنزل على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لكـن هنـاك فـرق بيـن ايماننا بالقرآن الكريم وايماننا ببقية الكتب.

اما القرآن الكريم فهو معجزة من عند الله تعالى، ولقد نقل الينا عن النبـي محمـد صلـى اللـه عليه وسلم بالتواتر، ولذلك نؤمن به جملة وتفصيلا، وهكذا يجب الايمان به، فالايمان به جملـة ان نؤمن بأن الله انزل كتاباً على رسوله محمـد صلـى اللـه عليـه وسـلم واسـم هـذا الكتـاب: القـرآن، والايمان به تفصيلا ان نؤمن بان كل كلمة فيه أنزلها الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لانه محفوظ من التغيير، ومنقول الينا بالتواتر.

وأما بقية الكتب فنؤمن بها جملة بمعنى أننـا نؤمـن ان اللـه أنـزل كتابـاً علـى موسـى (مثـلاً) واسمه التوراة، لكن ماذا في التـوراة، فهـذا لا نـدري عنـه، وذلـك لان الموجـود الآن فـي التـوراة

(١) المائدة : ٤٤ ، (٢) الزمر : ٦٠ ، (٣) الاعلى : ١٨ – ١٩ (٤) الاسراء : ٥٥ ، (٥) المائدة : ٤٦.

محرف ومبدل والدليل على ذلك قول الله تعالى عن اليهود: ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً**﴾.(١) والآيات بهذا المعنى كثيرة، ولذلك نؤمن بالتوراة وبقية الكتب جملة لا تفصيلا، ثم ان الباحثين من غير المسلمين في الكتب المقدسة لديهم يقولون ان هذه الكتب دخلها التغيير والتحريف، وهكذا نقول بالنسبة للانجيل، والزبور، والصحف، نؤمن بها جملة لا تفصيلا، ويستثنى من هذا ما جاء في القرآن يخبرنا الله به عما في تلك الكتب، فاذا ورد في القرآن ان الله انزل في التوراة كذا آمنا به تفصيلا، لأنه ورد الينا بالطريق القطعي، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿**وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين**﴾ الآية،(٢) وقوله تعالى: ﴿**أم لم ينبأ بما في صحف موسى، وابراهيم الذي وفى، أن لا تزر وازرة وزر اخرى**﴾(٣).

اعجاز القرآن :-

القرآن الكريم معجزة دائمة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وليست معجزة مؤقتة كباقي المعجزات، معجزة سوف تستمر الى ان يرث الله الارض ومن عليها، شاهدة على صدق من نزل عليه هذا الكتاب، وهدى يهتدي به الناس.

ووجوه الاعجاز في القرآن الكريم كثيرة، لا يمكن الاحاطة بها، فكل يوم يكشف البحث عن وجه من هذه الوجوه.

١ . فهناك الاعجاز اللغوي الذي الف فيه السابقون واللاحقون المجلدات ثم عادوا يعتذرون عن تقصيرهم فقد فاتهم الكثير، وهو اعجاز يستطيع احدنا ان يلمسه بنفسه اذا قارن بين حديث القرآن الكريم عن موضوع وبين حديث الشعراء والبلغاء عن نفس الموضوع.

٢ . واعجازه في الاخبار عن مغيبات ثم جاءت مطابقة لما قال:

أخبر ان الانس والجن لن يستطيعوا الاتيان بمثله بل بمثل سورة من سوره وفعلا لم يستطيعوا رغم المحاولات. وأخبر أنه محفوظ من التغيير والتبديل وفعلاً حفظ رغم تباعد القرون.

وأخبر انه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهاهم الباحثون من الاصدقاء والاعداء، وهاهي العلوم الحديثة، لم يجدوا فيه ما يخالف الحق والصواب بل وجدوا فيه ما يشير الى مكتشفاتهم.

وأخبر أن الروم ستغلب الفرس في فترة معينة، وفعلاً غلبوهم.

وأخبر أن الجمال سيستغنى عنها كواسطة للنقل ﴿**واذا العشار عطلت**﴾وها نحن نعيش عصر الاستغناء عنها.

---

(١) البقرة : ٧٩ ، (٢) المائدة : ٤٥ ، (٣) النجم : ٣٦ – ٣٨.

٣ . واعجازه العلمي الذي تطالعنا به الابحاث كل يوم، قوله تعالى: ﴿**وارسلنا الرياح لواقح**﴾(١) معجزة، ﴿**وإذا البحار سجرت**﴾(٢) معجزة، ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق**﴾(٣) معجزة وغيرها كثير لا أريد الاطالة في الحديث عنها فلها كتب خاصة.

٤ . الاعجاز التشريعي الذي يظهر لك وأنت تقارن تشريعه منذ قرون بتشريع البشر. هذه بعض وجوه اعجاز القرآن الكريم كلها تشهد انه من عند الله العالم بكل شيء القادر على كل شيء.

وبما أنه قد ثبت لدينا أن القرآن معجزة من عند الله يجب أن نأخذ كل ما فيه بالتسليم لانه من عند الله، ونأخذ بالتسليم أيضاً كل ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله صدقه بكل ما يقول اذ أيده بالمعجزات.

وقد ذكر القرآن الكريم صفات لله تعالى نريد ان نستعرض بعضها ونحيل بالباقي على كتب التوحيد.

بعض صفات الله تعالى :-

أخرت الحديث عن هذه الصفات الى هذا الموضع لان دليل بعضها شرعي اي من القرآن الكريم ولا يصح الاستدلال الا بعد اثبات ان القرآن حجة لانه من عند الله.

١ . **الوحدانيـــة** : أي ان إله الكون واحد وهو الله تعالى، ومما يدل على هذا:-

أ . ان الذي يدرس نظام الكون يجده وحدة متكاملة وهذا دليل على أن الذي خلقه واحد.

ب . لو كان في الكون إله مع الله لأمكن ان يختلفا وعندها يفسد العالم ويدمر، وبما انه لم يفسد فهذا دليل على ان الله واحد لا إله غيره في الوجود.

جـ . ان الذين ادعيت لهم الالوهية توجد فيهم صفات العجز والنقص والاله لا يكون عاجزاً، إذن هم ليسوا بآلهة، وتأمل قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون ممن دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**﴾(٤) صدق الله العظيم.

د . وقد قال الله تعالى: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾(٥) وآيات التوحيد كثيرة جداً في القرآن الكريم. وحسبنا قول الله تعالى: ﴿**قل هو الله أحد، اللـه الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد**﴾.

٢ . **القـــدرة** :

أن من يتأمل الموجودات يعلم بداهة أن خالقها ذو قدرة لا حدود لها، وقد وصف الله تعالى نفسه بذلك فقال: ﴿**وكان الله على كل شيء مقتدرا**﴾.(٦)

---

(١) الحجر : ٢٢ ، (٢) التكوير : ٦ ، (٣) فصلت : ٥٣.

(٤) الحج : ٧٣ ، (٥) آل عمران : ٢ ، (٦) الكهف : ٤٥.

وهذه القدرة تتعلق بالممكنات، مثلاً من الواجب أن تكون المائة اكثر من الخمسين فلا يصح أن يقال: هل يستطيع الله أن يجعل المائة أكثر من الخمسين، لأن هذا تحصيل حاصل، ومن المستحيل أن تكون الخمسين اكثر من المائة فلا يصح أن يقال: هل يستطيع الله تعالى أن يجعل الخمسين أكثر من المائة؟ ولا ان يقال: هل يستطيع الله أن يخرج العبد من ملكه، لأن القدرة تتعلق بالممكنات وهذا من المستحيلات، امالو قال أحد هل يستطيع الله أن يجعل النار لا تحرق؟ لقلنا نعم لان ذلك ممكن، وبهذا نعلم جهل الذين يقولون: هل يستطيع الله أن يخرجني من ملكه؟ لأن ذلك مستحيل والقدرة أياً كان صاحبها لا تتعلق بالمستحيلات، انهم يجهلون اصول التفكير الصحيح! والعاجز هو الذي يعجز عن الممكن اما المستحيل فلا يتصور العقل وجوده فكيف يطلب ذلك من احد، واذا تصور العقل وجود المستحيل بقدرة اي كان لم يعد مستحيلاً، وهذا يخالف بسؤاله قوانين العقول السليمة، ومثله من يقول: هل يقدر الله أن يخلق إلهاً مثله؟ وجوابه: أن العقل لا يتصور إلهاً مخلوقاً فالمخلوق لا يكون إله.

ومثل هذه الأسئلة جوابها أن يقال للسائل: هل يتصور عقلك هذا الذي تطلبه؟ فان قال: لا، فقد أجاب نفسه، وان قال نعم، فهو من الجاهلين، الذين لا يستحق سؤالهم جواباً، وماذا يقال لمن يتصور مالا يتصوره العقلاء؟!

٣ . العلــم :-

لقد ثبت لدينا أن الله تعالى خالق كل شيء، ولا بد إذن أن يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، وكيف يخفى عليه شيء هو خلقه، وهذا ما أشار الله إليه بقوله تعالى: **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾**.(١) وصفة العلم اثبتها الله لنفسه في آيات عديدة منها قوله تعالى: **﴿ان الله كان بكل شيء عليما﴾**.(٢)

وعلم الله محيط بما كان وما يكون إلى يوم القيامة وما بعد يوم القيامة.

٤ . **المخالفة للحوادث:**

ان الانسان اذا عجز عن رؤية الشيء حاول الوهم والخيال أن يرسم صورة لذلك الشيء، ولكن الانسان يخطيء لو حاول ذلك بالنسبة الى الله تعالى ذلك لأن الله تعالى نص في محكم كتابه على أنه **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**.(٣) ورحم الله العلماء اذ قالوا: كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.

هذه بعض صفات الله تعالى، وهناك صفات اخرى تجدها في القرآن الكريم وقد جمعتها كتب التوحيد فارجع اليها.

---

(١) الملك : ١٤ ، (٢) النساء : ٣٢ ، (٣) الشورى : ١١.

الايمان بالملائكة

الايمان بالملائكة ركن من أركان العقيدة الاسلامية. والملائكة خلق من مخلوقات الله لا نحس بهم ولا نعرف عنهم شيئاً الا ما وردنا عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم، ولولا ان الله اخبرنا بهم لما عرفناهم، وسنذكر بعض صفاتهم التي ذكرت في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة:

١ . انهم مخلوقون من نور: قال عليه الصلاة والسلام: (خلقت الملائكة من نور) (١) وليس كل الانوار يراها الانسان. فقد أثبت العلم الحديث أن بعض الالوان أو الانوار لا يراها الانسان، كالاشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء، أما كيف شكلهم فالله أعلم، لم يردنا بذلك نص، فلا ينبغي ان نتصور أنهم على شكل بني آدم أو غيرهم.

٢ . انهم قادرون بقدرة الله تعالى على التشكل باشكال جسمانية، قال الله تعالى عن جبريل: **﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾**.(٢) وذكر ذلك أيضاً عن غير جبريل كالملائكة الذين جاءوا الى ابراهيم عليه السلام ثم إلى لوط، ليهلكوا قومه بما اقترفوا من الفواحش.

٣ . ان لهم قدرة هائلة، فمن ذلك انهم جعلوا قرى قوم لوط عاليها سافلها كما ذكر الله تعالى في القرآن الكريم.

٤ . انهم لا يعصون الله تعالى، قال الله عز وجل: **﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾**.(٣)

٥ . انهم لا يتناسلون كبني آدم، وقد ذم الله الكافرين الذين زعموا أن الملائكة إناثا.

٦ . ان منهم أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، قال تعالى: **﴿جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾**.(٤) لكن ما شكل هذه الاجنحة؟ الله اعلم، ثم ما هو عدد الملائكة؟ إن الآية تشير إلى أنهم كثيرون قال تعالى: **﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾**.(٥)

بعض الاعمال التي يقومون بها:

لقد بين القرآن الكريم والسنة المطهرة ان الملائكة يقومون باعمال منها:

١ . مراقبة أعمال المكلفين قال تعالى: **﴿ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد﴾**.(٦)

٢ . قبض الارواح عند الموت قال تعالى: **﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾**.(٧)

٣ . تبليغ الشرائع للرسل وهذه وظيفة جبريل عليه السلام قال تعالى: **﴿قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله﴾**.(٨)

٤ . تعذيب أهل النار – نعوذ بالله منها – قال تعالى: **﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه﴾**.(٩)

٥ . اكرام أهل الجنة – جعلنا الله من أهلها – والسلام عليهم قال تعالى: **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**.(١٠)

---

(١) رواه مسلم ، (٢) مريم : ١٧ ، (٣) التحريم : ٦ ، (٤) فاطر : ١ ، (٥) المدثر : ٣١.

(٦) ق : ١٨ ، (٧) السجدة : ١١ (٨) البقرة :٩٧ ، (٩) الحاقة : ٣٠ – ٣١ ، (١٠) الرعد : ٢٣ – ٢٤

الايمان باليوم الآخر

اليوم الآخر هو ذلك اليوم الذي تنتهي به الدنيا بخراب شامل للكون وتبدأ به الحياة الآخرة وقد ذكره الله تعالى كثيراً في القرآن فصار الايمان به جزءاً من العقيدة الاسلامية، وقد ذكره الله تعالى بأسماء متعددة، وذلك بالنسبة لما يحدث فيه من امور، ومن هذه الاسماء يوم البعث، لأن الله يبعث فيه الاموات من قبورهم، ويوم الخروج، لأن الناس يخرجون فيه من قبورهم، ويوم الدين، لأن فيه مجازاة الناس على اعمالهم، ويوم الفصل، لأن الله يفصل فيه بين العباد.

ولاقتراب يوم القيامة علامات ذكرها الله في القرآن الكريم منها: خروج الدابة، قال الله تعالى: **﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾**.(١) ومنها خروج يأجوج ومأجوج قال تعالى: **﴿حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق﴾**.(٢) ومنها الدخان، ومنها طلوع الشمس من مغربها وقد اخبر عن ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم. كما أخبر عن الدجال ويرجع في شرح هذه الامور الى الكتب الخاصة بها.

ويبدأ يوم القيامة عندما ينفخ في الصور، والصور هو البوق لكن الله أعلم بشكله وحجمه قال تعالى: **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله﴾**.(٣) وعند هذه النفخة يموت أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله أن يؤخر موته بعد النفخ، ثم ينفخ فيه مرة اخرى فيقوم الاموات جميعاً الذين ماتوا عند النفخة الاولى والذين ماتوا قبل ذلك قال تعالى: **﴿ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون﴾**.(٤) وهذا الذي يطلق عليه اسم البعث، وهو أول مشهد من مشاهد يوم القيامة.

وهنا سؤال هل من الممكن ان تعود الاجساد بعد تفرقها؟

وهذا السؤال كان يشكل جوابه على المشركين في أيام كان فيها العلم بدائياً، أما اليوم فجوابه سهل، وذلك لأن الانسان الآن يعلم أن جسمه يتألف من خلايا، وهذه الخلايا تكاثرت بواسطة الغذاء، اي تكونت منه والغذاء إما مواد نباتية أو حيوانية، والحيوان يتغذى بالنبات، والنبات الذي يتغذى منه الانسان والحيوان انما يمتص غذاءه من التراب، ولذلك فإن جسم الانسان عبارة عن تراب تحول إلى شكل آخر، ولقد أثبت العلماء أن جسم الانسان يتألف من نفس العناصر الموجودة في التراب.

---

(١) النمل : ٨٢ ، (٢) الانبياء : ٩٦ – ٩٧ ، (٣) الزمر : ٦٨.

(٤) الزمر : ٦٨.

وإذا لاحظنا أن الانسان يأكل أطعمة تأتيه من اطراف الدنيا، علمنا ان الله جمع جسم الانسان في الدنيا قبل الآخرة من ذرات تراب كانت متفرقة في انحاء العالم، فاذا كان ربنا سبحانه وتعالى قد أنشأه ابتداء من التراب فلا عجب أن يعيد خلقه مرة اخرى، هذا بالنسبة للجسد، واما الروح فلا تفنى وانما تنتقل بعد الموت منفصلة عن الجسد الى عالم آخر فاذا أعاد الله بناء الجسد عادت إليه الروح من جديد.

هذا من ناحية العقل والامكان، واما من الناحية الدينية فطالما آمنا بأن القرآن من عند الله فيجب أن نؤمن بكل ما ورد فيه، ومن جملة ذلك ما اخبرنا الله به من اعادة هذه الاجسام، وان كان القرآن نفسه لا يلقي هذه القضية بلا دليل، بل بدليل عقلي ويبين للناس ان الله يحيي النبات الميت بواسطة الماء، وكذلك يحيي الانسان بواسطة هو يعلمها، ويبين لهم ان الذي أنشأهم ابتداء قادر على ان يعيدهم مرة اخرى، بل مقتضى العقل أن الاعادة أهون من الابتداء، ومن يلاحظ أدلة القرآن الكثيرة في هذا الموضوع يعلم أن الله لا يترك للناس حجة باطلة إلا دحضها، ويقيم البراهين القاطعة لذوي العقول السليمة على كل قضية يقولها.

مشاهد يوم القيامة :

من يتبع آيات القرآن التي تصف ما سيحدث يوم القيامة يجد أن معظم (١) الناس سيمرون بمراحل هي:

١ • **البعث من القبور**: وقد تحدثنا عنه.

٢ • **الحشر** : وهو جمع الناس في صعيد واحد قال تعالى: **﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾**.(٢) وهو يشمل الجن والانس والبهائم والملائكة قال تعالى: **﴿وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون﴾**.(٣)

ويحشر كل انسان على حالة تتناسب مع عمله في الدنيا قال تعالى: **﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾**.(٤) ويطول هذا الحشر ويشتد الكرب حتى يشفع بهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه هي الشفاعة العظمى ويبدأ بعدها الحساب.

---

(١) قلنا معظم الناس لانه ورد في الاحاديث الصحيحة ان بعضهم لا يمر ببعض هذه المراحل كالحساب فقد ورد ان البعض يدخلون الجنة بلا حساب وكذلك شدة الحشر وما فيها من متاعب واهوال الخ ...

(٢) الكهف : ٤٧ ، (٣) الانعام : ٣٨ ، (٤) آل عمران : ١٠٦

٣ ، **الحساب والعرض :**

وهو ان يقف كل انسان بين يدي الله تعالى ليحاسبه على ما عمل قال تعالى: ﴿**إن الينا ايابهم، ثم ان علينا حسابهم**﴾.(١) وفي هذا الموقف يرى الانسان اعماله مجسمة قال تعالى: ﴿**ووجدوا ما عملوا حاضرا**﴾ (٢) واذا انكر شيئاً منها شهدت عليه جوارحه قال تعالى: ﴿**يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون**﴾.(٣)

٤ ، **وزن الاعمال :**

وهو ان توضع الحسنات في كفه والسيئات في الاخرى، فان رجحت كفة الحسنات نجا، وان رجحت كفة السيئات، اما ان يعذب على ذنوبه، أو يغفر الله له بشفاعة أو غيرها، وهذا الوزن بالنسبة للمؤمن، أما الكافر فالظاهر أنه لا يوزن له عمل قال تعالى: ﴿**فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً**﴾.(٤)

٥ ، **الصراط :**

وهو جسر على متن جهنم، يمر عليه الناس بسرعات تتفاوت بحسب اعمالهم، وقد اشار الله اليه بقوله: ﴿**وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا**﴾.(٥) وقال تعالى: ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم**﴾.(٦) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يضرب الصراط بين ظهراني جهنم). (٧)

٦ ، **الجنة والنار :**

عند المرور على الصراط يقع في النار من يستحقها وهم على نوعين: مؤمن ذو ذنوب، فهذا يعذب على قدر ذنوبه، ثم يخرج الى الجنة، وكافر، فهذا خالد فيها أبداً نسأل الله العافية والسلامة، والنار هي: دار العذاب وقد وصف الله من عذاب أهلها ما تقشعر له الابدان قال تعالى: ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها**﴾.(٨) وقال: ﴿**فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد**﴾.(٩)

---

(١) الغاشية : ٢٥ – ٢٦ ، (٢) الكهف : ٤٦ (٣) النور : ٢٤ ، (٤) الكهف : ١٠٥.

(٥) مريم : ٧١ – ٧٢ ، (٦) الصافات : ٢٣ ، (٧) البخاري : رقم/ ٧٧٣ ، (٨) النساء : ٥٦

(٩) الحج : ١٩ – ٢١

وقال تعالى: ﴿**وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءَهم**﴾.(١) وغير ذلك من الآيات.

وأما الجنة – اكرمنا الله بها – فهي دار النعيم وفيها من الملـذات والمسرات ما لا يعد ولا يحصى، واللذة فيها للروح والجسد قال تعالى: ﴿**لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد**﴾.(٢) وأعظم تلك الملذات النظر الى وجه الله الكريم قال تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة**﴾.(٣) ولكنه نظر لا نستطيع الآن ادراك كنهه لاننا في الدنيا محصورون بمقاييس مادية، وفي الآخرة يصبح النظر بشكل أقوى وأحد، قال الله تعالى: ﴿**لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾.(٤) ومن دخل الجنة لا يخرج منها أبداً، جعلنا الله من أهلها. (آمين)

---

(١) محمد : ١٥ ، (٢) ق : ٣٥ ، (٣) القيامة : ٢٢ – ٢٣ (٤) ق : ٢٢.

القضـــاء والقـــدر

قبل الحديث عن هذا الموضوع يجب الانتباه الى الامور التالية :

١ . لقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض في هذا الموضوع، نظراً الى أنه دقيق ومتشابك، فيخشى على الخائض فيه أو السامع أن يخطىء الطريق الصحيح فيضل ويضل غيره، ولذلك فالواجب على المسلم أن يكبح جماح نفسه عن الخوض فيه، ويؤمن به ايماناً مطلقاً مسلماً لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن باب أولى أن لا يبدأ غيره بالحديث عنه (سيما في المحاضرات العامة)، لأن عقول الناس متفاوتة قوة وضعفاً، وغباء وذكاء، فان أحرج أو سئل سؤالاً لا مفر منه، أو وجد من يخوض فيه بالباطل فقد يكون ذلك مبيحاً له ان يتحدث في الموضوع بقدر الحاجة، وهذا هو السبب الذي دفع بل أجبر علماءنا للحديث عنه مع ورود النهي.

٢ . ان الناس لا يطرحون مسألة القضاء والقدر الا في مجال العمل الا خروى، اما أمر الدنيا فلا مجال فيه عندهم لقضاء ولا قدر، فمثلاً : تجد أحدهم يعمل المعاصي ويقصر في الطاعات ولو سألته لقال: هكذا قدر الله عليَّ، بينما تجده يكد ويكدح في سبيل رزقه بلا ملل، حتى لو قلت له ان الله قسم لك رزقاً محدوداً فاجلس ولا بد أن يأتيك لعد هذا نوعاً من السفه وفضول القول، ومن هذا نستشف أن الدافع للخوض في هذه المسألة، سيما عند أهل اليوم، ليس حب معرفة الحقيقة، بل ضعف الايمان باليوم الآخر، وما فيه من حساب، ويريدون بالجدل تبرير ذنوبهم، لأنهم لا يقدرون على انكار اليوم الآخر، ولا همّة لديهم تبعثهم على العمل له.

٣ . ان الذي يلاحظ احكام الشريعة يجد بوضوح أن الاعمال التي تقع من العبد قهراً لا يحاسب عليها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ان الله تعالى وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) (١)

وقال صلى الله عليه وسلم: رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم). (٢) والامر المشترك بين هؤلاء الستة (المخطىء، والناسي، والمكره، والمجنون، والنائم، والصبي) أن ارادة كل منهم ليست حرة، واختيار كل منهم غير كامل، والله تعالى لا يؤاخذ الانسان بأعماله الا اذا كان اختياره كاملاً وارادته حرة.

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه الامام احمد في المسند / وابو داود ، والترمذي ، والحاكم.

٤ . ان الناس يخلطون في هذا الموضوع بين قضايا ثلاث هي: علم الله القديم، وخلق الافعال، والقضاء والقدر، ولذلك يجب التفريق بينها عند الحديث عن هذا الموضوع، ولنتحدث الآن عن كل منها على انفراد.

أ . **القضاء والقدر**: القضاء في اللغة العربية معناه: الحكم، وعند علماء التوحيد عبارة عن الحكم الكلي الالهي في أعيان الموجودات على ماهي عليه من الاحوال الجارية في الازل الى الابد (١) ومن آثاره تلك الامور التي تقع على العبد رغماً عنه كالمرض والموت والصحة... الخ.

أما القدر : فهو ايجاد الله تعالى الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذاتها وأحوالها طبق ما سبق به العلم (٢) ومن القدر: خواص الاشياء، فمثلاً جعل الله خاصية النار الاحراق فهذا قدرها، وجعل خاصية السكين القطع، وقدر ان الماء يتجمد بالبرودة، والحديد يتمدد بالحرارة، وبعبارة اخرى كأنهم يعنون بكلمة القدر تلك القوانين التي سير الله عليها المخلوقات.

وغني عن القول ان الامور التي تقع على العبد قضاء لا يحاسب عليها، فلا يحاسب ولا يأثم اذا مرض دون ان يكون هو المتسبب في المرض، واما خواص الاشياء (القدر) فان الله جعل للعبد قدرة يستعمل بها هذه الخواص، فان استعملها في الخير كان له الثواب، وان استعملها في الشر كان عليه العقاب، فمثلاً قدر الله النار ان تحرق، فان احرق بها مالاً لمسلم كان آثماً. وان احرق بها معدات للعدو كان مثاباً، وجعل قدر البندقية أن تقتل فان قتل بها مسلماً كان آثماً، وان قتل بها عدواً كافراً فله الثواب.

وهنا تتدخل قضية خلق الافعال فنحن قلنا ان من يحرق متاع مسلم آثم لكن من الذي خلق الاحتراق؟ ان اهل السنة والجماعة يعتقدون أن الذي يخلق الاشياء والافعال هو الله، اذن فكيف ينسب الفعل للعبد وكيف يحاسب عليه؟ والجواب: ان الاحتراق وان كان من خلق الله تعالى، لكن الله اطلع العبد على خاصية النار وجعل هذه الخاصية طيعة لابن آدم، فعندما احرق كان هو الذي اختار الاحراق، والله انما يحاسبه على هذا الاختيار ولذا ينسب الفعل اليه ويحاسب عليه، بدليل انه لو اطلق الرصاص على رجل ليقتله في فراشه ولم يكن في الفراش يكون عليه الاثم لانه اختار القتل، واستعمل خاصية البندقية.

ولو استعمل ما يجهل خاصيته لا يحاسب اذا ظهرت له خاصية لا يعرفها، فمثلاً من شرب سائلاً وهو يظنه عصيراً أو دواء، واذا به خمر، فسكر منه لا يأثم، لانه عندما اختار استعماله كان لا يعرف خاصيته، وانما الحساب لمن عرف الخاصية فاختار استعمالها.

---

(١) التعريفات للجرجاني.

(٢) شرح جوهرة التوحيد للشيخ عبدالسلام.

وخلاصة القول: ان العبد يحاسب على اختياره، واما خلق الفعل فلا جدال انه لله تعالى، فالنمرود اختار ان يحرق ابراهيم عليه السلام، ولكن لما لم يخلق الله الاحتراق لم يحترق مع ان النمرود آثم باختياره. وابراهيم عليه السلام اختار ذبح ولده اسماعيل طاعة لله ولكنه لم ينذبح لأن الله لم يخلق الذبح، وان كان ابراهيم عليه السلام قد حز عنقه بالسكين، وفاز ابراهيم برضوان الله لانه اختار طاعته وان لم يحصل ما اراد، وهذا الاختيار يسميه العلماء: الكسب.

واما علم الله تعالى ، فقد تقدم انه محيط احاطة تامة ودقيقة بما كان وما يكون الى يوم القيامة وبعدها، وما علمه لابد ان يكون، وهذا العلم مسجل في اللوح المحفوظ كما ورد في الادلة الشرعية، وهنا يسأل بعض الناس كيف احاسب على امر كتبه الله علي؟ والجواب ان الكتابة نوعان: كتابة اجبار وقد تقدم الحديث عنها وهي ما نسميه بالقضاء، وكتابة علم وهذه هي التي نقف عندها فنقول:

لا شك ان افعال العبد مكتوبة لانها معلومة لله تعالى سابقاً، لكن بينا ان العبد يحاسب على اختياره، فهل العبد عندما يقدم على فعل يقدم عليه لانه اطلع على علم الله فاختار ما علمه الله؟ ام انه يختار افعاله وهو في جهل تام بما كتبه الله تعالى؟ وكل عاقل يعلم ان الثاني هو حال العبد عندما يختار الافعال، اذن فلم يعمل ما اختار لانه اطلع على علم الله فاختار ما علمه الله!! واذن فلا حجة له بذلك، ولنضرب على ذلك مثالاً المصلي عندما يقدم على الصلاة هل ينظر في اللوح المحفوظ فيرى انه مكتوب عليه الصلاة فيصلي؟ ام انه لا يّعرف ماهو المكتوب عليه فيقوم للصلاة بناء على اختياره طاعة الله؟ لا شك ان الثاني هو حالة ولذلك يثاب حتى ولو حال دونه ودون الصلاة حائل كالموت، وشارب الخمر لا ينظر الى اللوح المحفوظ!! ثم يشرب بل يختار الشرب بناء على شهوته وهو في جهل تام بما في اللوح ولذلك يأثم ولو حال حائل بينه وبين الخمر.

وانما يتبين ان الفعل مكتوب بعد الاختيار وبعد وقوع الفعل اي بعد فوات المرحلة التي عليها الحساب، وبهذا المعنى يروى ان ابليس بعد ان لعنه الله وطرده قال: يا رب كيف تعاقبني على ذنب كتبته علي؟ فقال الله له: ومتى علمت انه مكتوب عليك اقبل رفض السجود ام بعده؟! فقال بل بعده، فقال له الحجة عليك، او كما قال.

وتوضيح هذا المثال ان ابليس لما رفض السجود ما اطلع على اللوح ثم رفض بل اختار الرفض تكبراً، والدليل على ذلك ان الله تعالى لما سأله عن سبب رفضه لم يقل اطلعت على اللوح بل قال: ﴿**انا خير منه**﴾. (١)

---

(١) الاعراف : ١٢ ،

ويؤكد أن العبد يحاسب على اختياره لا على ما في علم الله قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: انه كان حريصاً على قتل صاحبه) (١) فقد كانت عقوبتاهما متماثلتين، لأن اختياريهما متماثلان، مع أن أحدهما وقع ما اختاره والثاني لم يقع ما اختاره.

وبعد فهذه السطور تنير الطريق لمن اراد تدبر هذا الموضوع والتفكير فيه لكن يجب عليه ان يحذر من الوقوع في خطأ من خطأين.

١ . نسبة الظلم الى الله تعالى لان الله تعالى يقول: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾.(٢) ومن نسب الظلم الى الله تعالى فقد كفر.

٢ . الاعتقاد بأن الكون يجري فيه شيء قهرا عن الله تعالى فان الله هو القهار، ونسأل الله تعالى ان يجنبنا الزلل وان يهدينا لما اختلف فيه من الحق باذنه انه يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

---

(١) رواه ابو داود وغيره ، (٢) فصلت : ٤٦.

أثر العقيدة الاسلامية في السلوك الانساني

تكلمنا في عدد من المحاضرات السابقة عن العقيدة الاسلامية، بينا فيها عناصر تلك العقيدة والادلة على صحتها، لكن الايمان بهذه العقيدة ليس كالايمان بالنظريات الفلسفية الذي لا يتجاوز الفكر، بل هو ايمان لا بد ان يظهر اثره على الجوارح، وفي السلوك الانساني في الحياة، ذلك لأن هذه العقيدة تحدد خط مسيرة الانسان، فلا بد ان تحدث انقلاباً في سلوكه اذا دخلت قلبه، وهذا الامر هو الذي نتحدث عنه في هذا البحث.

ويمكن الاستغناء عن هذا البحث بمقارنة سلوك المسلمين الاوائل قبل الاسلام وبعده، كيف كانوا وكيف صاروا بعد ان عمر الايمان قلوبهم، هذا في حياتهم كأشخاص، لكن قارن أيضاً وضع العرب قبل الاسلام وبعد الاسلام يتبين لك مدى تأثير هذه العقيدة على سلوك الشعوب.

وهذا التغير الخير نجده اليوم في سلوك الذين هداهم الله بعد ضلال، وسنراه – ان شاء الله – في حال امتنا بعد ان تعود الى منهج ربها عز وجل.

ولنستعرض الان فقرات هذه العقيدة فقرة فقرة ثم ننظر كيف يكون تأثيرها على الانسان.

١ . لا اله الا الله: هذه الكلمة هي المدخل النوراني الى العقيدة السمحة، وهي كلمة واضحة كما ترى تنفي الالوهية عن كل من ادعيت له الالوهية سوى الله وتحصرها في الله تعالى.

اذن كذب ما كان يقال عند العرب عن الاحجار الجامدة والتماثيل المتآكلة، وما كان يقال عند اليونان من آلهة الحرب، واخرى للريح، وثالثة للبحر ورابعة وخامسة، وما نسجته بعض الشعوب من تأليه لبعض الاشخاص، فلتسقط من القلب كل خشية من هذه الكائنات، ولتنقطع كل عبودية وتقديس لهذه المخلوقات، ولتكن الخشية والعبودية لله الواحد الاحد.

وهكذا اجتمعت نفس الانسان بعد فرقة وتشتت، وتخلصت من كل الاساطير والخرافات، وبدأت يده تمتد للبحث في حقيقة الكون وقوانينه بعد ان كانت تمتد ضارعة لنجومه وشمسه، وكانت هذه البداية الصحيحة للبحث العلمي الذي جنى الانسان ثمراته في هذا العصر.

وما معنى كلمة اله؟ انه الذي بيده كل شيء، بيده الرزق، بيده الاجل، القادر الذي لا يغلب، من استند اليه عز، ومن حاربه قهر، وحزبه هم الغالبون. ولذلك فلا داعي للخوف من الموت، لأن له اجلاً لا يتقدم ولا يتأخر، فليمض الانسان مكافحاً في سبيل الله، مجاهداً في طلب مرضاته، يحقق بذلك الخير لنفسه وللناس أجمعين، ولا داعي للخضوع والخنوع اذا هدده انسان بقطع رزقه فالرزق بيد الله لا بيد المخلوقين، ولا داعي لان يذل ويستسلم اذا تألب عليه أهل الشر ودعاته، لأنه مدعوم بأقوى القوى، قوة الله العظيم.

وفي نفس الوقت لا يجوز له ان يهاب الذين لا يعبدون الله، مهما كثرت قوتهم، قال الله تعالى: ﴿**الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً**﴾.(١)

ثم ان الله تعالى قد وكل اليه مهمة عظيمة، وهي عمارة الارض، وأستخلفه فيها قال تعالى: ﴿**واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة**﴾.(٢) ، فليس هو حيوان كسائر الحيوانات لا شأن له، بل هو عزيز على الله، مكرم عنده، قال تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾.(٣) وسخر له كل شيء وذلل له كل صعب: قال تعالى: ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض**﴾.(٤)

وهكذا ينطلق الانسان في الكون حراً في تفكيره، معتزاً بنفسه، عالماً بمهمته، لا يخضع الا لله، ويخضع كل شيء باسم الله، لله عز وجل.

٢ ، محمد رسول الله: الرسول هو الذي يبلغ عن غيره، وعمن يبلغ محمد صلى الله عليه وسلم؟ انه يبلغ عن الله، يبلغ قانون الله الى عباد الله، يبلغهم هداه ويضيء لهم الطريق بنوره.

اذن يجب التسليم بكل ما جاء به، والثقة بكل ما جاء به، فليست رسالته تفكير البشر المحدود، ولا الانسان العاجز، بل هي تنظيم من يعلم كل شيء، ويحيط بكل شيء فهي الحق كل الحق، والصواب عين الصواب، انها رسالة تريحه من التخطيط في وضع نظام لنفسه وحياته على الارض، وتريحه من الشرود مع تصورات العقل الجامحة التي تنعكس عليه شقاء وعنتا، وليصرف تلك الجهود الى اكتشاف اسرار الكون وفتح مغاليقه.

وعليه ان يتابع الطريق فيبلغ رسالته للناس ينقذ بها اخوانه البشر من شقاء الاعتقادات الباطلة، ويتحمل في سبيل ذلك كل اذى ومشاق، فما طريقه بالمفروش ورداً بل هو طريق محمد صلى الله عليه وسلم، طريق غار حراء وبيت الارقم، وغار ثور، طريق العاقل المشفق على قومه الحمقى من خطر عظيم.

وله من حياة محمد صلى الله عليه وسلم المنهج العملي في الحياة بكل جوانبها ومشاكلها، ولقد دله محمد صلى الله عليه وسلم ان رسالته هذه ليست بدعاً، بل هي مكملة ومهيمنة على رسالات سابقة، كلها تنبع من معين واحد قال الله تعالى ﴿**لا نفرق بين احد من رسله**﴾(٥). ولذا فعليه ان يقف من اتباع الديانات السابقة موقفاً لطيفاً، موقف المشفق الناصح، من أجل ان يمحوا من كتب الله ما زادوه فيها، وهم ان فعلوا ذلك وجدوا انفسهم مضطرين الى الايمان بالرسول الخاتم لكل الرسالات، فان لم يقبلوا فما عليه الا البلاغ، والله بصير بالعباد.

---

(١) النساء : ٧٦ ، (٢) البقرة : ٣٠ ، (٣) الاسراء : ٧٠ ، (٤) لقمان : ٢٠.

(٥) البقرة : ٢٨٥ ،

٣ . اما ايمانه بالملائكة: فيقف فيه عند حدود ما اخبر به الله تعالى. واخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا يتجاوز ذلك الى نسج خرافات حولهم ما انزل الله بها من سلطان تملأ النفس قلقاً وخوفاً.

فهؤلاء الملائكة قد كلف الله بعضهم بحفظ وتسجيل اعمال الانسان، قال تعالى: **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** (١) ولذا فعليه ان يعلم انه تحت مراقبة دائمة فان غفلت عنه عين السلطة، فعين الملائكة لا تغفل، وهو مطالب بالمحافظة على شريعة الله في السر والعلن، ومن هنا فالمسلم الحق لا يعرف النفاق، ولا الرياء، ولن يكون عدواً للقانون والنظام الاسلامي اذا ما خلا وأتيحت له فرصة المخالفة، ولا يحتاج المجتمع الاسلامي الى عدد ضخم من حراس النظام فكل واحد من المجتمع حارس للنظام.

ان المسلم اذا زين له الشيطان المعصية والخروج على قانون الله تذكر اليوم الذي يفتح فيه سجله بين يدي الله، فاذا به لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها، ويا لها من وقفة مخجلة في يوم عصيب، ان تصور ذلك الموقف كفيل باحباط تزيين الشيطان ووساوسه، فيمضي المسلم مستقيماً في حياته، لا يعوج ولا يختال.

ثم إن الملائكة لهم قصة مع الجيل الاول من هذه الامة، فقد نزلوا يجالدون معهم بالسيوف، يوم تألب عليهم الشر وأهله في بدر، قال الله تعالى: **﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان﴾**. (٢) وكذلك فعلوا في معركة الخندق وفي معركة حنين.

وهي قصة يمكن ان تتكرر كلما أحاط بالاسلام وأهله خطر داهم.

ولم لا؟ فالدين الذي دافعوا عنه في بدر والخندق، وحنين لا يزال باقياً، وقد يقل اهله فيحتاجون الى عون ومساعدة، والله يريد البقاء والتثبيت لهذا الدين، فان قل ناصروه من البشر، فجند الله من الملائكة حاضرون. قال الله تعالى: **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** (٣) واذا تحقق الايمان تحقق النصر. وهكذا لا يشعر المؤمن بالذلة ولو كان في الدنيا وحيداً.

٤ . **اليوم الآخر** : يوم الدين، يوم الجزاء، وكم له من أثر في سلوك المسلم؟

إنه اليوم الذي يتقرر به مصير كل انسان، فاما جنة ابداً او نار ابداً، وذلك المصير هو نتيجة العمل في الدنيا قال الله تعالى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾**(٤) فمن استقام في هذه الدار سعد في الدار الاخرى، ومن انحرف هنا فقد خسر نفسه في الآخرة، هذا هو الذي جعل السلف الاول يقبل على الجهاد ويحب الشهادة لانها تحمل في طياتها

---

(١) ق : ١٨.   (٣) الانفال : ١٢ ، (٣) الروم /٣٧ ، (٤) الزلزله ٧ – ٨.

السعادة في الآخرة. ويعرض عن ملذات الدنيا المحرمة، أو المعوقة عن الجهاد، طلباً للذة الآخرة ومسراتها، ويسهر ليله في طلب العلم، والبحث والنظر والتأليف، لأحياء هذا الدين، ونشر المعرفة لينال الثواب في الآخرة.

وماذا يستطيع المرء أن يقول؟ أليس غاية ما يسعى إليه المصلحون والمربون ان لا يبغى الناس بعضهم على بعض؟ وان يؤثر بعضهم بعضاً؟ وان يقدموا الصالح العام على الصالح الخاص؟ وان يضحوا من أجل الفضيلة... الخ... وهذا لن يحصل من انسان يجعل الدنيا اكبر همه، ومبلغ علمه فهي عنده كل شيء، انما يحصل ممن يرى الدنيا أتفه من ان يخاصم من أجلها احداً، فهي لا شيء بالنسبة للدار الآخرة. وهكذا يسعد في الدنيا ويسعد به الناس، ويسعد في الآخرة وذلك هو المقصود الاعظم والفوز العظيم.

٥ . **بقي الحديث عن القدر:** هذا الموضوع الذي أخطأ الناس في فهمه فجعلوه ذريعة للكسل والتواكل، وفهمه السلف حق الفهم فكان حافزاً الى العمل الجاد المثمر، ولقد القينا على هذا الموضوع ضوءاً كافياً في مبحث سابق، اما هنا فنبين متى يجب على المسلم ان يفكر في القدر وكيف تكون نظرته اليه؟

ولا اجد في هذا المقام ادق ولا افضل من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (المؤمن القوي خير وأحب الى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وان اصابك شيء فلا تقل: لو اني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان) (١).

هذا هو الوضع السليم للقدر في حياة المسلم يهيء نفسه ليكون قوياً فيكون أحب الى الله، ويحرص على كل ما فيه نفعه، اذا كان من طريق مشروع، وبعد أن يعد كل هذا يقدم على عمله ومشاريعه في الحياة مستعيناً بالله، كل هذا وهو لا يفكر في مسألة القدر، بل يقول: هذا قدر الله وفضله، وبذلك لا يطغيه البطر ولا يركبه الغرور الذي يقعد به عن متابعة الكفاح، وان كانت النتيجة على غير مراده، قال: هذا قدر الله الذي لا يبدل، وبهذا لا يقعده اليأس، ولا يرتكب الاحموقة فيقتل نفسه، أو تخور عزائمه.

---

(١) اخرجه مسلم.

هذا هو محل التفكير بالقدر في مكان يكون فيه أمر القدر مانعاً من الوقوع في خطأ من خطأين لا يقل احدهما شراً عن صاحبه: اليأس القاتل، والغرور الاحمق، لقد آمن سلفنا الصالح بالقدر ووضعوه في حياتهم في المحل الصحيح فكان دافعاً لهم الى كل خير، ومقوياً عزيمتهم على كل رشد، يعبر عن ذلك شاعرهم فيقول:

أي يومي من الموت افر يوم لا يقدر ام يوم قدر؟

يوم لا يقدر لا ارهبه ومن المقدور لا ينجي الحذر!!

هكذا يفكر في موضوع القدر وهو يتجه الى المعركة فيكسبه ذلك قوة ومضاء فلا يخاف من الموت.

اما من يجلس في بيته ينتظر ما تأتي به الاقدار فهو بمستشفى الامراض العقلية اولى منه بحلية الايمان، وما قعد اقوى الناس ايماناً محمد (صلى الله عليه وسلم) بل حياته جهاد مستمر حتى بلغ رسالة الله الى الناس.

لقد اطلنا بعض الشيء في هذا الموضوع ولكن ما ذكرناه قليل من كثير، فعقيدة المسلم هي الموجه لكل سلوكه في الحياة، والاساس الذي تبنى عليه كل تصرفاته، والمنطلق الذي يتحرك منه الى كل عمل.

انها عقيدة حية متحركة تتفاعل مع وجدان صاحبها، فينطلق جاداً قوياً في الحياة، وعضواً صالحاً في المجتمع، ونموذجاً فريداً للبشر، خلق من التراب يحمل روحانية الملائكة، وطهر من يعبد الله كأنه يراه.

المكفرات والفرق الاسلامية

تحدثنا في المباحث السابقة عن العقيدة الاسلامية، وبينا عناصر تلك العقيدة، أما الآن فنتحدث عن الامور التي اذا صدرت من الشخص نحكم بكفره، وعن حكم الاسلام في بعض الفرق الاسلامية المشهورة، واما الفرق التي لا نذكرها فيبحث في عقيدتها فان وجد فيها شيء من المكفرات الآتي ذكرها حكم بكفرها، والا فلا.

المكفرات : اذا ولد الشخص من ابوين غير مسلمين نحكم بكفره، حتى يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله، فان اسلم لا نحكم بكفره ما لم يصدر منه شيء مكفر، ونحكم باسلام من كان ابواه مسلمين او احدهما كأن يتزوج مسلم بكتابية، أو يسلم احد الزوجين والمرأة حامل فيولد الطفل وأحد أبويه مسلم، فاذا صدر منه مكفر حكم بكفره.

والكفر يعرفونه بأنه: عدم التصديق ولو بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ووصل الينا بطريق التواتر، وذلك لأن الايمان هو التصديق بجميع ما جاء به الرسول ووصل الينا بطريق التواتر، والكفر نقيض الايمان، وبناء على ذلك فمن أنكر شيئاً مما جاء في القرآن أو الحديث المتواتر فقد كفر كمن انكر وجود الله تعالى، او جعل له شريكاً او ولداً او زوجة او انكر وجود الملائكة او الجن او اليوم الآخر، او نبوة احد الانبياء المذكورين في القرآن الكريم او استحل الزنا او السرقة او الكذب او حرم الزواج مطلقاً او الطلاق او البيع.. وبعبارة جامعة من استحل حراماً فقد كفر، اذا كانت حرمته قد ثبتت بدليل قاطع، ومن حرم حلالاً فقد كفر اذا ثبت حله بدليل قاطع.

وهناك مكفرات قولية كمن يسب الرب، او الدين، او الرسول، او احد الرسل، او يقول عن نفسه انه غير مسلم، او هو يهودي او مجوسي، او يستهزىء بشيء من الدين او عقائده او احكامه، وكذا كل قول فيه اعتراف بعقيدة مكفرة او جحود لعقيدة من عقائد الاسلام، وتوجد افعال مكفرة أيضاً وهي كل عمل يعتبر علامة على عقيدة مكفرة، كتمزيق المصحف او اهانته او السجود لصنم، او المشاركة في عبادات غير اسلامية.

وبهذا نستطيع ان نحكم على الفرق التي انشقت عن الامة الاسلامية، وابتدعت أراء خالفت بها جماهير الامة، فمن كانت بدعته مخالفة لما ورد عن الرسول بالتواتر حكمنا بكفره: ومن كانت بدعته مخالفة لما ثبت بالسند الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمنا بفسقه، ومن الفرق الكافرة:

١ - **السبئية** . أصحاب عبدالله بن سبأ الذين يدعون ان علياً إله، وأنه لم يمت بل هو في السحاب، ويقولون عند سماع الرعد: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

٢ . بعض الشيعة الذين قالوا أن جبريل نزل بالوحي على علي ولكنه غلط فذهب الى محمد، ولذلك يقولون : تاه الأمين.

٣ . **المجسمة** . الذين ادعوا أن الله تعالى له جسم مادي، وانه يقوم ويقعد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٤ . الذين ادعوا ان الله تعالى حلّ في الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله)، ومثلهم كل من ادعى حلول الله في احد من الخلق، وهي فرقة كان لها شأن في التاريخ الاسلامي اذ قتلت ونهبت بلا رادع من دين او رحمة.

٥ . الباطنية الذين ادعوا بأن للقرآن ظاهراً او باطناً، وأن الباطن يخالف الظاهر، ومنهم من يستحل المحرمات ويسمون بالاباحية كالقرامطة.

٦ . أصحاب وحدة الوجود: وهم القائلون بأن الله هو الكون، وكل ما في الكون جزء من أجزاء الله.

هذا قليل من كثير من الفرق التي يذكرها العلماء، وأكثرها قد اختفى والحمد لله، وهي في مجملها افكار دسها وحاول ترويجها المغرضون لاهداف متعددة، فمنهم من آمن ظاهراً ليضرب الاسلام من الداخل، مثل عبدالله بن سبأ اليهودي، ومنهم من كان يريد ترويج فكرة سياسية معينة فالبسها لبوس الدين، ومنهم المضبوع بالفلسفة اليونانية الوثنية، وعلى أي حال فان الله تعالى تكفل بحفظ هذا الدين وزوال المفسدين **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض﴾** (١)، ولم نعد نسمع بهذه الاسماء إلا من الكتب، ولذا لم اجد حاجة الى التطويل بذكرهم.

ومما يجب التنبيه إليه في هذا الباب، انه لا يجوز التساهل في تكفير الناس، ولا يجوز الحكم بكفر احد الا بعد ظهور دليل قاطع على كفره، واما جزاء من يرتد عن الاسلام فهو القتل بعد ان يستتاب فلا يتوب ويناقش في شبهته ان كان له شبهة، وان كان متزوجاً بمسلمة انفسخ عقده، لان الكافر لا يكون زوجاً لمسلمة، فان عاد الى الاسلام وهي ما تزال في العدة كفى ان يراجعها، وان انتهت عدتها فلا سبيل له عليها الا بعقد جديد.

وعلى المسلم ان يحفظ لسانه من الالفاظ الشائعة اليوم، والتي هي كفر صراح وكيف يرضى عاقل بالخلود في النار، وبأن يكون في صف الكفار بمجرد غضب طائش، او حماقة غالبة.

نسأل الله أن يحفظ علينا إيماننا ويزيده في قلوبنا قوة ورسوخاً.

---

(١) الرعـد : ١٧.

العبـــــادات

أهمية العبادات في الاسلام

العبادات في الاسلام تمثل الجانب العملي لعقيدة المسلم ويمكن تعريفها بأنها :-
طاعة الله تعالىٰ، وبناء عليه فان كل قول، أو عمل يحبه الله ويرضاه يكون عبادة، حتى الامور التي تعد من مقتضيات الحياة، كالعلم، والعمل، والاستعداد والاتحاد، والتعاون، إذن فليس معنى العبادات في الاسلام مجموع الشعائر التعبدية فحسب، بل كل عمل فيه خير ومصلحة شرعية يعتبر عبادة، إلا أن اسم (العبادة) غلب على نوع من الطاعة، وهي الشعائر التعبدية: كالصلاة، والصيام والزكاة، والحج، والجهاد، أي هي العلاقة بين العبد وربه، وليست بينه وبين احد من الناس.

وتتضح أهمية العبادات للمسلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: فقد قال: **((الاسلام:** أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)). (١)

فأنت تلاحظ أن النبي عليه الصلاة والسلام أطلق اسم الاسلام على العبادات بمعنى، أن من اداها حكم باسلامه، وطبقت عليه أحكام الاسلام، ومن لم يفعل فنحن في ريب من أمره، وهذه العبادات منها: ما يتعلق بالبدن كالصلاة، ومنها: ما يتعلق بالمال كالزكاة، ومنها: ما يتعلق بالمال والبدن كالحج، وهناك ملاحظة حول العبادات في الاسلام، وهي: أنها متنوعة وميسرة، كيلا تمل النفس من ممارستها.

ولقد خلق الله عز وجل الانسان لعبادته، قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾** (٢)، فلو كانت نوعاً واحداً وسئمها الانسان لوقع في سخط الله عز وجل.

من معاني وغايات العبادات في الاسلام :

حكمة التشريع في الأحكام الاسلامية لا يحيط بها إلا الله، وما يذكر منها هو ما يطلع عليه الانسان إذا تدبر هذه الأحكام، فيحمله ذلك على تطبيقها والعمل بمقتضاها، وفيما يلي بعض معاني وغايات العبادات:

---

(١) متفق عليه ، (٢) الذاريات : ٥٦.

١ . طاعة الله تعالى.

العبادات ليست معللة بعلة تدور معها وجوداً وعدماً كبعض الاحكام الاخرى، وليس معنى هذا انه لا توجد لها حكم اخرى تتعلق بالحياة الدنيا، بل حكمها كثيرة ومتعددة، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصوم إراحة للمعدة وصحة للبدن، والزكاة منفعة للفقراء، والناس يذهبون إلى الحج ليشهدوا منافع لهم، والجهاد في سبيل الله حماية للاوطان وصيانة للاعراض، لكن هذه الامور تبع للمقصود الاول وهو طاعة الله، وهكذا نجد أن العبادات لها من الفوائد الروحية والدنيوية مالا يحيط به الانسان، ومالا يحصل من غير طريق العبادة، وما على المسلم إلا أن يؤديها طاعة لله، ثم يبحث عن حكمها ليطمئن قلبه، وليزداد تسليماً للذي يعلم السر وأخفى، ومن أجل هذا طالب الله بها المسلمين وهم يلتحمون مع العدو فى المعركة، ليذكروا وهم يتجهون إليه انهم مدعومون باقوى قوة في الوجود، فلا يهنوا ولا يحزنوا، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتد عليه أمر هرع إلى الصلاة أي الاتصال بالله تعالى ليقول له: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم**﴾. (١)

٢ . **اعداد المسلم للقيام بوظيفته وهي تنفيذ أوامر الله:**

وذلك لأن الخطوة الأولى في بناء مجتمع يدين لله فقط: هو إيجاد نفوس صافية خالصة من شوائب الدنيا، وقلوب متعلقة بالله زاهدة في حطام الدنيا الفانية، لتستطيع تخطي العقبات ومواجهة الصعوبات، والتسامي على جميع المغريات، وأين ستوجد تلك النفوس إن لم تربَ أمام الله في محراب طاعته؟ حيث تصقل النفوس، وتجد من اللذة في مناجاته ما يصغر في عينها كل متع الحياة، ويقطع تعلقهم الفطري بزخرفتها، ومن أجل ذلك، فقد طولب المسلمون ببعض العبادات مع الضوء الأول من فجر الرسالة الاسلامية، فان أول ما نزل سورة ﴿**اقرأ**﴾ وفيها: ﴿**كلا لا تطعه واسجد واقترب**﴾ (٢)، وسورة (المزمل) وفيها ﴿**يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا**﴾ (٣)، وهذا سر صمود شباب الصحابة امام الضغوط والمغريات، فلما تأسس المجتمع الاسلامي الاول في المدينة نزلت الاحكام التي تنظم الشؤون المدنية، فالعبادات شرعت من أجل تهيئة الانسان للقيام بدوره على الارض، من استثمار الكون وتعميره تقرباً إلى الله وطلباً للسعادة في الآخرة.

٣ . **العبادات تربية وتهذيب للانسان.**

اعتنى الاسلام بتربية ضمير الفرد واصلاح نفسيته، وذلك عن طريق تعريفه بالمثل الاخلاقية، وتوجيهه نحو الخير والاحسان، وكل ما هو افضل واصلح، وامر الانسان بكبح جماح شهواته، ومطامعه النفسية والجسدية حتى لا تتغلب على عقله فينحط الى مستوى البهيمية، ولقد

---

(١) الفاتحة : ٥ – ٦ ، (٢) العلق : ١٦ ، (٣) المزمل : ١ – ٤.

شرع الاسلام العبادات وفي كل عبادة تربية وتهذيب، وفي كل عبادة انطلاق الى العمل والاصلاح، فكانت العبادات في الاسلام قوة موجهة للانسان نحو الخير، وقوة محافظة على انسانيته، وقوة رادعة عن كل جريمة ومنكر.

٤ . العبادات تقوي العقيدة وتحميها.

العقيدة الاسلامية شجرة تنغرس في قلب صاحبها، ولا بد من المحافظة عليها وحمايتها، ولهذا شرعت العبادات لأنها تنمي العقيدة في نفس صاحبها، وتثبتها فتثمر الثمرة المرجوة، وعندما يترك الانسان العبادات تضعف عقيدته، وتمرض، وقد تموت كما ماتت في قلوب كثير من الذين لا يؤدون هذه العبادات، ولذلك نجد العقيدة أثمرت في نفوس السلف الاول فكانوا النموذج الحي، والقدوة الصالحة، عندما حافظوا على عقيدتهم بممارسة شعائر الاسلام التعبدية، وبالمقابل نجد أن العقيدة قد ذبلت في نفوس بعض الناس اليوم، لعدم حرصهم على القيام بهذه العبادات.

٥ . العبادات تذكر المسلم بقواعد دينه الاساسية.

من القواعد الاساسية في الاسلام: توحيد الله، والمساواة بين الناس، والتعاون بينهم، والتعالي على الشهوات في سبيل طاعة الله، ووحدة المسلمين في جميع الاراضي، وان تباعدت ديارهم، وهذه المبادىء تتأكد عند القيام بأي عبادة من العبادات الاسلامية، وهكذا يكون المسلم مهيئاً نفسياً ومدرباً عملياً على أن يعيش في المجتمع الاسلامي الذي يطبق هذه المبادىء في كل شؤونه.

ونظراً لأهمية العبادات كما ذكرنا، فانها لا تسقط عن العبد إذا توفرت شروط وجوبها، وهذا يبدو واضحاً بالنسبة للصلاة، فهي لا تسقط عن العبد ما دام فيه العقل حتى ولو فقد الماء والتراب، أو عجز عن الحركة، فعليه ان يصليها وهو مستلق على ظهره فاقد الطهورين، وليس في ذلك ارهاق للانسان، بل رحمة به فهو في مثل هذه الحالة القاسية احوج ما يكون الى الله فليتصل به على اي حال ليطلب منه العون والمدد.

كما أن المسلم مطالب بأن يؤديها حتى ولو وجد في ظرف أو زمان لا تطبق فيه بقية الاحكام الشرعية، لأن العبادات هي حصة من الاسلام التي يستطيع تطبيقها لوحده.

حكم تارك العبادات :

أما تاركها استخفافاً بحقها أو جحوداً لها: كأن يعتقد أنه لا داعي لها، فهو كافر باجماع الامة الاسلامية، وأما تاركها كسلاً فهنا نفرق بين ترك الصلاة وغيرها، أما الصلاة فهي عمود الاسلام، وموضعها منه كموضع الرأس من الجسد، ولذلك اختلف العلماء في حكم تاركها كسلاً فقال احمد ابن حنبل: أنه كافر وحجته الاحاديث الصحيحة، وقال غيره: بل مؤمن عاص، يستحق القتل جزاء تركها، واما بقية العبادات فان تاركها كسلا لا يكفر بل يعاقب على تركها في الآخرة قال عز وجل: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾ (١)، وقال الله تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**﴾ (٢)، ويعاقب ولاة الأمور في الدنيا على ترك العبادات بالعقوبة المناسبة.

ملاحظة :

ان القيام بهذه العبادات وان كان لها من المعاني والغايات ما ذكرنا، لا يعني ان من يقوم بها يصبح معصوماً من الذنوب، فهي تنهى ولا تمنع عن الفحشاء والمنكر، وهي اذ توقف صاحبها بين يدي ربه تجعله يشعر بالخجل منه فيمتنع عن المعصية، كما انها كفارة لما يقع من الصغائر، وإذن فمن الخطأ ظن الناس بأن من يحج، أو يصلي يصبح معصوماً من الذنوب، فيؤخرون هذه الطاعات إلى سن يعجزون به عن المعصية، حتى لا يقعوا فيها، ويحكمون ببطلان حج وصلاة من اذنب بعدهما، مع ان الحسنة تمحو السيئة قال تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ (٣)، نعم: ان الذنوب من الفضلاء أشنع لأنهم قدوة للناس.

---

(١) التوبة : ٢٤ – ٣٥ ، (٢) آل عمران : ٩٧ ، (٣) هود : ١١٤.

الصــلاة عمــاد الديــن

من نعم الله عليه ان هدانا للايمان ورضي لنـا هـذا الدين، قـال تعـالى: ﴿**اليـوم اكملـت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**﴾. (١)

ولكن هذا الدين له أركان وفرائض، لابد من معرفتها والعمل بها، حتى نفوز برضى الله في الدنيا ونعيمه في الآخرة، ومن حق الله على عباده ان يطيعوه ويسجدوا له اعترافاً بنعمته وعظمته ودينه الخالد، لذا فرض الله علينا خمس صلوات في اليـوم والليلـة، وخاطبنـا فـي المحافظـة عليهـا فقال عز وجل: ﴿**حافظوا على الصلـوات والصـلاة الوسـطى وقومـوا للـه قـانتين**﴾ (٢)، ولعظيم أهمية الصلاة عند الله جعلها عمود الدين وطريق الفوز والفلاح قال تعالى: ﴿**قـد افلـح المؤمنـون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾. (٣)

معانــي الصــلاة :

١ . الصلاة عبادة يتوجه فيها المسـلم الـى اللـه بقلبـه، والـى الكعبـة المشـرفة بجسـمه، طاعـة للـه تعالى.

٢ . الصلاة المبنية على الخشوع تنير قلب صاحبها، وتهذب نفسه وتغرس فيها مكـارم الاخـلاق: كالصدق والامانة والقيام بالواجب واتقانه.

٣ . لهـا تـأثير علـى النفـس فتشـعر صـاحبهـا بالطمأنينـة، وتطـرد الاضطـراب النفسـي، لأن هـذه الامراض النفسية وغيرها ناتجة عن عدم تلبية مطـالب الـروح، ولا تشـعر الـروح بالراحـة الا اذا ربطت بخالقها.

٤ . انها تحمي العقيدة وتعتبر سياجاً لها، وتدفع بصاحبها نحو الخير، وتسلك بـه معـارج الكمـال فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي تذكرنا بتعاليم ديننا: كالمساواة والوحدة والنظام.

وقد صح عن النبي صلى اللـه عليـه وسلم فـي بيـان فضلهـا قولـه: ((مـا مـن امـريء مسـلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنـوب مالم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله)). (٤)

وسئل النبي صلى الله عليّه وسلم أي الاعمال أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها، قيل: ثـم أي؟ قال: بر الوالدين، قيل ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. (٥)

---

(١) المائـدة : ٣ ، (٢) البقـرة : ٢٣٨ ، (٣) المؤمنون : ١ – ٢.

(٤) رواه مسلم ، (٥) متفق عليه.

وإذا كنا نرى بعض المصلين لم يصلوا الى تحقيق الصفات السابقة في نفوسهم، فذلك لعدم تعمقهم في معانيها، ولأنهم ما زالوا في بداية الطريق، ونحن نثق بفضل الله ان تقودهم الصلاة الى تلك الصفات الكريمة، ثم ان الصلاة تنهى – ولا تمنع – عن الفحشاء والمنكر، ولكن كثرة النهي ستودي الى الاقلاع، والصراع بين الخير والشر في النفس البشرية معروف، فاذا ثبت الخير لا بد ان يولي الشر الى الابد، ثم ان اعمال هؤلاء ليست حجة على الدين ولا على الصلاة نفسها، وان الدين لم يكن صلاة فقط، بل هو صلاة وصفاء قلب، وحج وجهاد، وصوم وزكاة، واخلاص ووفاء، ومن انتسب الى معهد أو مدرسة عسكرية مثلاً كان المطلوب منه أن يحضر الدروس، ويداوم بانتظام ويطيع أمر الادارة، ليصبح قائداً ناجحاً، وهكذا من انتسب إلى هذا الدين كان المطلوب منه القيام باركانه وفرائضه طاعة لله سبحانه، وهو يتدرج بها حتى الكمال:

ما يجب أن يعمله المصلي قبل الدخول في الصلاة

للصلاة شروط لا تصح بدونها وهي:

١ . الطهارة وتشمل طهارة الجسم والثوب والمكان الذي يصلي عليه.

٢ . ستر العورة وعورة الرجل من السرة الى الركبة. وعورة المرأة في الصلاة كل بدونها سوى وجهها وكفيها.

٣ . دخول الوقت : فلا تصح تأدية صلاة قبل وقتها المحدد لها في الشرع.

٤ . استقبال القبلة . أي التوجه إلى الكعبة المشرفة.

٥ . الطهارة من الحدث الاصغر والحدث الاكبر.

الطهارة من الحدث : والحدث قسمان : أكبر وهو ما يوجب الغسل، واصغر وهو ما يوجب الوضوء قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وان كنتم جنباً فاطهروا﴾**. (١)

فرائض الوضوء هي :

١ . النية بالقلب : ومعناها ان يتوضأ المسلم، وهو يعتقد بأن الله أوجب عليه الوضوء، وتلزم عند غسل الوجه.

٢ . غسل الوجه.

٣ . غسل اليدين مع المرفقين.

---

(١) المائدة : ٦ .

٤ • مسح بعض الرأس.

٥ • غسل الرجلين مع الكعبين.

٦ • الترتيب بين اعضاء الوضوء على النحو السابق.

وأما سنن الوضوء فهي :

١ • التسمية في أول الوضوء.

٢ • المضمضة والاستنشاق ثلاثاً.

٣ • تخليل الأصابع.

٤ • التثليث بغسل كل عضو ثلاثاً.

٥ • مسح الاذنين.

٦ • الدلك والتيامن، أما الاول فمعناه امرار اليد عند إسالة الماء على العضو المغسول. وأما الثاني فمعناه البدء بالايمن ثم الايسر.

٧ • السواك فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لولا أن اشق على أمتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء. (٢)

نواقض الوضوء

وهي الامور التي تبطل الوضوء، وهذه الامور هي:

١ • كل ما يخرج من السبيلين.

٢ • النوم المستغرق الذي لا يبقى معه ادراك، مع عدم تمكن المقعدة من الارض.

٣ • لمس المرأة متعمداً بقصد الشهوة.

٤ • زوال العقل بأي سبب.

٥ • لمس الفرج بباطن الكف.

كيفية الصلاة :

الصلاة لها فروض، والفرض معناه : هو الشيء الذي يجب ان يأتي به المصلي في صلاته، فلو تركه تعتبر صلاته باطلة، ويجب اعادتها ثانية وهي: .

١ • النية وتكون مقارنة لتكبيرة الاحرام.

٢ • تكبيرة الاحرام يفتتح فيها المصلي الصلاة، وصيغتها (الله أكبر).

---

(٢) اخرجه احمد.

٣ • قراءة الفاتحة في كل ركعة، قال صلى الله عليه وسلم: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب(١).

٤ • القيام بشرط أن يكون المصلي قادراً عليه، فاذا عجز لمرض، او نحوه سقط عنه القيام، وصلى على الحالة التي يقدر عليها.

٥ • الركوع والطمأنينة فيه بمقدار ما يقول: سبحان ربي العظيم.

٦ • الرفع من الركوع والاعتدال مع طمأنينة فاصلة بين رفعه من الركوع وهويه الى السجود.

٧ • السجود الاول وذلك بوضع اعضاء سبعة على الارض قال صلى الله عليه وسلم: ((امرت ان اسجد على سبعة اعظم: الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين)). (٢)

٨ • الجلوس بين السجدتين، مع الطمأنينة فيه.

٩ • السجدة الثانية مع الطمأنينة، وبهذا تنتهي الركعة الاولى.

١٠ • التشهد الاخير عند انتهاء الصلاة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولفظه: ((التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على محمد)). (٣)

١١ • التسليم الاول، وهو الخروج من الصلاة قال عليه السلام: ((مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم)). (٤)

١٢ • الترتيب بين فرائض الصلاة السابقة.

أما سنن الصلاة فكثيرة منها:

١ • رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام من التشهد الاول.

٢ • وضع اليد اليمنى على اليسرى اسفل الصدر.

٣ • دعاء التوجه وصيغته: ((وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً مسلماً وما انا من المشركين، ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين))(٥) وهناك صيغة مختصرة: ((سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك)). (٦)

---

(١) متفق عليه ، (٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه ، (٤) اخرجه الترمذي ، (٥) رواه مسلم ، (٦) رواه مسلم

٤ ٠ قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة، والجهر في القراءة في الركعتين الاوليين من الصلاة الجهرية، وهي الصبح والمغرب والعشاء.

٥ ٠ التسبيح في الركوع، وفي السجود ثلاثاً، وصيغته في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الاعلى.

٦ ٠ التشهد الاول في الصلاة الثلاثية والرباعية والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعده.

٧ ٠ الصلاة على الآل في التشهد الثاني ولفظه: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم، في العالمين انك حميد مجيد. (١)

٨ ٠ القنوت في صلاة الفجر بعد الرفع من الركوع في الركعة الثانية وصيغته: اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما اعطيت. وقنا شر ما قضيت، انك تقضي ولا يقضى عليك، وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. (٢)

أما مبطلات الصلاة فهي :

١ ٠ كل ما ينقض الوضوء وقد سبق ان عرفنا نواقضه.

٢ ٠ تبطل الصلاة بكل كلام عمد يصلح ان يكون خطاباً للآدميين.

٣ ٠ الحركة الكثيرة المتوالية.

٤ ٠ الاكل ، أو الشرب.

٥ ٠ انكشاف عورة المصلي، اي ما بين السرة والركبة للرجل وعدم سترها فوراً.

٦ ٠ اتصال جسم المصلي او ثوبه بنجاسة غير معفو عنها مع عدم ازالتها فوراً.

٧ ٠ ترك فرض او شرط من شروط الصلاة عمداً.

٨ ٠ القهقة في الصلاة.

٩ ٠ استدبار القبلة والتحول عنها ببعض صدره بغير عذر.

سجود السهو . ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سهى في الصلاة، وقد شرع لامته في ذلك أحكاماً نلخصها فيما يلي:

كيفيته : سجود السهو سجدتان يسجدهما المصلي قبل التسليم، وبعد اتمام التشهد والصلاة الابراهيمية.

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه الخمسه.

الاحوال التي يشرع فيها: يشرع سجود السهو بارتكاب منهي عنه في الصلاة او ترك مأمور به سهواً كما في الاحوال الآتية:

١ • اذا سلم سهواً قبل اتمام الصلاة، فمن صلى الظهر ركعتين مثلاً فنسي وسلم ساهياً يقوم للركعتين الباقيتين، وقبل ان يسلم يكبر ويسجد سجدتين ثم يسلم هذا ان لم يطل الفصل فان طال استأنف الصلاة.

٢ • عند الزيادة على الصلاة كمن صلى الظهر خمساً ساهياً، ثم ذكر.

٣ • عند ترك التشهد الاول كمن لم يجلس بعد ركعتين من الظهر وقام، فيكمل الصلاة ويسجد سجدتين قبل التسليم ثم يسلم، وكذا عند ترك القنوت في الصبح يسجد سجود السهو.

٤ • من شك في عدد ركعات الصلاة، ولم يدر أواحدة صلى أم اثنتين يجعلها واحدة، ويكمل الصلاة ثم يسجد للسهو.

الجهــــاد

الجهاد : هو بذل الجهد في نشر الاسلام، ويكون باللسان والمال والنفس، وبكل وسيلة اخرى تساعد في نشر الدعـوة الاسـلامية، وذلك لأن الديانـات ومنهـا الاسـلام لا تعـرض نفسـها عرضـاً عابراً، انما تنظر الى الامر بمنتهى الجدية والحزم، لا تداهـن ولا تهـاود، فالنـاس فـي نظرهـا امـا مؤمن واما كافر ولا وسط بينهما، وفي الشرع الاسلامي:

المؤمـن : المعترف بربوبيـة اللـه الراضـي بحكمـه فـي تنظيـم شـؤون الدنيـا المصـدق بكـل رسالات الله.

والكافر : هو الذي لا يعترف بربوبية الله، او يرفض حكمه، الى آخر ما ذكرنـاه فـي بحـث المكفرات.

وهذا الكافر يتوعده الله بعذاب في الأخرة، وهـو أخ لنـا فـي الانسـانية فـلا يصـح ان نتركـه يهلك نفسه، والاشد من ذلك انه يهلك ذريته معه، والواقعين تحت تـأثيره وهـو يرتكـب حماقـة مـا بعدها حماقة، وجهلاً ما بعده جهل عندمـا يتوجـه الـى غـير اللـه بالعبـادة ممـا لا يضـر ولا ينفـع، ويترك عبادة الله الذي خلق فسوى وقدر فهدى.

ام كيف نتركه يفرض سلطانه بلا حق على اخوته من الناس؟ فيشرع لهم من عنده نظاماً، ثم يرغمهم على تطبيقه مـع مـا فيه مـن نقـص تكشـفه الايـام والتجـارب؟ ويمنـع عنهـم قـانون ربهـم ودستور خالقهم الذي فيه سعادتهم، كيف نتركه يجبرهم علـى استبدال الـذي هـو ادنـى بـالذي هـو خير؟ لارضاء شهواته واشباع نزواته؟

من أجل ذلك كله كلف الله الفئة المؤمنة ان تنقذ الناس من الجهـل (عبـادة غـير اللـه)، ومـن الظلـم (الحكم بغـير مـا انـزل اللـه)، وهـذا هـو الـذي خـرج الصحابـة الكـرام مـن اجلـه مجـاهدين مكافحين، وقد قال ربعي بن عامر لكسرى عندما قابله قبل معركـة القادسية: (اللـه ابتعثنـا لنخـرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن جور الاديان الى عدالة الاسلام).

وهذا التكليف لا ينتهـي مـا دام فـي الدنيـا مظلـوم يحكـم بغـير قـانون ربـه، او جـاهل يتوجـه بعبادته الى غير الله تعالى.

والسبيل الى تحقيق هذا الهدف هو:

١ . الدعوة باللسان ، والحجة ، والاقناع.

٢ . القتال بالسلاح.

امـا الدعـوة باللسـان فلهـا ميزاتهـا ومحاسـنها منهـا: ان الذيـن يسـتجيبون لهـا طائفـة ذكيـة يستطعيون تخطي الواقـع ليتصـوروا مـا سيكون عليـه الحـال عندمـا تطبـق المبـادىء الاسلامية،

فيؤمنون بها ويكونون الاساس الذي يقوم عليه بناء الدعوة، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعبدالله بن مسعود وبلال، في بداية الدعوة الاسلامية. رضي الله عنهم.

ثم ان الدعوة باللسان لا تحتاج الى اراقة الدماء، والاسلام يكره اراقتها، ولا يقدم عليها الا مضطراً، وعندما لا تغني عنها وسيلة اخرى، كالطبيب الذي يجعل آخر علاجه الجراحة، وكما قيل آخر الدواء الكيّ.

غير ان الدعوة باللسان لا تجدي في بعض الاحيان للاسباب التالية:

١ . **غلبة الشهوة** : فالانسان الغارق في الشهوات، الواقع في أسرها يصعب عليه التخلص منها حتى وهو يبصر ضررها، وتبعاً لذلك لا يرضى الدخول في دين ينزعه من هذه الشهوات، ويفرق بينه وبينها، حتى وان كان مقتنعاً بصحة ذلك الدين، وهذه الشهوة ليست نوعاً واحداً وانما هي انواع، فزيادة على الشهوات الجسدية هناك الشهوات النفسية، كحب التسلط، والحكم على الآخرين، وهذا هو الذي نقله الينا التاريخ عن هرقل، فبعد ان اجتمع بأبي سفيان وسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرف انه الرسول المذكور في كتبهم، وأراد أن يؤمن به، فاستشار كبار قومهِ ليؤمنوا جميعاً، ولما رفضوا علم أنه ان خالفهم ذهب سلطانه، فآثر الدنيا على الآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

والى هذا المعنى يشير قول الله تعالى: ﴿**والله يريد ان يتوب عليكم، ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيماً**﴾ (١) وقوله: ﴿**بل يريد الانسان ليفجر امامه**﴾ (٢)، اي ان الانسان مقتنع بصحة الاسلام، لكن حبه للفجور والشهوات يمنعه من الايمان، وانت ترى بعض العصاة يتعامى عن الحق حتى اذا ما خفت حدة الشهوات بتقدم السن عاد تائباً، ولكن بعد ان فاته الكثير من العمل الصالح.

٢ . **اللامبالاة** : هذا النوع من الامراض الاجتماعية له اسباب منها: اليأس من الاصلاح، وهو داء انتشر بين هذه الامة اليوم، واشار الله الى وجوده ايام بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿**ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب**﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿**فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**﴾. (٤) ولكن اللامبالاة ليست عذراً ، وهل يعذر انسان آتاه الله عقلاً فأهمله، ولم يعد يفكر فيما يضره او يضر امته، او فيما ينفعه واياها، وكيف تسمو امة بهذا النوع من الرجال؟ ان حدثته عن جنة او نار، او حلال او حرام، او مصلحة عامة او خاصة هز كتفيه ساخراً، وفغر فاه بضحكة مجنونة بلهاء كأن

---

(١) النساء : ٢٧ ، (٢) القيامة : ٥.

(٣) التوبة : ٦٥ ، (٤) المعارج : ٤٢ .

الأمر لا يعينه. واسمع جزاءه المناسب عند الله تعالى: **﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾** (١)

٣ . **التقليد الاعمى :** تقليد الآباء والاجداد، تقليد المجتمع في عاداتهم وافكارهم، وتقاليدهم، وهذه مؤثرات قوية على الانسان يقع تحتها منذ أن يفتح عينيه على الدنيا، فيتكيف عقله ونفسه في قالبها، ويصعب عليه فيما بعد ان يخالفها، او يتصور اسلوباً للحياة غيرها، وكم عانى الانبياء والرسل من هذه العقدة فكانوا كلما دعوا اقوامهم الى الايمان بالله احتجوا بعادات آبائهم قال تعالى: **﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾** (٢) والمجتمع يخطيء والآباء يخطئون فكيف نترك الاجيال ضحية خطئهم؟

٤ . **الطبقة المستفيدة من الكفر المتحكمة في الرقاب بسلطان الطاغوت:** وهذه حال فرعون مع موسى عليه السلام، وابي جهل مع محمد عليه الصلاة والسلام، وحال هرقل كما سبقت الاشارة اليه، كلهم كانوا يعرفون الحق، وانه مع الرسل، لكن ان اقروا به انتقلت ازمّة الامور من ايديهم الى ايدي الرسل، وذهب عنهم سلطانهم، ولذلك كابروا وضللوا الجماهير، ومنعوا وصول الدعوة اليهم، وقد اخبر الله باعتذار تلك الجماهير يوم الحساب فقال: **﴿ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾** (٣) .

ولكن عذرهم لم يقبل لأن الله ارسل رسلا، وأعطى عقولا فلم يبق لاحد حجة، وجعل لكل انسان عقلاً، وتفكيراً مستقلاً، حتى لا يعتذر عذراً كهذا.

وفي الواقع ان هذه العقبة أشد العقبات التي تقف في طريق الدعوة، لأن السلطة تملك الوسائل الكثيرة للتأثير على العامة، ولقد سارعت الجماهير الى الاسلام عندما انهار حكم الفرس والروم ودخلوا في دين الله افواجاً، وحملوا بدورهم الدعوة الى غيرهم، وتحملوا في سبيلها الصعاب، وتعلموا الاسلام، وشاركوا العرب في البحث والاستنباط، والمحافظة على هذا الدين، فالبخاري اعجمي الاصل، وابو حنيفه كذلك، ومثلهم الغزالي، ولولا ازاحة العقبات من طريق الدعوة حتى وصلت الى آبائهم لما أسلموا ولا عرفهم الناس، ولا برزوا فيما برزوا فيه.

هذه اهم العقبات التي تقف في طريق الدعوة باللسان، والعقبة الكؤود فيها هي ذات الشوكة، تلك الجبهة المسلحة الواقفة في وجه الدعوة، التي تمنع وصول الخير الى الناس، ولذا فلا بد من تحطيمها بقوة السلاح بالجهاد في سبيل الله.

---

(١) الطور : ١٣ – ١٤ ، (٢) البقرة : ١٧٠ ، (٣) الاحزاب : ٦٧.

بعد هذه المقدمة لنرى كيف يعامل الاسلام الدول المجاورة، والواقفة في طريق الدعوة، انه يقسمها الى قسمين:

١ . دول كافرة ليس لها كتاب ولا شبه كتاب، سواء كانت وثنية تعبد الاصنام ام لا؟ كالدول الملحدة التي لا تعبد شيئاً.

٢ . دول كافرة لها كتاب، اي تؤمن بالله، وان كان هذا الايمان مشوباً بشوائب مكفرة.

أما النوع الاول : فالاسلام يخيرها بين أمرين:

أ . اما الاسلام : باعتناق عقيدته وتطبيق احكامه.

ب . واما الحرب.

لانه لا يجوز الابقاء على دولة تفرض الجهل والظلم على العباد، ولأن من امتهان الانسانية ابقاؤها على الوثنية، والسماح لطغمة من الناس ان تضلل الجماهير، وتسخر من الانسانية، او تقودها الى الجهل الفظيع باسم الحرية، وعدم التدخل في شؤون الآخرين، وهل يرضى عاقل ان يبقى انسان في عصر الذرة يعبد بقرة أو قرداً او حجراً؟! ان القوانين تعاقب من يحاول الانتحار، وان كانت حجته انه حر يصنع في نفسه ما يشاء، وتحجر على صاحب المرض الساري خوفاً من ان تنتشر العدوى، ولا تلتفت الى قضية حريته، ويجري الطبيب العملية الجراحية للمريض باذن وليه، وان كان فيها اراقة للدماء، وهكذا من يعبد الاوثان، ان لم يستجب بالحجة فلتجر له عملية جراحية حتى لا تنتقل عدواه الى ذريته، وان كان هو يريد الجحيم فالى الجحيم، لكن لن نسمح له بأن يأخذ أولاده معه.

وأما النوع الثاني من الدول: وهي الدول الكتابية فنظراً لوجود قدر مشترك ومهم بين دياناتهم وبين الاسلام، ولوجود مجال كبير للتفاهم، واساس صالح للمناقشة، واحتراماً لأصل الكتاب المقدس الذي نزل عليهم، يخيرهم الاسلام بين ثلاث:

١ . **الاسلام** : أي الدخول في عقيدته مع تطبيق احكامه.

٢ . **الجزية** : وهي دفع مقدار من المال اشعاراً بالرضى بحكم الاسلام والالتزام بتشريعه، مع البقاء على العقيدة الاصلية، والايام كفيلة بأن تظهر لهم محاسن الاسلام فيدخلوا فيه.

وفي هذه الحالة يسمح لهم بممارسة عباداتهم ومنها احكام الزواج وما يتعلق به واحكام الاطعمة والاشربة.

٣ . الحرب حتى يحكم الله ما يريد.

من هذه الاحكام يتبين ان الاسلام لا يرضى بأن يوجد على وجه الارض حكم لغير الله تعالى، سواء سمح لبعض الناس بالبقاء على عقيدته المخالفة او لم يسمح، وليس سماحه رضى بتلك العقيدة، ولكن نظراً للاسباب السابقة من جهة ومن جهة اخرى فان العقيدة الباطلة تضر صاحبها شخصياً، واما النظام الظالم الفاسد فضرره يقع على المجتمع كله.

ومن هذه الاحكام ايضاً يتبين ان الاسلام يسعى الى جمع العالم كله في دولة واحدة، تؤمن بالله وتحكم بشرعيته، وهذا معنى عالمية الاسلام.

اما الجهاد للدفاع عن البلاد الاسلامية وتخليص ما وقع منها تحت حكم الكفار فيكاد يكون بدهياً عند كل مسلم: ان الامة لا يجوز ان يقر لها قرار في مثل هذه الحالة حتى تخلص وطنها من الاحتلال، هذا ما يستقر في وجدان كل مسلم، واذا ما حرك المسلمون من هذه الناحية هبوا هبة رجل واحد، وقد فعلوها وطردوا الصليبيين وقهروا التتار، وسيفعلونها ان شاء الله فيخلصون فلسطين والاندلس وكل شبر اخذه اعداء الله، والاسلام اذ يضع هذه الاحكام ويكلف الامة الاسلامية بهذه المهمات لا يكتفي بتفويض الامر الى الامة تنفذه كيفما كان بل يخطط لبلوغ هذا الهدف التخطيط الصحيح حتى لا تبقى هذه الاحكام حبراً على ورق ولا مثلا في عالم الخيال.

وسنرى في البحث القادم ان شاء الله تعالى التخطيط الاسلامي لبلوغ النصر، وكيف يعبىء كل الامكانيات للنجاح في المعركة.

الاعـداد الاسـلامـي للمعركـة

ان الله تعالى اذ يكلف الامة الاسلامية بنشر لواء الاسلام، لا يجعـل سـبيلهم الـى ذلـك خرق العادات، وان كان قد اكرمهم بها مراراً، وانما جعل سبيلهم الى النصر الكفاح والعمل المنظم، لأن سنة الله في الكون: أن ليس للانسان الا ما سعى، ولذلـك فـان الاسـلام يعبـىء كل امكانيات الامة لتصل الى النصر في معركتها مع الباطل، ونريد ان نسـتعرض خطـوط هذه التعبئة لنتبعها في معركتنا مع الغزاة ان شاء الله.

اذا استعرضنا آيات الجهـاد فـي القـرآن الكـريم، والاحـاديث النبويـة التـي تبحـث هـذا الموضوع، والاحكام الفقهيـة التـي قررهـا العلمـاء فـي كتبهـم نـرى ان النصر يعتمـد علـى الاسس التالية:-

١ . وحدة الكلمة.

٢ . الاستعداد المادي.

٣ . التعبئة المعنوية.

٤ . العلاقة المتينة مع الله تعالى.

ونرى ايضاً ان الاسلام قرر من الاحكـام مـا يضمـن وجـود هـذه الاسـس ومـا يتفـرع عنها، ولنستعرض هذه الاحكام.

اتحاد كلمة الامة : لقد أوجـب اللـه علـى الامـة ان تحققـه بأوسـع معانيـه، سياسـياً، وثقافيـاً، وعسكرياً، واقتصادياً، يقول الله تعالى: **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكـم﴾**(١). ولذلـك حـرم تفرق الكلمة، وامر بالضرب بشدة على ايدي العابثين بوحدة الامة، وجعل الله القرآن الكريم النبـع الفياض لثقافة الامة الاسلامية تستقي من نوره كل طبقات الامة، ولنا عودة ان شاء اللـه الـى هـذا الموضوع تحت عنوان "عنـاصر التماسـك فـي المجتمـع الاسـلامي" وليس معنـى هـذا الشـرط ان النصر لا يتحقق الا باتحاد كل الامة بل متى وجدت مجموعة متحدة على الحق، تتوفـر فيهـا بقيـة اسس النصر، أكرمهم الله بنصره ان شاء لأنهم أدوا ما عليهم مـن هـذه الجهـة والبـاقي علـى اللـه يفعل ما يشاء بمقتضى حكمة يعلمها.

الاستعداد المادي : وهو يشمل رصد الاموال، وحشد الرجال، والاستفادة من العقـول الذكيـة في الامة.

---

(١) الانفال : ٤٦.

١ • أما رصد الاموال فان الاسلام يجعل في بيت المال حصة ثابتة للانفـاق علـى اعداد الجيش، وتسليحه بكل ما تصل اليه اليد من سلاح قال الله تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾**(١). وعندما لا تكفي موارد الدولة للبلوغ هذه الغاية من الاعداد يسمح لها ان تأخذ من اموال الامة اما على سبيل القرض، او بدون عوض، والقـرآن يهيب بالامـة ان لا تبخل بمالها، ويحذرها مغبة البخل فيقول: **﴿وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بـأيديكم الـى التهلكة﴾**(٢). فهو يعد البخل بالمال القاء باليد الى الهلاك، وماذا ينفع المال اذا اجتاح العدو البلاد؟

٢ • واما حشد الرجال، فان الاسلام يجعل الجهاد فرضاً لا يسلم المتأخر عنه من عقوبة الدنيا ولا من عقوبة الأخرة، فاذا ما اعلن الامام الجهاد اصبح واجباً على كل مستطيع ان يتقـدم لحمـل السلاح، ولا بد من وجود جيش منظـم مـدرب جـاهز للمعركـة، وان كـان الاسـلام فـي هـذا المقام يعتمد على الترغيب اكثر مـن الترهيب، ولـذا فقـد كـان رجـال الامـة فـي كـل عصـر يتدافعون للقتال في سبيل الله، وان لم تكن هناك عقوبة على المتخلفين. ويـرون ان الرجولـة لا تكتمل الا بحمل الاسلاح والايمان لا يكتمل الا بالجهاد، ويرون المجاهدين خيرة الامة.

٣ • واما استغلال الطاقة الفكرية فذلك من ناحيتين:

الاولى : ان يبذل كل مسؤول طاقته الفكرية في اتقان عمله والابداع فيه، لانـه مسـؤول عـن ذلك امام الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عـن رعيتـه)) (٣) فان هو قصر فلا يلومن الا نفسه.

الثانية : اسناد المناصب الى الاكفاء اصحاب العقول الذكية المبدعة، ولذلك نرى النبي صلى الله عليه وسلم يسند المناصب القيادية الى الشباب الذين ظهر نبوغهم، والى الاشخاص الذين ثبتت جدارتهم وان لم يكونوا من اصحاب البيوت العريقة.

التعبئة المعنوية : والاسـلام لا يعتمـد فيهـا علـى المبالغـة، ولا الخيـال الـذي يصـور العـدو بصورة هزيلة ويضخـم القـوات الصديقـة، وانمـا يضـع يـد كـل واحـد فـي المجتمـع علـى الحقـائق الصادقة التالية:

١ • ان المسلمين هم اولياء الله واحباؤه، وهو وليهم وناصرهم، لانهم يبلغون رسالته الـى النـاس رسالة الحق والعدل قال تعالى: **﴿الله ولي الذين آمنوا﴾**(٤). ولا بد ان ينعكس هذا الشـعور على تصرفات العبد وهو يسعى جاداً في نصرة دين الله، شاعراً بأن الله معه يعينـه ويؤيـده بينما اعداء الله الذين يقاتلهم ليس لهم سند الا الشيطان وبئس السند، قال الله تعالى: **﴿الذين**

---

(١) الانفال : ٦٠ ، (٢) البقرة : ١٩٥ ، (٣) متفق عليه ، (٤) البقرة : ٢٥٧.

آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾(١).

والقتال في سبيل الله يشمل القتال من اجل حماية العرض والنفس، والوطن والمال، لان الله يأمر بحمايتها.

٢ . ان المسلم اذا ترك الجهاد وشدته العلاقات المادية فانما يقعد عن خير الى شر، اذ يعرض نفسه الى عقوبة الله تعالى قال عز وجل: **﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم﴾**(٢). أما ان فر من المعركة فانما يفر من نار العدو التي تسوقه الى الجنة الى نار جهنم، وغضب الله تعالى، قال الله عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾**(٣). ولهذا لا يجوز له ان ينسحب من وجه العدو الا من اجل خطة حربية، وعليه ان يصبر على حر المعركة مهما كانت ضارية فان الجنة تحت ظلال السيوف.

٣ . ان اعتقاد الناس بأن الموت موطنه المعركة اعتقاد خاطيء، فلا ارتباط بين الموت والمعركة، فالموت له ساعته التي لا تتقدم ولا تتأخر، فاذا دنت تلك الساعة فلا مفر منها قال الله عز وجل: **﴿اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾**(٤). وقال تعالى: **﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم﴾**(٥).

٤ . ان من حسن حظ الانسان ان تصادف منيته ساعة المعركة فيكون سبب موته – وما اكثر اسباب الموت – القتال في سبيل الله فيلقى الله شهيداً، فان من يكتب الله له هذا الحظ الجميل لا يكون ميتاً كسائر الاموات بل هو من نوع ممتاز قال الله تعالى: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون﴾**(٦). تغفر للشهيد ذنوبه عدا حقوق الناس، فيبعث يوم القيامة خفيف الظهر من الذنوب، وما اثقلها يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: ((يغفر الله للشهيد كل شيء الا الدين)) (٧). والشهيد يدخل الجنة بمجرد ان يفارق هذه الدنيا، والجنة هي الدار التي فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب احد.

٥ . اما العيال والاولاد: فقد بينا ان اقامته عندهم لا تطيل عمره، كما ان خروجه لا يقصره، وما عليه في كلا الحالين الا ان يفوض امرهم الى الله، فهو الرزاق وهو الذي يتولى الجميع بلطفه ورعايته.

---

(١) النساء : ٧٦ ، ٢) التوبة : ٣٩ ، (٣) الانفال : ١٥ – ١٦ ، (٤) النساء : ٧٨ ، (٥) آل عمران : ١٥٤.

(٦) آل عمران : ١٦٩ (٧) رواه مسلم.

هذه الحقائق عندما يضعها الاسلام امام المسلم يحل في نفسه عقدة الخوف والحرص على الحياة، بل يتبدل الامر جذرياً اذ لا يعود الموت في المعركة مرهوباً بل مرغوباً، لانه من ابواب الجنة التي هي اغلى اماني المسلم، ولذا يتهافت الناس على هذا الباب بلا خوف ولا وجل، ومن الذي يخاف الجنة او يرغب عن رياضها ورضوان الله فيها؟!

من اجل ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: ((والذي نفس محمد بيده لو ددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل، ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل)). (١)

واما العلاقات المتينة مع الله تعالى: فهي قبل كل شيء وبعد كل شيء، قبل كل شيء لتحمل الانسان على الاعداد للمعركة على النحو الذي سبق، وبعد كل شيء حتى لا يغتر المسلمون بكثرتهم او عدتهم، انهم يقاتلون لاعلاء كلمة الله، والله ينصرهم لانهم يريدون اعلاء كلمة الله، فاذا لم تكن كلمة الله عالية في قلوبهم وفي مجتمعهم كيف يستطيعون اعلاءها عند الآخرين؟ ان الله تعالى اذا نصرهم وأيدهم وهم منحرفون كان ذلك تأييداً للانحراف، وحاشا لله ان يؤيد الانحراف او المنحرفين، انه سيتخلى عنهم ويصبح الصراع مادياً له حسابه المادي الخاص، فان عادوا الى الله عاد الى تأييدهم، والا استبدلهم بغيرهم يقيمون شرع الله بينهم، ثم يسيرون فاتحين في الارض فتوح خير وبركة وحق وعدل.

واذا وقعت الهزيمة في معركة فعلى الامة ان تفتش نفسها لتعرف من اين اخذت؟ وفيم قصرت؟ لتتدارك امرها فيما بعد.

قال الله تعالى : **﴿أولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم: انى هذا؟ قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير﴾**(٢).

---

(١) رواه مسلم ، (٢) آل عمران : ١٦٥.

احكام في العبادات تلزم المجاهد

في هذا المبحث نريد ان نذكر بعض الاحكام الفقهية التي يحتاج اليها المجاهد، ويصعب عليه الرجوع فيها الى الفقهاء، وامر العبادة لا يؤجل، ونذكرها باختصار ولا نتقيد فيها بمذهب فقهي معين بل نأخذ بالايسر على المجاهد، وكل المذاهب على خير وبركة وكلهم من رسول الله ملتمس.

أ . **من شروط الصلاة** : الطهارة من النجاسة، ومن الحدث الاصغر والاكبر، وهنا نحتاج الى المسائل التالية:-

١ . **الدم** : اذا جرح الانسان واصاب بدنه او ثوبه من دمه فأنه يعفى عنه، وان كثر، واما دم غيره فيعفى عن القليل دون الكثير، وكذلك اذا كانت به قروح او دمامل فاصابه من افرازاتها يعفى عنها، وعليه ان يبادر الى ازالتها عند الاستطاعة، وخروج الدم من الجسم لا ينقض الوضوء.

٢ . **المني طاهر** : فاذا احتلم الانسان فاصاب ثوبه المني، جاز له الصلاة به. بعد أن يغتسل او يتيمم وان لم يغسل ثيابه.

٣ . **غسل النجاسة** : اذا اصاب الثوب نجاسة يجب غسلها بالماء حتى تزول، فان بقي منها لون عسر زواله فهو معفو عنه، واذا لم يستطع غسل النجاسة يجوز له ان يصلي دون ان يغسلها ثم يقضي تلك الصلاة.

٤ . **النعل** : يطهر بالدلك بالارض بعد ازالة عين النجاسة.

٥ . **الاستنجاء** : يكفي الاستنجاء بالحجارة او ورق التواليت، وما اشبه ذلك فان تيسر الماء فهو افضل.

٦ . **التيمم** : اذا اراد المسلم الوضوء او الغسل من الجنابة ولم يجد ماء أو وجده ولكنه بحاجة اليه للشرب او الطبخ، او كان به مرض لا يستطيع معه استعمال الماء جاز له في هذه الحالات ان يتيمم، وكذلك يجوز له التيمم اذا كان الماء بارداً وخشي من استعماله ضرراً ولم يكن باستطاعته تسخينه، والتيمم هو ان يضرب بكفيه التراب ثم يمسح بهما وجهه ثم يضرب مرة اخرى فيمسح بيديه الى المرفقين، والمسح ليس بالتراب بل بالاثر العالق باليدين منه، فاذا زال عذره بعد ذلك وجب عليه استعمال الماء.

٧ . **المسح على الجبيرة** : اذا كان على عضو عصابة، واراد المسلم الوضوء، او الغسل، غسل الصحيح من جسمه، ثم مسح على العصابة، ويصلي فاذا زال عذره ورفع العصابة غسلَ ما تحتها.

٨ . **المسح على الخفين** : يجوز المسح على الحذاء اذا كان ساقه عالياً (بسطار) فاذا لبس الحذاء وهو متوضيء، ثم احدث واراد ان يتوضأ فلا داعي لخلع الحذاء بل يكفي المسح على ظهره بالماء ثم يصلي به بعد تطهيره كما سبق ويجوز له بالمسح عليه ما لم يخلعه يوماً وليلة ان كان مقيماً، وثلاثة ايام بلياليها ان كان مسافراً، كل ذلك ابتداء من تاريخ النقض بعد الوضوء الاول، اما اذا صار جنباً فانه يجب عليه نزعه ولو لم تنته مدة المسح بعد.

٩ . **الغسل** : يجب الغسل لأمور منها خروج المني في اليقظة او المنام، ولا يجب الغسل اذا احتلم الانسان ثم لم يجد بللاً. ولم يتأكد من خروج المني.

ب . من احكام الصلاة :

١ . استقبال القبلة : اذا لم يعرف المصلي القبلة اجتهد ثم صلى الى الجهة التي يغلب على ظنه انها القبلة. وفي حالة الخوف والمعركة لا يجب استقبال القبلة.

٢ . الحركة الكثيرة في الصلاة تبطلها، اما في حالة الحرب فان الحركة لا تبطل. فتصح الصلاة عند احتدام المعركة والمصلي يرمي، او يلقم المدفع او يسدد... الخ.

٣ . وفي هذه الحالة اذا لم يتمكن من الركوع والسجود أومأ بهما ايماء.

٤ . الكلام : يجوز الكلام في الصلاة اثناء المعركة اذا كان ضرورياً وعلى قدر الضرورة، لكن يستحب اعادة الصلاة التي تكلم فيها، بعد المعركة.

٥ . جمع الصلوات : اذا كان المجاهد يتوقع المعركة او في حالة المعركة جاز له جمع الظهر والعصر في وقت ايهما شاء، والمغرب والعشاء في وقت ايهما شاء، ولا يفصل بين الفرضين بشيء من السنن.

فان كانت المعركة لم تبدأ فليجمع جمع تقديم، وان كان في المعركة فليجمع جمع تأخير، اما اذا لم يتمكن من الجمع ولا الايماء بالصلاة، جاز تأخيرها ثم يقضي فور الامكان.

جـ . من احكام الصيام:

اذا كان الصيام يؤخر عن القيام بواجبه في المعركة جاز له ان يفطر ثم يقضي بعد المعركة، اما في حالة المرابطة اي انتظار القتال وترقب المعركة فلا يجوز الافطار الا اذا لحق المجاهد ضرر بسبب الصيام.

وثواب الصيام في الرباط عظيم، ولذا كان السلف الصالح يحرصون عليه.

د . من احكام الحظر والاباحة:

الكذب : يجوز الكذب على العدو اذا اضطر اليه المجاهد، بل يجب الكذب اذا سأله عما يتعلق بقوة جيشه واسراره.

أكل الميتة : يجوز ذلك عند الضرورة وعلى قدر الضرورة.

مـــن أحكـــام الجهـــاد

نذكر في هذه المحاضرة بعض الاحكام الشرعية التي يحتاج اليها المجاهد خلال المعركة.

١ . **طاعة القائد** : يجب شرعاً طاعة القائد العسكري فيما يأمر به الا اذا امر بحرام فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، واما اذا امر بمباح، او مندوب، فقد اصبح فرضاً على المأمور طاعته، واذا حصل نزاع فقضى فيه القائد وجب الامتثال والالتزام برأيه مالم يخالف نصاً شرعياً قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**(١).

٢ . يجب على القائد ان يجتهد في مصلحة جنوده، وان يرفق بهم، ويبادلهم النصيحة فيقبل النصح، ويوجه النصح، ويراعي الضعيف، والمريض، لان كل راع مسؤول عن رعيته أمام الله تعالى، وسيحاسبه حساباً عسيراً ان هو مال عن الحق او انحاز الى جهة او قصر في مسؤوليته. كما يجب عليه مشاورة من يعرف صدق نيته وتجرده عن الميول الشخصية للصالح العام. ويجب ان يوجه جنوده الى طاعة الله، والبعد عن المعصية فهي اضر عليهم من سلاح عدوهم.

٣ . تجب المحافظة على وحدة الصف، والضرب بشدة على يد من يشق الصفوف، كما لا يجوز الخوض في امور جدلية تؤدي الى الفرقة، وتنافر القلوب، وعلى كل مجاهد ان يحذر من عملاء العدو ولا يتردد في التبليغ عنهم، وعليه ان يتكتم في الامور العسكرية. الا مع أصحاب الاختصاص من قادته او اتباعه وزملائه. اما غير المعنيين فلا.

٤ . الدعاء عند المعركة قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾**(٢). فان النصر من الله، والمسلم بعد ان يعد العدة ويأخذ بالاسباب يتوجه الى الله تعالى بالدعاء، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو الله تعالى في المعركة بأدعية مختلفة منها قوله عليه السلام: ((اللهم انت عضدي ونصيري بك احول وبك اصول وبك اقاتل)) (٣) ويستحب قول: **﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾**(٤).

وذكر الله في المعركة له فعله الخاص في النفوس، وما أجمل كلمة الله أكبر، يرددها المجاهد عند التحام الصفوف، انها تفجر الحماسة في قلب المؤمن، وتقذف الرعب في قلوب أعداء الله، وكم سمعها اجدادهم من اجدادنا فولوا الادبار.

٥ . لا يجوز قتل الصبيان والعجزة ومن لا يقاتل، أما النساء فان قاتلن قتلن والا فهن كالعجزة.

---

(١) النساء : ٥٩ ، (٢) الانفال : ٤٥ ، (٣) رواه ابو داود ، (٤) آل عمران : ١٧٣.

٦ . **الهدنــة** . يجوز عقد الهدنة اذا كان لصالح المسلمين بشرط ان يستغلها المسلمون في تقوية انفسهم، وان تكون الى اجل معين، وقال الفقهاء لا يجوز ان تزيد على عشر سنوات ولا يجوز الغدر بالعدو خلالها، فان ظهر منهم بوادر الغدر فيجب نبذ عهدهم اليهم بوضوح، وعلى الباغي تدور الدوائر.

٧ . **المعاهدات** . يجوز الاتفاق مع العدو على معاملة معينة للاسرى او غيرهم، اذا كانت المعاهدات فيها مصلحة للمسلمين، وعندها يجب المحافظة على هذه المعاهدات.

٨ . **الامـــان** . يجوز للقائد ان يعطي أماناً لبلد او جماعة او شخص اذا كان في ذلك مصلحة، ويكون المؤمنون عند ذلك في عهدة المسلمين، لا يجوز الغدر بهم ولا الاعتداء عليهم، فإن ظهر منهم غدر او تجسس ارتفع ذلك الامان عنهم.

٩ . **الغنائــم** . يجب تسليمها الى القائد ويحرم سرقة شيء منها، قال تعالى ﴿**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**﴾(١). والغلول: هو السرقة من الغنائم، والحكم الشرعي في الغنائم ان تقسم الى خمسة اخماس خمس منها الى بيت المال ينفق على مصالح المسلمين، وعلى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لا حصة لهم في الزكاة، وعلى اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والاخماس الاربعة الباقية تقسم بين المجاهدين، ويجوز لهم التنازل عن حقهم للمصلحة العامة.

١٠. **الشهداء** . من استشهد من المجاهدين اثناء القتال ومات فور اصابته او جرح ومات بعد قليل، فهذا يكفن بثيابه ويدفن فيها، ولا يغسل ولا يصلى عليه ليبعث يوم القيامة على حاله، اللون لون الدم والريح ريح المسك، والافضل دفنه في أرض المعركة، الا اذا خيف عليه من العدو، او لحاجة اخرى، واذا كثر الشهداء جاز دفن اكثر من شهيد في قبر واحد، واما من يجرح ثم يموت بعد فترة طويلة فيغسل، ويصلى عليه، ويكفن، وهو مع ذلك شهيد، واما قتلى الاعداء، فلا يجب تكفينهم ولا دفنهم وانما توارى جثثهم منعاً للرائحة ولا يجوز التمثيل بهم، ويجوز تركهم بلا دفن ان علمنا ان العدو سيأتي ويدفنهم ليكون ذلك اوقع في نفوسهم.

١١. **الاسرى** . يجب الاحسان اليهم، باطعامهم، ومعالجتهم، وكسوتهم من البرد والحر، وقد مدح الله المؤمنين الذين يحسنون الى الاسرى قال عز وجل: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيرا**﴾(٢) .وقال عليه السلام للمسلمين يوم بدر: ((استوصوا بهم خيراً))(٣) اي بالاسرى. ثم بعد ذلك يخير ولي الامر بين قتلهم او مبادلتهم بأسرانا الذين عند العدو او بمال، ويجوز المن عليهم وهو اطلاق سراحهم بلا مقابل قال تعالى: ﴿**فاذا لقيتم**

---

(١) ال عمران : ١٦٣. (٢) الانسان : ٨ (٣) سيرة ابن هشام ،

الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحراب اوزارها﴾(١). ويجوز جعلهم ارقاء معاملة بالمثل (وسنتكلم عن الرق في البحث القادم ان شاء الله تعالى) وولي الامر يفعل ما فيه المصلحة من ذلك كله.

ويجب التنبيه الى انه لا يجوز الاعتداء على عرض الاسيرات فهو حرام شرعاً، والواجب تسليمهن الى ولي الامر ليرى رأيه.

واذا اعلن الاسير اسلامه قبل القاء القبض عليه لا يجوز قتله، لكن تتخذ الاحتياطات الكفيلة برد كيده ان كان مخادعاً.

---

(١) محمد ٤.

الـرق وحكمــه فــي الاســلام

هذا الموضوع محله القسم الخامس من هذه المحاضرات تحـت عنـوان: "المواضيـع العامـة"، ولكني اردت وضعه هنا لما ورد في حكم الاسرى آنفاً من جواز اسـترقاقهم اذا رأى الامـام ذلـك، حتى لا يصدق احد ما يثيره اعداء الاسلام حول هذا الموضوع ونريد ان نبدأ القصة من اولها.

جاء الاسلام والرق نظام معمول به في كل الدنيا، فبدأ فوراً بوضع المنهج الصحيـح لالغائـه قبل ان تستقر اقدام الاسلام على الارض، ويوجد مجتمـع يطبـق احكامـه ويسترشـد بهداه، وهـذه الخطة تتلخص في حصر منابع الرق، وايجاد المصارف له، والى جانب تحرير العبيد داخلياً. مـن الذلة التي فرضها عليهم المجتمع الجاهلي، واقتنعوا هم بهـا فـرأوا أنفسـهم دون اخوانهـم مـن بنـي آدم.

لقد كان الناس يعتقدون ان العبد لا يساوي الحر ولا يمكن ان يساويه، وكـان العبيد مقتنعيـن بذلك، واذن فان اصـدار مرسـوم بالغـاء الـرق لا يحـل المشـكلة ان لـم يعقدهـا، فبـدأ الاسـلام اولا باشعار العبيد انهم بشر وانه لا فرق بينهم وبين الاحرار، وذلك عندما اخـذت دار الارقـم بـن ابـي الارقم تجمع العبيد الى جانب الاشراف علـى قـدم المسـاواة تربطهـم اخـوة يـنزل الوحـي كـل يـوم ليؤكدها، وينزل القرآن ليطالب الجميع بواجبات واحـدة امـام اللـه تعـالى، وهـذا ممـا اغـاظ السـادة الحمقى ومنعهم من الدخول في الاسلام، لأنه يساوي بينهم وبين العبيد.

وتبعاً لذلك حرم الاسلام تلك المعاملة القاسية التي كان العبيد يعاملون بها سيما عند الرومان، قال عليه الصـلاة والسلام: ((من قتـل عبـده قتلنـاه ومـن جـدع عبـده جدعنـاه "أي قطـع أنفـه" ومـن اخصى عبده اخصيناه))(١)، وهكذا بـدأ بتحريـر العبيـد داخلياً ليشـعرهم ويشـعر النـاس انهـم بشـر كسائر البشر.

وهي خطوة اساسية اذا لو حرر العبد قبلها لما استطاع ان يعيش مستقلاً في اموره، لانــه لـم يتعود الاستقلال من قبل.

واما منابع الرق فقد كانت قبـل الاسـلام متعـددة منهـا: اعتبـار نـوع مـن النـاس او لـون مـن الالوان عبيـداً، ومنهـا الغـزو لاختطـاف الاشـخاص وجعلهـم عبيداً، ولقـد حـرم الاسـلام كـل هـذه الوسائل تحريماً قاطعاً.

وبقي مصدر واحد فقط هـو اسـترقاق الاسـرى وكـان ذلـك عرفـاً سـائداً بيـن الـدول، ووقـف الاسلام في هذا المجال امام ثلاث طرق لا غير.

---

(١) رواه الشيخان.

١ ، اما ان يحرم استرقاق الاسرى، ولو فعلها لصفقنا له اليوم بحرارة لانه سبق امريكا في اصدار هذا المرسوم، ولكن هذا التشريع سيكون كارثة على المسلمين طيلة القرون الماضية، اذ سيكون معنى ذلك: ان يرى المسلمون أبناءهم الاسرى في يد الكفار يسامون سوء العذاب، يسترقون ويمتهنون، بينما يطالبهم دينهم بالاحسان الى الاسرى الكفار، وبعدم استرقاقهم، وبتقديم وجبات الافطار الساخن، والغذاء الدسم دون ان يكلفوهم بعمل، واي عاقل يرضى بهذا الوضع؟! وأي حرج اشد من هذا الحرج؟!

٢ ، واما ان يجعل استرقاق الاسرى فرضاً لا يجوز تركه ولا الاخلال به، وهذا الحكم لا يحرج الاجيال الماضية، بل قد يكون باعثاً لاعجابهم وسرورهم، لأنه يوافق ما ألفوه في الجاهلية، ولكنه سيكون احراجاً لنا اليوم، اذ نرى الدول قد اتفقت على عدم استرقاق الاسرى، وديننا يفرض علينا ان نسترقهم!!

٣ ، واما ان يجعل استرقاق الاسرى مباحاً يفعله ولي الامر ان كان فيه مصلحة للامة (كالمعاملة بالمثل). ويتركه ان كان في تركه مصلحة (كما هي الحال اليوم)، وهذا بالضبط ما فعله الاسلام لأنه لا يشرع لعصر دون عصر، ولا لقوم دون قوم، بل لكل زمان ومكان.

بقي الحديث عن الابواب التي فتحها الاسلام لتحرير الارقاء.

ان الاسير بعد ان يقرر استرقاقه يجب ان يعامل بالحسنى ليرى محاسن الاسلام فيسلم بلا اكراه ولا ضغط، وبهذا تقدم له اكبر احسان اذ تخرجه من الظلمات الى النور، ومن النار الى الجنة، ويجب مساواته مع سيده في الطعام والشراب والكسوة، قال عليه الصلاة والسلام: ((اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فان كلفتموهم فاعينوهم))(١)، وبهذا يصبح الرقيق فرداً من افراد الاسرة، يشاركهم حياتهم كأولادهم، ولكن تحريره الداخلي واشعاره بكرامته سيجعلانه يتطلع الى الحرية مهما لقي من الاحسان عند سيده ولذا فتحت له الابواب التالية:-

١ ، الاعتاق تقرباً الى الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: ((من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار))(١)، ولقد تنافس المسلمون في هذا الباب فأعتقوا الكثير تقرباً الى الله تعالى ليعتق رقابهم من النار.

٢ ، خصص الاسلام سهماً في بيت المال خزينة الدولة لتحرير الارقاء بشرائهم، واعتاقهم او مساعدتهم عند المكاتبة.

٣ ، **الكفارات** : هناك ذنوب معينة اذا فعلها المسلم وجب عليه عتق رقبة ان قدر على ذلك، كمن حنث في يمينه، او قتل نفساً، او ظاهر من زوجته.

---

(١) متفق عليه. (١) متفق عليه.

٤ . **المكاتبـــة** : وهو ان يطلب العبد من السيد اعتاقه مقـابل مـال يقدمـه لـه بعد فترة محـدودة، وعندها يجب على السيد اجابة طلبه وان يضع عنه شيئاً من القسط الاخير ليساعده.

٥ . **السرايــة** : بأن يكون عبد مشترك بين اثنين فيعتق احدهم حصتـه وعندهـا يعتـق كـل العبد ويجب على من اعتق حصته ان يدفع لشريكه ثمن حصته ان كان قادراً.

٦ . **التدبيــر** : بأن يقول السيد لعبده انت حر بعد موتي فيصبح حراً بعد موت سيده.

٧ . **الاستيلاد** : اذا كان الرقيق انثى جاز لسيدها فقط ان يطأها، ولا يجوز لغيره، وعندها تصبـح محرمة على والده وولده كزوجته، فان ولدت منه ولداً، ولو سقطا له خلقـة آدمـي، اصبحت ام ولد، فيحرم عليه بيعها، وهبتها، فاذا مات صارت حرة بعد وفاته.

٨ . ان العتق لا يحتاج الى مراسيم خاصة فبمجرد ان يقول السيد لعبده: أنت حر، جاداً او هـازلاً ولو بسبق لسان صار حراً فلا سلطة له عليه.

هذه الخطة الاسلامية لالغاء الـرق قد آتت اكلهـا فقـل عـدد الرقيـق فـي المجتمـع الاسـلامي بالنسبة لغيره من المجتمعات، ولو سارت الامور في الخط الصحيح المرسوم لها لانتهى الرق فـي المجتمع الاسلامي قبل ان تلغيه امريكا بقرون.

ومن عجائب المفارقات ان محمداً صلى الله عليه وسلم الذي يتهـم بأنـه اقر الـرق مـات ولا يوجد في ملكه عبد، وابراهام لنكولن الذي يقال انه اعلن حرية الرقيق مات وعنده اثنا عشر عبداً.

ولكن العداء يحمل الشخص المنحرف على اتهام البريء وتبرئة المتهم ولقد بلغ الارقاء قبـل تحريرهم وبعد تحريرهم مبلغاً عظيماً في المجتمع الاسلامي فكان منهم العلماء والشعراء والتجـار والقادة والسياسيون وامهات الخلفاء والسلاطين، لأن فكرة الرق في الاسلام لا تلغى أخوة الاسـلام ولا إنسانية الانسان ولا تهدر المواهب في الرقيق.

المعـامـلات

الاحكام الشرعية شاملة لكل تصرفات الانسان

تحدثنا فيما سبق عن العقيدة الاسلامية والعبادات، ولكن الاسلام ليس عبادات فقط كما سبقت الاشارة الى ذلك مراراً بل هو أيضاً نظام للحياة، فهو ينظم علاقات البشر بعضهم ببعض. ويحكم فيما يقع بينهم من أفعال نافعة أو ضارة، ويرتب عليهم واجبات تعود بالخير عليهم جميعاً، وهذا هو المقصود بكلمة "االمعاملات" هنا، لا ما تعارف عليه الفقهاء فقط.

وفي هذه المحاضرة نبين كيف ان الاسلام لم يترك ناحية من نواحي الحياة الا وطرقها فعالج مواضيعها انجح علاج، ونظمها أحسن تنظيم.

يقسم علماء الحقوق القوانين التي تنظم تصرفات البشر (الحقوق) الى قسمين رئيسيين وتحت كل قسم فروع:

القسم الأول :- **الحقوق العامة**. ويسميها فقهاء المسلمين: حق الله وتحتها الفروع التالية:

١ • **الحقوق الدستورية** : وهي التي تحدد شكل الدولة وترسم قواعد الحكم فيها، وفي هذا المجال بين الاسلام ان الحكم يجب ان يكون شورياً، قال تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾(١). وان مهمة الحاكم تنفيذ احكام الله، ولذا فهو يستمد قوته من اوامر اللـه عز وجل، قال ابو بكر رضي الله عنه: (اطيعوني ما اطعت الله فيكم، فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم).

٢ • **الحقوق الادارية** : وهي التي تتعلق بتنظيم السلطة الادارية للدولة، وحماية الافراد من اعتداء السلطة، وهنا بين الاسلام ان واجب كل موظف هو السعي لتحقيق الصالح العام وهو محاسب ان فرط في واجبه، قال عليه الصلاة والسلام: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))(٢). ولا يجوز له التسلط على الناس بلا حق، قال عمر رضي اللـه عنـه لموظفيه: (اني استعملتكم على امة محمد صلى الله عليه وسلم لا على اشعارهم ولا على ابشارهم(٣)، انما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه اليّ فوالذي نفس عمر بيده لاقصنّه منه).

٣ • **الحقوق الدولية**: وهي التي تنظم العلاقات بين الدول في السلم والحرب وقد بين الاسلام ذلك، وتحدثنا عن جانب منه خلال الحديث عن الجهاد، ومن القواعد في هذا الباب ان السفراء لا يؤذون، والجاسوس يستحق القتل، ولا يعتدى على المسلمين في أيام الحرب.

---

(١) آل عمران : ١٥٩ ، (٢) متفق عليه ، (٣) جلودهم : أي أنه لا يحق لهم حلق شعورهم بلا حق ولا جلودهم.

٤ . **الحقوق الجنائية** : وهي التي تبين انواع الجرائم، والعقوبات التي تترتب على كل جريمة، ومن المطالب بايقاع هذه العقوبات، وأصول المحاكمات الجنائية، وهذا الموضوع تكفل ببيانه الكتاب والسنة، والاسلام في هذا المجال يقسم الجرائم الى نوعين: نوع حدد عقوبته ويسمى (الحدود) ونوع ترك العقوبة عليه الى ولي الأمر يضع العقوبة المناسبة لكل جريمة ويسمى (التعزير).

القسم الثاني :-

الحقوق الخاصة : ويسميها فقهاء المسلمين: حق العباد، وهي تشمل الفروع التالية:

١ . **الحقوق المدنية** : التي تنظم معاملات الناس من بيع وشراء ومزارعة ومساقاة وشفعة واجارة وشركات... الى آخر تلك المعاملات التي هي في جوهرها اتفاقات بين افراد المجتمع لقضاء حاجاتهم الشخصية، وهذه المباحث اوسعها الفقهاء المسلمون تفصيلاً مستندين الى القواعد التي وضعها الكتاب والسنة، وقد ذكروا من الفروع والقواعد مالا تجده في تراث فقهي لأمة اخرى.

٢ . **الحقوق الشخصية** : وهي جزء من الحقوق المدنية، تبحث في شؤون الاسرة من زواج وطلاق ورضاع ونفقة...الخ، وقد وضع الاسلام في هذا المجال احكاماً تتناسب مع تنظيمه الرباني للمجتمع، فهو يعتبر الاسرة النواة الاولى في المجتمع، ويجب ان تظللها المحبة والوئام، وان للمرأة مهمة في الحياة تختلف عن مهمة الرجل، ولذا يجب ان يكلف كلا من الرجل والمرأة بما يتناسب مع ما خلق له.

٣ . ويلحق بهذه البحوث اصول المحاكمات المدنية التي تبين كيفية المرافعة في هذه القضايا.

هذه هي أهم فروع الحقوق التي تنظم تصرفات البشر، ومن يقارن بين الفقه الاسلامي الذي يعالج هذه المواضيع وبين الفقه الاجنبي الذي يعالج نفس المواضيع يعلن ان للاسلام صرحاً حقوقياً لا يطاوله صرح آخر، فهناك آلاف المجلدات التي تحويها مكتبة الاسلام الفقهية وهو تراث لا نظير له عند الشعوب الاخرى.

وفي هذه الكتب تجد القواعد الفقهية الجامعة، والفروع الدقيقة التي تضع حلولاً لما وقع، ولما يحتمل ان يقع، بل احياناً لما لا يحتمل ان يقع لكن يعبرون بالامثلة التي لا تقع عن فكرة حقوقية يقاس عليها وتراعى عند البحث، كل ذلك بصياغة فقهيه فنية يعرفها المختصون بها، وقد تفنن الاجداد عليهم رحمة الله في هذه الصياغة فأتوا بالعجب العجاب، ولم لا وقد كان هذا الفقه هو القانون المعمول به في كافة الشؤون الصغيرة والكبيرة، العامة والخاصة لدولة تمتد من حدود الصين شرقاً الى حدود الاطلسي غرباً، ومن شواطىء البحر الاسود شمالاً الى اواسط افريقيا

جنوباً طيلة ثلاثة عشر قرناً لا تعرف هذه المنطقة تشريعاً الا اياه، وانعم به من تشريع، فقد وجه كل مجتمع حكمه الى خير الدنيا والآخرة، وبلغ به النصر والظفر وحسبه انه تشريع رب العالمين.

وسنعرض في المحاضرات التالية بعض الاحكام المتعلقة بالحياة العملية للناس لتكون نموذجاً لغيرها من تلك البحوث التي أشرنا اليها من هذه المحاضرة.

العقوبــــات

تنقسم العقوبات التي توقع على المجرمين الى قسمين:

عقوبات محددة لافعال معينة نص عليها الكتاب، أو السنة وتسمى (الحدود).

وعقوبات غير محددة لكل الافعال التي يخالف بها مرتكبها الشرع الاسلامي، وتسمى: (التعزيرات)، وبما ان الافعال المخالفة للشرع كثيرة فان الاسلام ترك للقاضي ولولي الامر ايقاع العقوبة المناسبة لردع المجرم عن اجرامه، وهي تختلف باختلاف الاشخاص والاحوال، أما الافعال التي سماها وحدد عقوبتها فهي:

١ . **قتل النفس بغير حق:** فان كان عمداً، وبما يقتل غالباً، فجزاؤه القصاص الا ان يعفو أولياء الدم، وان كان عمداً وبما لا يقتل غالباً، فجزاؤه الدية والكفارة، وان كان خطأ فالدية أيضاً مع الكفارة، ودية المسلم مائة من الابل. او الف دينار ذهباً، الا اذا تنازل أولياء الدم الى اقل من ذلك.

٢ . **الزنـا** : ان كان الزاني محصناً أي سبق ان تزوج، فجزاؤه الرجم بالحجارة حتى الموت، وان كان غير محصن يجلد مائة جلدة، ويغرب عاماً من بلده الى بلد آخر.

٣ . **القـذف** : وهو اتهام الغير بالزنا، وجزاؤه ثمانون جلدة.

٤ . **شرب الخمر** : وجزاؤه ثمانون جلدة.

٥ . **السرقة** : وجزاؤها قطع اليد من الرسغ.

٦ . **الردة عن الاسلام** : وجزاؤها القتل ان لم يتب بعد الاستتابة.

٧ . **قطع الطريق** : ان قتل فقط، قتل، وان قتل واخذ المال يقتل ويصلب، وان اخذ المال فقط قطعت يده ورجله من خلاف، وان أخاف الناس فقط حبس.

وليس غرضنا ان نفصل احكام هذه الحدود والعقوبات، وانما ذكرناها مجملة لننتقل بعد ذلك الى بيان الجو الذي تطبق به هذه الحدود.

لقد سبقت الاشارة الى ان الاسلام لا ينحاز الى الفرد على حساب مصلحة المجتمع، ولا يغالي في مراعاة مصلحة المجتمع على حساب الفرد، بل يسلك سبيلاً وسطا يراعي به الطرفين، ومن هذه النظرة وضع العقوبات للافراد الذين يعتدون على المجتمع.

واذا كانت الانظمة الفردية تبالغ في تقديس الفرد حتى وهو يعتدي على المجتمع، فتعتبره ضحية البيئة والاوضاع الفاسدة التي عرفته طريق الجريمة، ولذلك تراه يستحق العلاج لا العقوبة، فان الانظمة الجماعية على العكس من ذلك تقدس المجتمع وتقسو في العقوبة على المجرمين.

اما الاسلام فهو ينقي المجتمع أولاً من الظروف الداعية بل الدافعة الى الجريمة، ويحوط الاشخاص بسياج يمنع تسرب الافكار الاجرامية الى نفوسهم، فاذا ما تخطى احد كل هذه الاحتياطات، وارتكب الجريمة، واعتدى على المجتمع، أدبه بالعقوبة الرادعة.

فمثلاً : الاسلام عندما جعل عقوبة السارق قطع اليد، أمر أولاً ان تكفل الدولة لكل مواطن الحاجات الثلاثة الاساسية، وهي الطعام، والكساء، والمسكن، وهذه تؤمن اما بواسطة ايجاد عمل له، أو بأن ينفق عليه من بيت مال المسلمين، في حال البطالة او العجز عن الكسب، فاذا امتدت يده الى السرقة بعد ذلك كان لابد من تأديبه، أما ان تكون البطالة متفشية، وابواب الرزق الحلال مغلقة فهذا وضع يطالب الاسلام بتغييره قبل مطالبته بقطع يد السارق، لأن السارق في هذا الحال قد يكون مضطراً لانقاذ نفسه من الموت، والمضطر تباح له الميتة، ودليل ذلك ان عمر رضي الله عنه لم يقطع أيدي السارقين عام الرمادة، وهو عام قحط ومجاعة، لأنه لم يعتبر من أخذ مال غيره في مثل هذه الظروف سارقاً، بل اعتبره مضطراً يطلب الحياة وهي شبه تسقط الحد، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ادرأوا الحدود بالشبهات)). (١)

وعندما جعل العقوبة القاسية على الزاني أمر أولاً ان ينقى المجتمع مما يغري بالجريمة، فمنع اختلاط الجنسين، وخلوة الرجل بالمرأة الاجنبية، وحرم الصور العارية والمجلات الخالعة والافلام التي تعتمد على إثارة الغرائز لكسب المال الحرام، وشجع على الزواج المبكر وامر الدولة ان تقوم بتسهيله للشباب، وبعدها لا يلومن الا نفسه من اقدم على الحرام، وحرص الاسلام على تنقية المجتمع من المغريات الهادمة للاخلاق اكثر من حرصه على تطبيق العقوبة، لأن الله ارسل محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جلاداً.

ولا ينبغي ان يفهم من هذا ان الاجواء الفاسدة تبيح الحرام او تقلل من اثمه، كلا بل تقع مسؤولية ازالة الفساد على ولاة الامور، ويزداد الثواب لمن يصمد امام المغريات، ومن اثم ولم ينال عقابه في الدنيا فسيعاقبه الله تعالى الا ان يتوب توبة نصوحاً.

بقي ان نلتفت الى أولئك الذين تذوب نفوسهم، وتسيل دموعهم رحمة بالمجرمين ونحن نتحدث عن هذه العقوبات، فنضع أمامهم الحقائق التالية زيادة في الايضاح، وهؤلاء المتباكون المنتقدون هم الغربيون، أما تلاميذهم من بني قومنا فلا داعي لمناقشتهم، لأنه لا رأي لهم انما هم اتباع كل ناعق، وما أسهل تحولهم عن آرائهم اذا تحول اساتذتهم، فليكن الحديث مع الاساتذة.

١ . نحن لا نقبل منكم هذه الدموع ولا ادعاء الرحمة، لأن أيديكم مضرجة بدماء الشعوب، دماء أبناء شمال افريقيا، وأبناء فلسطين وفيتنام وكوريا وهوريشيما والزنوج وجنوب افريقيا، فاتركوا دعوى الرحمة أولاً لأن الرحمة لا تسكن قلوب المستعمرين السفاحين جلادي البشر.

---

(١) رواه البيهقي.

٢ . من الذي يستحق الرحمة المجرم الذي يقتل الابرياء ويقض مضاجعهم ولا يكفيه الحلال فتمتد يده الى الحرام، ام المواطن الآمن المسالم الذي روع في نفسه او ماله او عرضه؟

٣ . لقد كانت نتيجة عقوبات الاسلام سيادة الامن بين الناس، وهذا ملاحظ في البلاد التي ما زالت تطبق هذه العقوبات، ويحفظ التاريخ انه لم تقطع سوى ست أيدي في اربعمائة عام، وماذا كانت نتيجة عقوباتكم؟ ألم تتزايد الجرائم يوماً بعد يوم؟ الم تصبح السجون مدارس للاجرام يعلم بها المساجين بعضهم بعضاً فنون الاجرام؟! ويستفيد بعضهم من خبرات بعض، الم تعجز الاصلاحيات عن الاصلاح؟ اولا يستحق أمن المجتمع ان يضحى في سبيله بالمجرمين؟ ولن يكون عددهم عند تطبيق هذه الحدود معشار عدد المجرمين الذين في السجون.

٤ . ان الاسلام لا يقصد من العقوبة الا الاصلاح فهي وسيلة لا غاية ولذا فهو يسقط الحد اذا قامت شبه تشكل عذراً شرعياً للمتهم، والعقوبة القاسية لا يوقعها الا بعد التأكد من وقوع الجريمة فالرجم لا يكون الا بعد شهادة اربعة رجال على الزنا، وما الرأي فيمن بلغت به الوقاحة والاستهتار ان يرتكب الزنا أمام اربعة فلا يخجل من الله ولا منهم؟ الا يستحق هذا المجاهر بالمعصية الخارج على أوامر دين المجتمع ان يرجمه المجتمع فيموت ميتة لا يجوز ان تموتها الكلاب المسعورة، ومع ذلك فالاسلام الرحيم لا يسمح بأن يسب ويعير من اقيم عليه الحد، ولا ان يقام الحد على المريض، ولا على الحامل، ولوكانت حاملاً من الزنا!! ومن القواعد في هذا المقام: اليد تقيم الحد والقلب يرعى الود.

٥ . لقد كانت التربية الاسلامية والتوعية المستمرة، والتخويف من عقوبة الله، والنار هي العامل الاساسي في نقاء المجتمع الاسلامي من الجريمة.

فقول الله تعالى: {**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيماً**}.(١)

وقوله صلى الله عليه وسلم: (لعن الله شارب الخمر). (٢)

وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن).(٣)

هذه الآيات والاحاديث وامثالها هي التي منعت الجريمة في المجتمع الاسلامي قبل ان تمنعها العقوبة وقوة الأمن.

وبعد فلا نرى ما يخشاه المنتقدون لعقوبات الاسلام، اللهم الا ان يكونوا هم مجرمين يخافون ان تقع عليهم هذه الاحكام الرادعة للشهوات الآثمة.

---

(١) النساء : ٩٣ ، (٢) رواه ابو داود ، (٣) متفق عليه.

الربـــا والمضاربـة

الربا في اللغة الزيادة، يقال اربى فلان على فلان بمعنى زاد، وأما شرعاً فهو نوع من المعاملات المالية التي حرمها الاسلام، وهو نوعان: نوع يتعلق بالمبادلات المالية اي البيع ونوع يتعلق بالقرض، اما النوع الاول فقد قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: ((الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بمثل، سواء بسواء يداً بيد، فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يداً بيد))(١) وقد اخذ الفقهاء من ذلك ان المطعومات اذا بيع الجنس منها بجنسه كالقمح بالقمح مثلا وجب تساوي البدلين، والتقابض قبل التفرق.

واذا بيع الجنس منها بغيره كالقمح بالعنب مثلا وجب التقابض قبل التفرق وجازت الزيادة، واخذوا من الحديث ايضاً: ان الذهب والفضة اذا بيع الجنس منها بجنسه اي ذهب بذهب أو فضة بفضة وجب التساوي والتقابض قبل التفرق، واذا بيع الذهب بالفضة وجب التقابض قبل التفرق وجازت الزيادة.

واما اذا بيع الذهب بالمطعوم فلا يشترط تساوي ولا تقابض.

واما النوع الثاني من الربا وهو المتعلق بالقرض فالقاعدة فيه ان كل قرض جر نفعاً فهو ربا، سواء اكانت المنفعة مادية: كأن يقرض مائة بشرط ان يرد عليه المستقرض مائة وواحد، ام كانت المنفعة معنوية كأن يقرضه مائة بشرط أن يوظفه.

والنوع الخطر المنتشر من هذه الانواع هو الاخير، فقد كان اليهود يتعاملون به في كل ارض حلوها، يبتزون به اموال الناس، ويعيشون على اقتناص حاجاتهم واستغلال ضائقاتهم المالية، مع ان الله حرم عليهم الربا في كتبهم قال تعالى: {**وأخذهم الربا وقد نهوا عنه، واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما**}.(٢)

ولما جاء الاسلام كانت هذه المعاملة معروفة عند العرب، فنزل القرآن يحرم الربا بآيات قاطعة قال تعالى: {**وأحل الله البيع وحرم الربا**}.(٣) واستطاع المجتمع الاسلامي ان يعيش اقتصادا نشيطاً منظماً لا ربا فيه قروناً طويلة.

اما في بلاد الغرب فان النهضة الصناعية رافقها ظهور مذهب اقتصادي جديد هو النظام الرأسمالي الذي حل محل الاقطاع، والدعامتان اللتان يقوم عليهما هذا المذهب همـا: الربا والاحتكار.

---

(١) رواه مسلم ، (٢) النساء : ١٦١ ، (٣) البقرة : ٢٧٥.

ولما اتصل المسلمون بالغرب، وبهر انظارهم التقدم الصناعي ظنوا ان الربا شرط من شروط هذه النهضة ومقوم من مقوماتها، ولكن كيف يستطيع المقتنعون بهذه الفكرة ان يدخلوا الربا الى بلاد الاسلام والقرآن ينادي صراحة بحرمة الربا؟ ولذا اخذوا باقناع الامة ان الربا ضرورة لا مناص منها، وحاول البعض ان يأول آيات الله تعالى تأويلا يوافق هواهم.

ونحن نريد ان نبين في هذا البحث ان آيات الربا لا تحتمل تأويلهم وان الربا ليس بضرورة، وان المجتمع يستطيع ان يستغني عنه.

١ . اما الايات التي اولوها فهي قول الله عز وجل: **{يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون}**.(١) قالوا ان هذه الآية تحرم الربا ان كان اضعافاً مضاعفة اما ان كان قليلاً فلا بأس، وهذا القول لم يقل به احد من علماء المسلمين السابقين، لأن الله تعالى يقول عن الربا في آية ثانية: **{فان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون}**.(٢) ومن المعلوم ان التوبة عكس المعصية، فاذا كانت التوبة تقتضي أخذ رأس المال فقط، فأن المعصية هي أخذ شيء مع رأس المال، فمن أخذ شيئاً مع رأس المال ولوقليلاً لم يتب فهو إذن ما زال في المعصية.

٢ . واما ان الربا ليس ضرورة، فبيان ذلك ان الربا نوعان:

الاول : **ربا استهلاكي** : كمن يقترض ليطعم اسرته أو يداوي مريضه ويعلم ولده.

والثاني : **ربا انتاجي** : كمن يقترض ليفتح مصنعاً، أو متجراً أو يقوم بمشروع يدر عليه ربحاً.

أما النوع الأول: فان الاسلام، ومعه كل قلب رحيم (وليس منها قلوب اليهود) يرى ان ابشع الاستغلال استغلال حاجات الناس، للاثراء على حسابهم، واي كبد غليظة وقلب قاس يحمله ذلك المتربص بالناس ليجمع الثروة من رجل يسعى في علاج او تعليم ولده او اطعام اسرته! ان الاسلام يرفض ذلك ويرفض هذه المعاملة وهذا النوع من البشر، وان رجلاً يستفيد من ضائقات البشر لابد ان يسعى في ايجاد هذه الضائقات، وهكذا يكون بلاءاً على مجتمعه يتربص به ليصيد في الماء العكر، أو قل يعكر الماء ليصيد فيه.

والاسلام يغني عن هذا النوع من الربا، اذ يفرض على الدولة (كما سبق في بحث العقوبات) ان تؤمن لكل فرد في المجتمع الحاجات الاساسية، فان قصرت الدولة، او لم تصل كفالتها الى بعض الناس، فهناك الرصيد الضخم من المؤمنين الذين رباهم الاسلام يقدمون اموالهم قرضاً حسناً ابتغاء وجه الله تعالى بدون ربا.

---

(١) ال عمران : ١٣٠ ، (٢) البقرة : ٢٧٩.

وبهذا يشعر المنكوب ان حوله اخوة له يواسونه ويتحسسون آلامه لا ذئاباً ضارية يتربصون عثرته.

واما النوع الثاني وهو الربا الانتاجي: فان الظلم فيه ظاهر، فمن المعلوم أن ما كل مشروع ينجح، فكم من مشروع بذل صاحبه جهده لانجاحه ولكنه فشل لسبب أو لآخر، وفي هذه الحالة يزيد المرابي مصيبة من خسر فهو لا يكتفي بأن يتركه وخسارته، بل يريد منه المبلغ الذي اقرضه إياه وزيادة اي انه يريد ارباحاً من رجل خسران؟

ان المرابي ما اعطى ماله اكراماً للمستقرض بل طلباً للربح فلماذا تكون الخسارة من نصيب واحد فقط والآخر رابح لا محالة؟

أليس هذا جوراً واجحافاً، لا يرضى به الا المرابون الذين سنوا هذا النظام لصالحهم؟! لقد شرع الاسلام هنا نظاماً عادلاً فقال:

١ • ان اعطى صاحب المال ماله لا يريد ربحاً – أي على سبيل القرض – فيجب ان لا يتحمل خسارة بل يرد اليه ماله على اي حال، بلا زيادة ولا نقص.

٢ • وان اعطى ماله يريد الربح فيجب ان يتحمل قسطاً من الخسارة ان حصلت، لان الغرم بالغنم، ويكون العقد بينهما عقد مضاربة لا عقد ربا، وعقد المضاربة هو البديل العادل للربا الانتاجي وبيان المضاربة فيما يلي:–

المضاربة :

هي ان يعطي صاحب مال رجلاً مالاً ليعمل به على ان يكون لصاحب المال نسبة معينة من الربح كالثلث، أو الربع، أو العشر...الخ، وفي حالة الخسارة تكون كلها على صاحب رأس المال، ولا اجحاف في ذلك عند التأمل، فان المضاربة شركة بين مال، وعمل، فان حصل الربح استحقه صاحب المال وصاحب العمل، لأن الربح ثمرة للمال والعمل وفي حال الخسارة تكون خسارة العامل في جهده فلا يستحق على تعبه اجراً، وخسارة صاحب المال في ماله، وهذا لأن الخسارة في الشركة بين مالين يتحملها الشريكان بنسبة اموالهما، والقاعدة في المعاملات ان: الغنم بالغرم.

إذن فالمجتمع يمكن ان يستغني عن الربا بنوعية، واكبر دليل على ذلك ان المجتمع الاسلامي لم يتعامل بالربا طيلة ثلاثة عشر قرناً، واذا كانت الصناعة اليوم تحتاج الى اموال ضخمة فيمكن تأسيس بيوت للمال يساهم فيها الافراد ثم تتعامل مع اصحاب المشاريع لكن ليس على وجه ربوي.

ان الاخطار التي تهدد المجتمع بسبب الربا لا يمكن عرضها في هذا البحث، لكن يكفي ان يصبح المجتمع كله نتيجة للربا في قبضة طائفة من الناس تملك المال، ويكون من ملك المال قد ملك كل شيء وسيطر على مقاليد الامور.

لقد ادرك هذه المخاطر بعض رجال الاقتصاد ولذلك قام المذهب الاشتراكي (وهو رد فعل للرأسمالية) على هدم دعامتي الرأسمالية فمنع الربا والاحتكار.

فهل يعرف هذا ابناء الاسلام الذين يقولون ان الربا ضرورة لا مناص عنها؟

وهل الاسلام تقدمي أم رجعي عندما حرم الربا وعرف ضرره وخطره قبل الاشتراكية بقرون؟

ان مخاطر الربا وجرائمه هي التي جعلت على المرابي الجزاء الأليم قال الله تعالى: **{الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس}**.(١) اي ان آكل الربا يقوم من قبره يوم القيامة كالمجنون.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه)).(٢)

---

(١) البقرة : ٢٧٥ ، (٢) رواه مسلم.

نظـــام الاسـرة

الاسرة هي النواة الصغيرة للمجتمع فيها ينشأ الاطفال رجال الغد وبسببها يستمر النوع البشري على الارض، ولقد اعتنى الاسلام بها ووضع لها نظاما يكفل تماسكها، ويعينها على أداء رسالتها لتنطبع نفوس الاطفال على ما ينفع الامة ويعز شأنها، ونريد ان نستعرض هذا النظام الرباني الذي وضعه الله للاسرة:

١ • بما ان الزوج والزوجة هما عماد الاسرة فلا يجوز ان يكون اجتماعهما في بيت الزوجية مؤقتاً بوقت، بل المفروض ان يكون على التأبيد (الا في حالات سنذكرها قريباً) لأن الزوجين اذا تفرقا ضاع الاولاد، وهم الثمرة المنشودة من الزواج، ولذلك حرم الاسلام نكاح المتعة وهو نكاح مؤقت بمدة معينة كان معروفاً في الجاهلية.

٢ • يسن للزوج قبل ان يقدم على الخطبة ان ينظر الى وجه خطيبته فان مال قلبه اليها خطا الخطوة الثانية والا انسحب قبل ان يتورط، وكذلك الزوجة يسن لها ان تنظر الى الزوج فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف))(١) ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه عندما خطب ان ينظر الى خطيبته، وليس معنى ذلك ان يظل الرجل يتصفح وجوه النساء بحجة انه يريد الزواج فهذا فعل الفسقة، ولكن المعنى ان الرجل اذا اراد ان يبعث من يخطب له يسن له ان ينظر الى الخطيبة قبل ان يذهب الخاطب.

وهذا الادب الاسلامي خالفه اناس فمنعوا الزوج من رؤية الخطيبة فكانت العاقبة وخيمة، اذ قد يحدث التنافر لا لشيء سوى تنافر الارواح فتكون الحياة مرة سمجة بين الزوجين، وخالف هذا الادب ايضاً أهل اليوم اذ يطلقون العنان للخطيبين قبل العقد يذهبان حيث ارادا، فيشعر كل منهما أنه في امتحان فيتجمل بأحسن الاخلاق ليخدع صاحبه، وبعد الزواج يكشف الاخلاق الحقيقية ويقع الخصام، عدا عن مشاكل اخرى لا داعي لذكرها فهي معروفة.

أما الاسلام فأمر بالنظر فقط بلا خلوة وأمر كلا من الزوجين ان يستشير من يعرف صاحبه، وسمح للمستشار الا يكتم شيئاً مما يعرفه عند الحاجة، وعلى ولي الزوجة ان يستشيرها قبل تزويجها قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تنكح الايم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن)).(٢) وهكذا تكون الخطوة الاولى على بينة ونور.

٣ • اما بعد الزواج فقد وزع الاسلام الاعمال والاختصاصات بين الزوجين حتى لا يحصل التصادم وعرف كلا منهما ماله وما عليه.

---

(١) رواه مسلم. (٢) متفق عليه ،

اما الزوجة فقد كفلها بتربية الاولاد والعناية بهم من ارضاع وحضانة...الخ، وعليها ان تحفظ زوجها في ماله وعرضه وسمعته، وان تطيعه فيما لا يسخط الله تعالى ولها على ذلك الاجر والثواب وستسأل عنه أمام الله.

ولها على الزوج النفقة فيما تحتاج اليه من طعام ومسكن وعلاج وكسوة، من أجل ان تتفرغ لتربية الاولاد ولها استقلالها التام في اموالها الخاصة سواء المهر او غيره، والمهر ليس ثمناً لها كما يظن الجاهلون بل هو رمز اكرام وتقدير، واما الرجل فان الاسلام يبين له ان هذه المرأة امانة في عنقه مسؤول عنها أمام الله، وقد جعل له الاشراف على قيادة الاسرة فلا يجوز ان يضيعها، بل ينفق عليها بالمعروف ويعلمها امور دينها.

قال عليه الصلاة والسلام: ((كفى بالمرء اثماً ان يضيع من يقوت))(١) وقال تعالى: {**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**}(٢). وعلى الرجل ان يتحمل ما يجده في المرأة من خلق معوج، وان يحاول تقويمه حسب المستطاع قال عليه الصلاة والسلام: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))(٣) وعليه ان يحسن اختيارها على اساس ثابت وهو الدين، هذه النواحي والتعليمات كافية لان تمتص الخلاف اذا ظهرت بوادره، واما الاولاد، فان الحنان الفطري في قلب الابوين يدفعهما تلقائياً الى العناية بهم، ومع ذلك نبه الاسلام الى وجوب تربيتهم التربية الصالحة قال عليه الصلاة والسلام: ((مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع سنين واضربوهم عليها لعشر)) (٤)، وذلك من اجل ان يعتادوا طاعة الله والاخلاق الحسنة منذ الصغر، واذا بلغ الذكور منهم سن الرشد لم تعد نفقتهم واجبة على أبيهم الا ان يكونوا عاجزين عن الكسب لمرض، او طلاب علم ينفع الامة.

٤ . يجوز للرجل ان يتخذ اكثر من زوجة ولكن لا يزيد على اربع (وسنوضح الاسباب في بحث الاسلام والمرأة) لكن يشترط العدل بينهن.

٥ . اما حين يحدث الخلاف بين الزوجين ولا يستطاع الاصلاح فان على الزوج ان يتبع الخطوات التالية:

أ . يجب عليه ان يتفقد نفسه فقد يكون هو المخطيء والمسبب للخلاف.

ب . ان ينصح الزوجة فيبين لها نتيجة الخلاف، وعاقبة الطلاق عليها وعلى الاولاد.

جـ . ان لم تنفع النصيحة له ان يهجرها في المضجع ليجرب كل منهما امكانية البعد عن صاحبه.

د . وبعد ذلك يجوز له ان يضربها ضرباً غير مبرح، لا يكسر فيه عظماً ولا يسيل دماً، ولا يؤلم ألماً شديداً، ولا يستعمل فيه عصاً ولا سوطاً، ولا يضرب الوجه والاماكن الخطيرة

---

(١) رواه النسائي ، (٢) طه : ١٣٢ ، (٣) اخرجه الترمذي ، (٤) رواه ابو داود.

التي يؤدي ضربها الى الهلاك، وهو ضامن ان اتلفها او اتلف عضواً منها ولا يجوز الضرب الا اذا اعتقد انه يؤدي للاصلاح فان اعتقد انه لا ينفع لم يجز الضرب فهو علاج لا انتقام وتسلط قال الباجوري: قال بعض الاصحاب: يضرب بمنديل ملفوف.

هـ . فان فشلت كل هذه الوسائل وجب تشكيل لجنة محكمين من اهله واهلها، يبحثون اسباب الخلاف فان تبين انه هو المذنب حكموا بطلاقها منه وان كانت هي المذنبة أمروها بالاستقامة أو دفع ما أخذت منه مقابل الطلاق، وفي هذه الحالة يوقع الرجل طلقة واحدة فقط، يتفرق بعدها الزوجان ليرى كل منهما هل الصبر على صاحبه افضل ام حياة العزوبة؟ فان احبا الرجوع الى الحياة الزوجية فلا مانع ما دامت الزوجة في العدة (المدة التي لا يجوز للمرأة ان تتزوج فيها بآخر) فاذا عادا وجب عليهما مراعاة ما سبق من حقوق، فان حصل خلاف اتبعت نفس الخطوات السابقة، فان عاد بعد الطلاق الثاني الى الحياة الزوجية ثم حصل خلاف من جديد فطلقها للمرة الثالثة فلا عودة له عليها الا بعد زواج بغيره، ومن انكر المنكرات ما يفعله الجهلة اذ يتزوجون بالمطلقة ثلاثاً من اجل تحليلها للزوج الاول مع ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لعن الله المحلل والمحلل له)).(١)

ولا ريب ان من يطلع على هذه الخطوات التي وضعها الاسلام قبل الطلاق يعلم ان الطلاق انما يكون بعد ان يصبح استمرار الحياة الزوجية مستحيلاً وبيت الزوجية جحيماً لا يطاق، ولقد حاول بعض الناس منع الطلاق ولكنهم ما استطاعوا فاضطروا الى الاعتراف به، ولكن نظام الطلاق عندهم ليس كالنظام الاسلامي، ومن العجيب انهم مع ذلك ينتقدون الاسلام اذ اقر الطلاق.

نعم ان ابغض الحلال الى الله الطلاق، ولكنه في كثير من الاحيان يكون ضرورة لا مناص منها، اما طلاق اهل اليوم الذي لا تروي فيه ولا تبصر، فهذه تقع تبعته على الجاهلين الذين يتفوهون به، لا على الاسلام الذي جعله حلاً بعد ان تفشل كل الحلول.

---

(١) رواه احمد.

النظـام المـالي فـي الاسـلام

النظم الاقتصادية في العالم اليوم تستقطب حول محورين:

١ • النظام الرأسمالي.

٢ • االنظام الاشتراكي.

وتختلف انظمة الدول في القرب والبعد من هذين المحورين، وعلى هذا الاساس الاقتصادي تنقسم الدول سياسياً في الغالب، ونريد في هذا البحث ان نستعرض نظام الاسلام المالي لنرى موقفه من هذين النظامين، وذلك لأن في هذا النظام نقاطاً يلتقي فيها مع الرأسمالية، واخرى يلتقي فيها مع الاشتراكية جعلت البعض يظن ان الاسلام رأسمالي او اشتراكي، والواقع ان للاسلام في الموضوع موقفاً مستقلاً عن النظامين ويرجع ذلك الى اختلاف نظرته الاجتماعية عن نظريتهما، ولنبدأ القصة من أولها فنبين اسس الرأسمالية ثم اسس الاشتراكية ثم نتحدث عن النظام الاسلامي، مع التذكير بأن الاسلام سابق لهما وقد ظهرا بعده بقرون:

١ • تقوم الرأسمالية على فكرة اجتماعية هي ان الفرد كائن مقدس لا يجوز للمجتمع ان يحجر على حريته، ومن ثم تباح له الملكية الفردية بلا حدود، فله ان يكسب المال كيفما شاء، وينفقه كيفما شاء، دون ان تتدخل الدولة في ذلك، والساقان اللذان تقوم عليهما الرأسمالية هما الربا والاحتكار.

ولقد ادى هذا النظام الى مفاسد اهمها:

أ . استغلال اصحاب رؤوس الاموال للعمال بصورة ظالمة.

ب . تركز المال في ايدي اشخاص معدودين.

جـ . سيطرة هذه الفئة على الدولة في السياسة والتشريع.

د . استعمار البلدان والاقطار لتصبح اسواقاً للبضائع التي تنتجها المصانع ومصادر للمواد الخام من اجل هذه المصانع. وما تبع الاستعمار من ظلم للشعوب.

٢ • وكرد فعل لهذا النظام ظهر نظام آخر مناقض له وهو النظام الاشتراكي، وفكرته الاجتماعية ان المجتمع هو الاصل، والفرد لا كيان له بمفرده، ولذا فهي تضع الملكية في يد الدولة لأنها تمثل المجتمع وتحرم منها الافراد، وبناء عليه يجب على كل فرد في المجتمع رجلاً كان او امرأة ان يعمل ساعات معينة باليوم في اي عمل تعينه له الدولة بصرف النظر عن رغبته، وبذلك تشرف الدولة على كل شيء في المجتمع وتسيره حسب رغبتها فالاموال والافكار والاجتماعات كلها تحت اشراف الدولة وهذا ما يسمى بدكتاتورية الدولة، ولكل واحد في الدولة طعامه وشرابه وكساؤه وسكنه ولكنه لا يملك حتى ولا اثاث البيت.

وتبعاً لذلك فلا داعي للربا، لانه لا احد يملك شيئاً حتى يتعامل الآخرين بالربا، فكل شيء للدولة. وواضح ان هذا تطرف تأباه طبيعة البشر، فالناس يتفاوتون في الذكاء والمواهب والقدرة على العمل، ووضعهم في قوالب جامدة غير صحيح لأن الانسان يختلف عن الجمادات والمعادن، وهذا يؤدي الى قتل روح التنافس البناء بينهم ويهبط بمجموع الدخل القومي. ولقد احس خلفاء دعاة الاشتراكية الأوائل بهذه الاخطاء فتراجعوا قليلاً عن ذلك الغلو الذي كانت عليه الفكرة في اساسها، فبعد ان كانت تلغي جميع الملكيات وتسوي جميع الاجور، وجدناهم يسمحون بقدر من الملكية الفردية، وقدر من التفاوت في أجور العمال، حسب أهمية العمل، وسمحوا بتوريث اثاث المنزل، وسمحوا بوجود مزارع خاصة الى جانب المزارع التعاونية.(١)

ولقد تراجع النظام الرأسمالي ايضاً عن موقفه الاساسي فبدأ ينشط القطاع العام ويوجد المؤسسات العامة، ويضع القيود على تصرفات القطاع الخاص ولكن هذا التراجع من قبل المذهبين عن تطرفهما لم يصل الى نقطة التلاقي.

٣ . **وأما النظام الاسلامي** . ففكرته الاجتماعية التي يبني عليها اقتصاده تختلف عن الفكرتين السابقتين وتبعاً لذلك يختلف نظامه الاقتصادي، فهو يرى الفرد كائناً ذا صفتين صفته كفرد مستقل، وصفته كعضو في الجماعة، ولذلك فهو يوازن بين النزعة الفردية، والنزعة الجماعية، وبين مصلحة الفرد، ومصلحة المجتمع، دون ان يتصارع الطرفان او يطغى احدهما على الآخر فهو يبيح الملكية الفردية ويقرها قال الله تعالى: ﴿**وآتو اليتامى أموالهم**﴾.(٢)، فنسب الاموال الى اصحابها، وهي ملكية محترمة يصونها القانون ويحافظ عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله))(٣) ولكن هذه الملكية ليست مطلقة كما في الرأسمالية انها مقيدة بقيود، لأنها من جهة اخرى وظيفة اجتماعية، والانسان يتصرف بالمال تصرف الوكيل الخليفة لا تصرف الاصيل لان المال لله وما كان لله فهو للمجتمع كله قال الله تعالى: ﴿**آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾.(٤) ومنعنا من ان نعطي الايتام الصغار حصتهم من التركة حتى يكبروا فقال: ﴿**ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياماً**﴾.(٥) فهنا نسب الاموال الى المجتمع.

وتظهر النظرة الفردية الى الملك في الاباحة لمن هو في يده بان يتصرف فيه بالبيع والشراء والاجارة وكافة العقود المالية في عدم جواز نزعه من يده الا بحق.

---

(١) وقد شهدنا انهيار الشيوعية والاشتراكية ولله الحمد.

(٢) النساء : ٢ ، (٣) رواه مسلم ، (٤) الحديد : ٧ ، (٥) النساء : ٥.

وتظهر النظرة الجماعية الى الملك في الاحكام التالية:-

١ . لا يجوز كسب المال من اي وجه يضر بالمجتمع او يخالف الشرع كالكسب عن طريق الاتجار بالمخدرات أو انتاجها، أو احتراف الرقص، او لعب القمار واليانصيب، أو عقود الغرر، كبيع مالا يملكه الانسان.

٢ . كما ان كسب المال عليه قيود فكذلك انفاقه مقيد، فلا يجوز الانفاق في الاوجه المحرمة والمضرة بالمجتمع.

٣ . اذا اساء الانسان التصرف بالمال حجر عليه وكفت يده عن التصرف فيه، (دون ان ينزع منه فهو له) ويتصرف فيه ممثل المجتمع وهو الوصي، وذلك عندما يكون صاحب المال صغيراً او مجنوناً او بالغاً عاقلاً لكنه يبذره في وجوه لا تعود عليه بالمنفعة.

٤ . اذا احتاجت الدولة (ممثلة المجتمع) المال من اجل الصالح العام كالاعداد للجهاد (مثلاً)، ولم تجد في خزائنها ما يكفي جاز لها ان تأخذ من اموال الامة ما تسد بها عجزها، وكذلك يجوز نزع الملكية الخاصة من اجل المصلحة العامة كتوسيع طريق وما اشبه ذلك.

٥ . وجوب دفع مقدار معين من المال كل عام الى الدولة لتسدية حاجاتها الاجتماعية كالانفاق على الفقراء، واليتامى، والعاجزين، والموظفين، وانشاء المدارس والمستشفيات وتعبيد الطرق وما اشبه ذلك.

٦ . كل مصدر للثروة أو مشروع أو مصلحة يحتاج اليها كافة الناس يجب ان يكون للدولة لا للافراد كالماء والكلأ والنار والكهرباء حتى لو ظهرت هذه المناجم في ملكية خاصة، واما ما كان في املاك الدولة فهو للجميع يستغلونه باذنها كالصيد والحطب.

٧ . لا يجوز استعمال المال بصورة تضر بالآخرين كأن يحفر في ارضه حفرة توهن بناء جاره وهذا ما يسمى بالتعسف في استعمال الحق وسبق ان بينا ان الربا والاحتكار حرام.

٨ . بعد الموت توزع التركة حسب قانون دقيق معين يكفل تفتيت الثروة بين عدة اشخاص تنفيذاً لسياسته المالية في توزيع الثروة بين الناس، وعدم حصرها في أيدي اشخاص معينين ولو جعل توزيع التركة حسب رأي صاحب المال لأدى ذلك الى حصر المال في يد معينة، فمثلاً القانون الانكليزي جعل التركة للابن الاكبر وحرم منها باقي الاولاد والاقارب حتى لا تتفتت الثروة ويضيع شرف الاسرة، وعند الدول الغربية يوزع التركة صاحبها كيفما شاء فقد يعطيها لشخص واحد، وقد يعطي صديقه ويحرم ولده.

وهكذا كان نظام التركات في الاسلام معجزة من معجزات هذا النظام الرباني، ونحن نرى من هذه المقارنة الفرق الجوهري بين الاسلام والرأسمالية والاشتراكية، وأن من الخطأ القول بأن الاسلام رأسمالي أو اشتراكي او سبب ذلك النظرة الجزئية الى احكامه والى بعض وجوه الشبه.

ونرى ايضاً ان الاسلام لم يقع في الاخطاء التي وقع فيها النظامان السابقان، ويظهر الاعجاز في ذلك عندما نعلم ان نظام الاسلام سابق للنظامين الآخرين بقرون لا متأخر عنهما فلا يقال انه وقف موقفاً وسطاً واستفاد من اخطاء الجانبين، كلا بل هو نظام الله فلا بد ان يكون كاملا قيما لا عوج فيه.

ونحب ان ننوه هنا بما يتنبأ به البعض من ان تراجع الرأسمالية والاشتراكية عن مواقفهما الاصلية قد يؤدي الى الاخذ بالفكرة الاسلامية ولو بغير هذا الاسم وعندها سيكون الاسلام جميلاً في نظر ابنائه الغافلين عنه المستهجنين لآرائه.

وكنا نود ان نتكلم عن موارد بيت المال ومصارفه وذلك حديث طويل لا يتسع له المقام، لكن نشير هنا الى المبادىء الاساسية في النظام المالي.

١ - الفقراء أولى الناس بالمال العام، وقد وردت آيات عديدة تؤكد هذا الحق وليس معنى ذلك ان تنشأ طبقة من البطالين (تنابل) يعتمدون على بيت المال، ولكن يعطى الفقير ما يسد به حاجته العاجلة ويعطى ما يكون رأسمال له يستغني بربحه عن بيت المال، فان كان عاجزاً انفق عليه، كما هي الحال في مؤسسات رعاية العجزة.

٢ - الاسلام يكره تكدس المال في جانب والحرمان في جانب قال تعالى: ﴿**كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم**﴾.(١) وذلك لأن المال اذا تكدس في جهة وحرمت منه الاخرى أدى الى مفاسد عديدة اقلها احتقار الاغنياء للفقراء، واستغلالهم اياهم والى جانب هذا ذل الفقراء وتملقهم للاغنياء.

٣ - تفاوت الضريبة حسب المقدرة والعجز فلا يكلف احد مالا يطيق فالزكاة والخراج يدفعان بنسبة معينة من المال، ويتضح هذا عندما نرى الضرائب اللامباشرة في القوانين الوضعية يتساوى فيها الغني والفقير، وكذلك اكثر الضرائب المباشرة كالطوابع والرسوم.

٤ - مبدأ كل وعمله في الاجرة، الى جانب كل وحاجته من بيت المال، بحيث يؤمن لكل فرد في المجتمع الطعام، والكساء والمسكن، فلا يجوز النزول عن هذا المستوى بأي حال حتى ولو كان الشخص عاطلا عن العمل، بسبب البطالة او غيرها، لكن لا يدفع للكسلان القادر على العمل والعمل متوفر.

٥ - الضمان لكل عاجز محتاج في المجتمع ولو كان غير مسلم، كما في حادثة عمر مع اليهودي. الذي رآه يتسول فقال: ما انصفناك اخذنا منك الجزية شاباً وضيعناك شيخاً، ثم أمر له براتب من بيت المال.

٦ - الزكاة وهي فريضة محددة المصادر والمصارف.

---

(١) الحشر : ٧.

٧ • مبدأ من أين لك هذا؟ الذي كان يعامل به عمر الولاة.

٨ • التكافل العام بين الناس فمن لم تصل اليه معونة الدولة، يجب ان تصل اليه معونة المجتمع الذي هو فيه والا كان كل المجتمع مسؤولاً عنه امام القضاء.

٩ • تحريم الربا والاحتكار.

ويجب على الشاب المسلم امام صراع المذاهب الاقتصادية ان لا يكتفي بهذه العجالة الموجزة بل يتوسع في البحث ويطلبه من مصادره التي عنيت بالموضوع، وهي كثيرة ولله الحمد لعل الله ان يفتح العيون على نعمة الاسلام ليقبلوا عليه شاكرين فيزيدهم الله من فضله.

الحــلال والحــرام

الحلال والحرام معروفـان فـي كل امـة وان اختلفت الامم فـي نوعيـة المحرمـات وأسبابها وأسمائها، وفكرة الحـلال والحرام مرتبطـة بعقيدة كل امـة، وتـاريخ التحليل والتحريـم قديم قدم الانسان، فنحن نعلم ان آدم ابا البشر كان رسولا الى بنيه وان الله عز وجل احل له مـا فـي الجنـة وحرم عليه شجرة منها، ثم توالت بعثة الرسل وكلهم يبين للنـاس مـا احلـه لهم ربهم ومـا حـرم عليهم، وان كانت بعض الامور حلالاً في شريعة وحراماً في اخرى سابقة او لاحقة فذلك تبعاً لمـا تقتضيه الحكمة الالهية في سياسة البشر ورعايتهم، ومع ذلك فالديانات تتفق على وجوب المحافظة على امور خمسة وتحريم ما يؤدي الى ضياعها او نقصانها والامور الخمسة هي: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال.

اما عند الامم التي لا تدين بدين فهناك حلال وحرام باسـم المحظـور والمبـاح، وهـذا الحظـر والاباحة مرتبطان لديهم بـأهواء البشـر وشـهواتهم، وبمـا لهـم مـن قيم ومثـل ارضيـة استحسـنتها عقولهم المحدودة.

وفي الاسلام يرتبط الحلال والحرام بعقيدة التوحيد، فما أحله الله فهو الحلال وما حرمه فهـو الحرام وان كنا نؤمن ان الله تعالى ما أحل شيئاً الا ونفعه غالب على ضرره، ومـا حـرم شـيئاً الا وضرره غالب على نفعه، وعلى هذا يرتكز ايماننا بأن سعادة الانسان فـي الدنيا والآخـرة متوقفـة على التزامه بحدود الله في الحلال والحرام.

وقبل الحديث عن اقسام وانواع الحلال والحرام لابد من معرفة القواعد التالية:-

١ . الحلال والحرام مبنيان على التصديق بما جاء فـي القرآن الكريم والسنة الشـريفة واذا ورد أمر فيهما او نهي وجب الالتزام به بلا مناقشة، وهذا مقتضى الايمـان الـذي أشـرنا اليـه فـلا يحق للمؤمن ان يتساءل لماذا أحل الله كذا ولماذا حرم كذا؟.تساؤل المنـاقش المتشـكك، لانـه يعتقد انه عبد لله ولا مناقشة للعبد مع سيده، ولانه يعتقد ثانيـاً ان التحليل والتحريـم تراعـى فيهما مصلحة الانسان لا مصلحة خالقه سواء ادركنا هذه المصلحة ام لم ندركها.

ولهذا يرفض سؤال من يتساءل لماذا حرم الذهب والحرير على الرجال؟ أو لماذا حـرم لحـم الخنزير.

٢ . ليس من بأس على المسلم ان يلتمس الحكمة التي حرم من أجلها هـذا أو ذاك لكـن بشـرط ان يكون هذا البحث مع التسليم المطلق لأمر الله لأن البحث بهذا الاسلوب يزيد الايمان قوة عند اكتشاف الحكمة، ولا ينقصه عند العجز عن ادراك الحكمة بسـبب قصـور العقـل البشـري أو قصور وسائله العلمية.

٣ . لا يكفي مجرد العلم بأن هذا حلال وهذا حرام، بل لابد من تطبيق ما أمر الله به والابتعاد عن ما نهى الله عنه، وهذا معنى التقوى الذي يمتاز به قلب المؤمن، والا فما فائدة علم بلا عمل وما فائدة معرفة الدواء دون تعاطيه!

٤ . للاسلام اسلوب يختلف عن أساليب القوانين الوضعية في النص على الحلال والحرام، فالقوانين تستعمل عبارة يحرم، أو يمنع، أو يحظر.

بينما نجد القرآن الكريم يستعمل عدة الفاظ في هذا المقام فمرة يستعمل حرم ومرة اجتنبوا، ومرة يذكر عقوبة من يفعل كذا، وذلك لأن القرآن الكريم يراعي ناحية الاعجاز الى جانب الناحية التشريعية، وكذلك الحديث النبوي يراعي ناحية الفصاحة، أما القوانين الوضعية فتهتم بالمعنى فقط، وهذا من اعجاز القرآن اذ جمع الناحيتين الاعجاز اللغوي والتشريعي.

فمثلاً يقول الله تعالى: **﴿حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم﴾**(١) ويقول: **﴿انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾**(٢) ويقول: **﴿ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة﴾**(٣) ويقول: **﴿فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور﴾** (٤)

وهذا الموضوع معروف جداً عند علماء الاصول، لكن احببت ايضاحه للرد على من يقول لما لم يحرم الخمر بكلمة حرم، مع ان الخمر حرم بكلمة اجتنبوه والاصنام حرمت بنفس اللفظة كما سبق.

٥ . التحليل والتحريم خاص بالله تعالى، ذلك لان هذا الامر من خصوصيات الالوهية، والاطاعة فيه من مظاهر العبادة، وبما ان المسلم لا يعترف الا بالوهية الله تعالى ولا يعبد الا اياه، فانه لا يعترف بتحليل وتحريم غيره، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فانه لا يجوز للمسلم ان يقول هذا حلال وهذا حرام بدون دليل من كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾** (٥)

وللايضاح نبين ان الحرام ما حرمه الله تعالى في القرآن الكريم، او حرمه الرسول صلى الله عليه وسلم بحديث نبوي لان الرسول مبلغ عن الله، قال تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى﴾(٦)**، ويلحق بهما ايضاً ما استنبط المجتهدون تحليله او تحريمه من مصادر التشريع الاسلامي، اما ما منع منه ولي الامر فيجب الامتناع عنه مع مراعاة القاعدة المعروفة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٦ . الاصل في الاشياء انها مباحة فما لم يرد دليل مما سبق على التحريم يكون الشيء على اصل الخلقة مباحاً، وذلك لان الله تعالى خلق ما في الارض للانسان فما لم ينه عنه يكون مباحاً.

---

(١) النساء : ٢٣ (٢) النحل : ١١٥ ، (٣) الاسراء : ٣٢ ، (٤) الحج : ٣٠.

(٥) النحل : ١٦ ، (٦) النجم : ٣.

٧ . التحايل على الحرام حرام، وما ادى الى الحرام حرام، وذلك نظراً لان خطر الحرام شديد، وضرره مؤكد، فحتى لا يقع به الناس حرم الاسلام التحايل على المحرمات، فمثلاً: من تحايل على الربا بصورة من صور البيع كان عمله حراماً، ومن تحايل على الخمر بتغيير اسمه او تحت شعار العلاج كان عمله حراماً، وحجته مرفوضة، وحرم الاسلام ايضاً ما يؤدي الى الحرام لأن الوقوع في هذه المقدمات يؤدي الى النتائج المحرمة مثلاً: حرم الاسلام الخلوة بالاجنبية لانها سبب يؤدي الى الفاحشة بل اعتبر الخلوة فاحشة بحد ذاتها.

ولا يبيح الحرام كونه مقصوداً به امر خيري، لان الغاية لا تبرر الوسيلة في نظر الاسلام، مثلاً: لا يجوز التعامل بالقمار واليانصيب والربا، وان كان ريعه مرصوداً الى جهة خيرية كالايتام والمساجد والمستشفيات.

٨ . ومما يلاحظ ان الله تعالى ما حرم شيئاً الا وجعل في الحلال ما يغني عنه، فالفضة والبلاتين يغنيان عن الذهب، والعصير بأنواعه يغني عن المسكرات، والزواج يغني عن الفواحش وهلم جراً.

فما يترك الحلال الى الحرام الا من يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير.

٩ . ان الحرام كما يكون فعلا يكون تركا ففعل الحرام حرام كما سبق من امثلة وترك الواجبات حرام كترك الصلاة والصوم وبر الوالدين والجهاد.

انواع المحظورات :

اذا عرفنا المحظورات عرفنا المباحات، والمحظورات تتعلق بنواح عديدة من نواحي الحياة، وسنورد بعضها مما يعترض الانسان في الحياة اليومية.

١ . الاطعمة والاشربة.

وهي اما ان تكون نباتية او حيوانية، فاذا كانت نباتية فان الاسلام حرم ما صار خمراً بأي طريقة كانت، وكذلك حرم ما يحدث الخدر والفتور، كالحشيش والافيون وما كان ساماً او ضاراً.

واما الحيوانية فان الاسلام حفاظاً على صحة الانسان حرم عليه مايلي:

الميتة :

وهي الحيوان الذي مات بغير ذكاة شرعية وحكمة التحريم هي ان الطبع السليم ينفر من الميتة ويستقذرها، ويغلب على الميتة ان سبب موتها كان لعلة مزمنة او اكلت نباتاً ساماً او نحو ذلك. واما ما ذكي ذكاة غير شرعية فيحرم لاسباب تتعلق بالعقيدة، او الاحكام.

ومن أنوع الميتة: المنخنقة: التي ماتت خنقاً. والمتردية: التي سقطت من مكان عال فماتت.

والموقوذة: التي ضربت بالعصا او الحجارة فماتت، والنطيحة: التي نطحها آخر فماتت، وما أكل السبع: وهي التي أكل الحيوان المفترس جزءاً منها او عضها فماتت، وحكمة تحريمها تنزيه الانسان عن ان يأكل بقايا السباع لأن بني آدم مكرم.

لحم الخنزير:

لان غذائه القاذورات والنجاسات، ولقد اكتشف العلم الحديث انه يحمل بعض الديدان القاتلة، وقبل كل شيء فان الذي حرمه يعلم سبب تحريمه، وما علينا الا السمع والطاعة.

الـــدم :

والحكمة من تحريمه انه مستقذر، وانه مظنة الضرر كالميتة والطبع السليم ينفر منه ويستقذره.

ما اهل لغير الله به:

وهو ما ذبح وذكر عليه اسم غير الله. لأن الذكاة لها علاقة بالعقيدة كما سبق.

ما ذبح على النصب:

النصب قطع من الحجارة كانت الجاهلية تذبح عليها الذبائح تقرباً الى اوثانهم فحرمها الاسلام، وقد جمعت هذه المحرمات في قول الله تعالى: ﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب**﴾.(١)

ما ذبحه غير المسلم او النصراني او اليهودي: كذبيحة الملحدين وعباد الوثن.

وقد استثنت السنة من الميتة السمك والحيتان ونحوها من حيوانات الماء قال عليه الصلاة والسلام: ((هو الطهور ماؤه الحل ميتته))(٢) ومثل ميتة البحر الجراد فقد رخص الرسول صلى الله عليه وسلم في اكله في احدى الغزوات، واستثنت السنة من الدم دمين: الكبد والطحال. قال عليه الصلاة والسلام: ((احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالحوت والجراد واما الدمان فالكبد والطحال)).(٣) وسماهما دمين لان اكثر تركيبهما من الدم.

وليست هذه هي كل المحرمات بل ان السنة اضافت الى هذه المحرمات انواعاً كثيرة فلقد نهى عليه الصلاة والسلام عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير))(٤)، والسباع كالذئب والنمر والاسد، وذي مخلب من الطير كالصقر والنسر والباز ...الخ.

---

(١) المائدة : ٣ ، (٢) اخرجه الاربعه ، (٣) اخرجه احمد وابن ماجه ، (٤) اخرجه الترمذي.

٠ **الالبسة والثياب.**

الاسلام يطلب من الانسان ان يستر عورته، وان يكون حسن الهيئة ليتميز عن الحيوانات. ولذا اوجب عليه ارتداء الملابس التي تستر العورة، وحفاظاً منه على كرامة الانسان وعرضه حرم انواعاً من اللباس، فحرم على النساء الملابس التي لا تستر عورتهن، وذلك بان تكون شفافة او مجسمة، واباح لهن الحرير والذهب مراعاة لطبيعة المرأة، ولكن شرط عليها ان لا تظهر هذه الزينة لغير زوجها، وقد ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام: ((ان من اهل النار صنفاً من النساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها))(١). ثم ان الاسلام نهى عن ان يتشبه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل في اللباس والهيئة، قال عليه الصلاة والسلام: ((لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)).(٢)

وحرم على الرجل لبس الذهب والحرير المستخرج من دود القز، وأباح لهم ما عدا ذلك بشرط ستر العورة وعدم التشبه بالنساء.

٣ ٠ **في مجال العمل والكسب.**

لا يحل للانسان ان يكسل عن طلب الرزق لأن الله يبغض العبد الفارغ، ولكن الاسلام حدد انواعاً من الاعمال المشروعة بها يتملك الانسان المال، وحرم عليه انواعاً اخرى حفاظاً منه على حرمة اموال الناس وعلى سياسته الاقتصادية، وقاعدة التحريم ترجع الى قول الله تعالى: ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾(٣) فلقد حرم الاسلام الكسب عن طريق الربا والاحتكار والقمار واليانصيب وبيع المخدرات، وحرم العمل في ملهى او مرقص او محل يباع فيه الخمر.

٤ ٠ **في مجال المعاملات المدنية.**

حرم الاسلام الغش والخداع في المعاملات، وحرم بيع الاشياء المحرمة كالخمور، والاصنام والميتة والخنزير، وحرم تصريف السلع بكثرة الحلف؟ كما انه حرم شهادة الزور. وحرم كل بيع يقوم على الغبن والغرر لانه يؤدي الى منازعة بين الطرفين.

٥ ٠ **في مجال الغريزة.**

الاسلام واقعي فلم ينكر هذه الناحية في الانسان بل اعترف له بها، لكنه لم يطلق العنان لها بلا حدود حفاظاً منه على حرمة اعراض الناس، لذلك دعاه الى الطريق المشروعة وهي الزواج وحرم عليه غيرها حتى يتميز عن الحيوانات، فحرم الاسلام الزنا وهو جريمة خلقية ومحرم في كل الاديان قال عليه الصلاة والسلام: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن).(٤)

وحرم النظر الى الاجنبية والخلوة بها، وحرم الاختلاط، وحرم اللواط والاستمناء.

---

(١) رواه مسلم ، (٢) رواه البخاري ، (٣) البقرة : ١٨٨ ، (٤) متفق عليه.

٦ . **في العلاقة بين الزوجين.**

حفاظاً على مصالح الاسرة وحتى تسود العلاقة الزوجية الهنيئة، فان الاسلام حرم اهانة الزوجة والتسلط عليها، وهضم حقوقها، وطالب الزوج بأن يعاشرها بالمعروف. وحرم الاسلام اسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه واعتبر ذلك جريمة وحراماً، لانه جناية على حي ظاهر الحياة. وحرم تحديد النسل واجاز تنظيمه، بشرط رضى الزوجة وان يكون هناك عذر شرعي، كالخشية على صحة المرأة وذلك بأن يعرف من طبيب موثوق بدينه ان الحمل يضر بالمرأة، اما الاجهاض بلا عذر شرعي ولو قبل نفخ الروح فحرام.

وحرم التلقيح الاصطناعي وهو زنا وجريمة منكرة واثم عظيم يلتقي مع الزنا في النتيجة، وحرم الحلف بالطلاق عليها، وحرم طلاقها في حالة الحيض، وعد طلاقها بلا سبب ظلماً.

٧ . **في مجال العلاقات الاجتماعية.**

يسعى الاسلام دائماً الى ان تكون العلاقة طيبة بين افراد المجتمع، ومن ثم فان كل قول او عمل او سلوك فيه عدوان على افراد المجتمع يعتبر حراماً، وهذه كثيرة منها: الغيبة قال عليه الصلاة والسلام: اتدرون مالغيبة؟ قالوا: الله ورسوله اعلم قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: افرأيت ان كان في أخي ما أقول؟ قال: ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)).(١)

نميمة :

وهي نقل ما يسمعه الانسان عن شخص الى ذلك الشخص على وجه يوقع العداوة بين الناس قال عليه الصلاة والسلام: ((شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة)).(٢)

سوء الظن:

فلا يحل للمسلم ان يسيء ظنه بأخيه المسلم وان يتهمه بلا بينة قال عليه الصلاة والسلام: ((إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث)).(٣)

اللمز:

ومعناه ان يعيب المسلم أخاه المسلم قال عز وجل: ﴿**ولا تلمزوا انفسكم**﴾(٤) ومن اللمز المحرم التنابز بالالقاب وهو التنادي بما يكره من الالقاب.

---

(١) رواه مسلم ، (٢) اخرجه احمد ، (٣) رواه مسلم، (٤) الحجرات : ١١.

السخرية والتجسس:

قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم﴾**.(١)

الهجر والمخاصمة:

قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا))(٢)

القذف :

وهو اتهام الغير بالزنا ونحوه فالاسلام حفظ عرض الفرد من الكلمة التي يكرهها تذكر في غيبته وهي صدق فكيف اذا كان الكلام افتراء لا أصل له؟ لذا جعل عقوبة القاذف ثمانين جلدة وعدم قبول شهادته الى ان تظهر توبته.

القتل :

وهو محرم قال عليه الصلاة والسلام: ((كل ذنب عسى الله ان يغفره الا الرجل يموت مشركاً او الرجل يقتل مؤمناً متعمداً)).(٣)

الانتحار:

وهو قتل الانسان نفسه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالد مخلداً فيها ابدا)).(٤)

السرقة:

وهي محرمة قال عليه الصلاة والسلام: ((لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)).(٥) ومن انواع المال الحرام الرشوة وهي اخذ المال بالباطل قال عليه الصلاة والسلام: ((لعن الله الراشي والمرتشي والرائش))(٦). (اي الواسطة بينهما).

---

(١) الحجرات : ١٢ ، (٢) متفق عليه ، (٣) رواه ابو داوود ،

(٤) متفق عليه ، (٥) متفق عليه ، (٦) رواه احمد.

٨ • **في مجال الجندية:**

ان اعتماد الاسلام على القوة لدعم الحق واظهاره لا يخفى على احد، ومن هنا فان الاسلام ينظر الى الجندية نظرة اكبار واهتمام ولهذا نراه يحرم الامور التالية ليكون جيش الامة مثالياً.

١ • التخلي عن الخدمة مع المقدرة عليها قال تعالى: ﴿**الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما**﴾.(١)

٢ • التهاون في اعداد العدة: فقد جعل الاسلام البخل بالمال والنفس عن القتال ذنباً عظيما قال تعالى: ﴿**وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة**﴾.(٢)

٣ • موالاة اعداء الامة: قال تعالى: ﴿**يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾.(٣)

٤ • الهزيمة من المعركة: قال عز وجل: ﴿**ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**﴾.(٤)

٥ • افشاء اسرار الجيش: قال عليه الصلاة والسلام: ((استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان))(٥) وقال عليه الصلاة والسلام: ((رحم الله عبداً قال خيراً فغنم او سكت فسلم))(٦) وقال: ((طوبى لمن امسك الفضل من لسانه)).(٧)

٦ • عصيان ولي الامر والخروج عليه قال تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾.(٨) وقال عليه الصلاة والسلام: ((من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية)).(٩) مع مراعاة حديث: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)).(١٠)

٧ • اليأس من رحمة الله عند الهزيمة قال تعالى: ﴿**انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**﴾.(١١)

٨ • ظلم الجندي : قال الله تعالى في الحديث القدسي: ((اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري))(١٢) وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: ((يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)).(١٣)

٩ • السرقة من اموال الجيش: قال تعالى: ﴿**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾.(١٤)

١٠• الاستبداد بالرأي قال تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾.(١٥) ومخالفة الامر حرام كما سبق.

وأؤكد في ختام هذا البحث ان مجرد المعرفة للحلال والحرام وحدها لا تكفي، فلا بد من مراقبة الله التي تحدد سلوك الانسان وتجعله يقف عند حدود الله فلا يتعداها الى الحرام.

ونسأل الله عز وجل ان يغنينا بحلاله عن حرامه وبطاعته عن معصيته وبفضله عمن سواه.

---

(١) التوبة : ٢٩ ، (٢) البقرة : ١٩٥ ، (٣) الممتحنة : ١ ، (٤) الانفال : ١٦ ، (٥) اخرجه الطبراني ، (٦) اخرجه ابن ابي الدنيا ، (٧) اخرجه البغوي ، (٨) الانفال : ٤٦ ، (٩) اخرجه البخاري. (١٠) رواه احمد والحاكم ، (١١) يوسف : ٨٧ ، (١٢) رواه الديلمي ، (١٣) رواه مسلم.

(١٤) آل عمران : ١٦١ ، (١٥) آل عمران : ١٥٩.

القسم الرابع :

الاخــــلاق

تحدثنا في الاقسام الثلاثة السابقة عن العقيدة، وبينا ان محلها القلب، وعن العبادات وهي علاقة بين العبد وربه، وعن المعاملات وقلنا انها تنظيم لعلاقات البشر في امور معاشهم، والان نتكلم عن الاخلاق، وهي تلك الصفات الحميدة التي يجب ان يتحلى بها الانسان سواء اكان يخالط الناس ام يعيش منعزلا عنهم، وان كانت اكثر ما تظهر عند معاشرة الناس والامتزاج بهم وفي هذا الباب نتحدث عن الامور التالية:-

١ . ان الاخلاق الحسنة ضرورية لكل مجتمع ولا تغني عنها القوانين مهما كانت دقيقة ومنظمة، لأن القاضي الذي يحكم بالقانون يوقف كلا من المتخاصمين عند حقه الظاهر بحسب ما يبدو له، وما يثبت امامه من دلائل، لكن في كثير من الحالات يكون الباطن غير الظاهر والقاضي لا يقدر ان يصل اليه، فهنا تتدخل الاخلاق.

والقوانين ايضاً، مهما كانت عادلة يمكن ان يحتال عليها الانسان فيضر بالناس بطريقة لا يقف القانون ضده فيها، وهنا تتدخل الاخلاق، لتمنع الاحتكاك بين الافراد لانه لابد ان يؤدي الى ضررهم جميعاً.

نضرب على ذلك مثلاً، ان الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية تسمح للانسان ان يتصرف في ملكه اي تصرف لا يضر بالجيران ضرراً ظاهراً لكنها لا تمنعه ان يرفع صوته ولا ان يفتح المذياع كما يشاء او يدق مسماراً في حائطه... الخ، هذه تزعج الجيران ازعاجاً لا يمكن رفعه الى المحكمة فما هو الحل؟ الحل هو الاخلاق الكريمة قال عليه الصلاة والسلام: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)).(١)

٢ . ان الخلق الفاضل يجب ان يكون في النفس سجية يقابل بها كل الناس محسنهم ومسيئهم وان كان المسيء لا بد من ايقافه عند حده اذا تمادى، اما الذي يقابل الناس بالاحسان ان احسنوا وبالاساءة ان أساؤوا، فهذا اشبه ما يكون بالمرآة يظهر فيها الشكل الحسن ان قابلها شكل حسن، والشكل القبيح ان قابلها قبيح.

والله يريد لنا ان تكون اخلاقنا ذاتية نقابل بها كل الناس قال الله تعالى:﴿**ادفع بالتي هي أحسن السيئة**﴾.(٢) أي قابل السيئة بالحسنة تدفعها.

---

(١) متفق عليه. (٢) المؤمنون : ٩٦ .

وقال عليه الصلاة والسلام: ((ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها)) (١). اي ان الذي لا يصل رحمه الا اذا وصلته لا يكون محرزاً فضيلة صلة الرحم بل ينالها الذي يصل رحمه ولو لم تصله.

٣ . ان الاخلاق الاسلامية ليست نفعية اي ان المسلم لا يتحلى بها ليجر لنفسه منفعة شخصية كترويج بضاعة او احترام الناس كما هي الحال عند الاجانب، بحيث اذا زالت المنفعة زالت الاخلاق، بل الاخلاق الاسلامية ترتكز على العقيدة وترتبط بها، وعلى المسلم تطبيقها ليرضي ربه.وينفذ اوامره وليكون منسجماً مع عقيدته، والمنفعة بعد ذلك تبع، وهكذا لا تدور الاخلاق مع المنافع، ولذلك ترى بعض الاحاديث تنفي الايمان عمن يرتكب بعض الذنوب الاخلاقية، قالْ عليه الصلاة والسلام: ((والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل من يارسول الله قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)) (٢) اي غدره وشروره، ومثله قوله عليه الصلاة والسلام: ((لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه))(٣) وهذا يدل ان ضعف الايمان هو الذي يجعل ارادة الشر تغلب ارادة الخير عند الانسان، اما قوي الايمان الذي يعبد الله كأنه يراه فهذا قلما يقع في ذنب، وان وقع فما اسرع توبته وندمه واستغفاره قال الله تعالى: **﴿والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين﴾**.(٤)

٤ . اذا كانت المخالفة في الاعمال الظاهرة تستحق العقوبة من الحاكم في الدنيا، فان المخالفة الاخلاقية يعاقب الله عليها في الآخرة ان لم يتب صاحبها، قال عليه الصلاة والسلام: ((انْ من أحبكم الي واقربكم مني مجلساً يوم القيامة، احاسنكم اخلاقاً، وان ابغضكم الي وابعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون، والمتفيهقون)) (٥) وقال ايضاً: ((لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر)). (٦)

٥ . الجماعات والافراد يقاسون بأخلاقهم ولذلك عندما مدح الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم قال عنه: ((وانك لعلى خلق عظيم))(٧) وجعل مهمة رسوله الكريم تعليم الناس الاخلاق فقال عليه السلام: ((انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)).(٨)

ورحم الله شوقي اذ يقول:

وانما الامم الاخلاق ما بقيت ... فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

---

(١) رواه البخاري ، (٢) متفق عليه ، (٣) متفق عليه ، (٤) آل عمران ١٣٥ – ١٣٦.

(٥). رواه الترمذي ، (٦) اخرجه مسلم ، (٧) القلم : ٤ ، (٨) اخرجه احمد.

بر الوالدين ، والارحام ، والجيران

الوالدان هما السبب في وجود الانسان، والوجود من اكبر النعم على الانسان في نظر كل العقلاء وليس منهم أولئك الذين يرون الحياة ثقلاً وغرماً، لأن الحياة نفسها تستثقلهم، فهم لا يصلحون لها، ولذلك نراهم يصبون جام غضبهم على من كان سبب وجودهم وفي ذلك يقول شاعرهم:-

هــــذا جنـــــاه أبــــي علــــي وممــــا جنيــــت علــــى أحــــد

واذا تركنا هؤلاء المعقدين الحمقى رأينا كافة الناس يعدون الحياة نعمة كبرى يشكرون الله عليها ويشكرون السبب فيها وهو الابوان، وحسبهما فضلا انهما نفذا ارادة الله بعمارة هذه الارض بها النوع من الاحياء (البشر). ومن اجل ذلك اتفقت الديانات والمبادىء العاقلة على إكرام الابوين ووجوب احترامهما قال الله تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا**﴾.(١) وقال: ﴿**وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا**﴾.(٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثاً؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال الاشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت))(٣)أي رحمة به من كثرة ما اتعب نفسه بتكرارها، وبعد فان من حقوق الوالدين التي يجب اداؤها مايلي:-

١ . اطاعتهما في كل ما يأمران به او ينهيان عنه مما ليس فيه معصية لله تعالى ومخالفة لشريعته.

٢ . توقيرهما وتعظيم شأنهما، وخفض الجناح لهما، قال الله تعالى: ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾.(٤)

٣ . عدم تفضيل الزوجة او الاولاد عليهما.

٤ . برهما بكل ما تصل اليه اليد، والانفاق عليهما بنفس طيبة، من طعام وكساء ولباس، وعلاج وتوسيع في العيش بحسب الطاقة.

٥ . صلة رحمهما، والدعاء والاستغفار لهما قال الله تعالى: ﴿**وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**﴾.(٥) وكما ان للوالد حقوقاً على ولده فكذلك للولد حقوق على والده تتمثل في:

أ . اختيار والدة له حسنة الدين والخلق والاصل.

ب . حسن تربيته وتعليمه والنفقة عليه.

جـ . تثقيفه وتأديبه بآداب الاسلام.

د . تعليمه مبادىء الاسلام، وتعويده على اداء فروض الاسلام وسننه.

---

(١) النساء : ٣٦ ، (٢) الاسراء : ٢٣ ، (٣) متفق عليه ، (٤) الاسراء : ٢٤ ، (٥) الاسراء : ٢٤.

وانجح طريق لذلك هو ان يكون الاب متحلياً بهذه الفضائل ليكون القدوة الصالحة لولده ولأن هذا ابلغ اثرا من مجرد الكلام.

وعلى الانسان ايضاً حقوق تجاه ارحامه وكم اوصى الله تعالى بالرحم قال عز وجل: **﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام﴾**.(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك؟ قالت بلى، قال فذلك لك))(٢) ولذلك يجب صلة الارحام والاحسان اليهم، فيوقر كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويعود مريضهم، ويشاركهم أفراحهم المشروعة، ويواسي منكوبهم، ويعزي مصابهم، ويلين لهم وان قسوا معه وجاروا عليه.

ومن الاخلاق التي امر بها الاسلام الاحسان الى الجار فقد امر الله تعالى بالاحسان الى الجار سواء اكان قرابة ام لا فقال الله تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين، والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾**(٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره))(٤) ومن الحقوق الواجبة للجار مايلي:

١ . عدم اذيته بقول او بفعل قال عليه الصلاة والسلام: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)) (٥) ومن اذيته تتبع عوراته والتجسس عليه.

٢ . الاحسان اليه. وذلك بان ينصره اذا استنصره، ويعينه اذا استعانه، ويعوده اذا مرض ويهنئه اذا فرح، ويعزيه اذا اصيب، ويساعده اذا احتاج، ويلين له الكلام.

٣ . المحافظة على ماله وعرضه وسمعته قال عليه الصلاة والسلام: ((والله لا يؤمن، والله لايؤمن، والله لا يؤمن، قيل من يا رسول الله قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)).(٦) وللمسلم بشكل عام حقوق على المسلم منها:-

أ . ان يسلم عليه اذا لقيه، ويشمته اذا عطس وحمد الله فيقول له: يرحمك الله، ويجيبه العاطس: يهديكم الله ويصلح بالكم.

ب . ان يعوده اذا مرض، ويشهد جنازته اذا مات، ويهنئه اذا فرح، ويعزيه في الحزن.

جـ . ان ينصحه اذا استشاره، ويحب له ما يحب لنفسه من الخير .

د . ان يتواضع له ولايتكبر عليه، ولا يغتابه، ولا يسيء به الظن، ولا يحسده.

هـ . ان لا يهجره فوق ثلاث الا لسبب شرعي.

هذا طرف من اخلاق المجتمع الاسلامي نذكرها لنتخلق بها ان شا الله تعالى.

---

(١) النساء : ١ ، (٢) متفق عليه ، (٣) النساء : ٣٦ ، (٤) رواه مسلم ، (٥) متفق عليه ، (٦) متفق عليه.

الصدق والوفاء بالوعد

الصدق : مطابقة القول للواقع، والوفاء بالوعود: مطابقة الفعل لما سبق من قول. وهذان خلقان ضروريان لكل مجتمع فلا غنى عنهما، لأن الله تعالى قد ميز الانسان على غيره من الحيوانات بالنطق، واكرمه بهذه الوسيلة السهلة التي يعبر بها عن واقعه وعما يحس به او يجول في نفسه، وعندما تكون الاقوال مطابقة للواقع تكون هذه النعمة قد استعملت في محلها الصحيح، وادت دورها الكبير في منفعة الناس وتماسك المجتمع وتبادل الثقة بين افراده، فكل واحد يبلغ من المجد بمقدار ما عمل لا بمقدار ما يتقن من فن الثناء على نفسه.

وكما ان الصدق مع الناس ضروري للانسان، فهو ضروري له مع نفسه فيصارحها بعيوبها ليحاول بعد ذلك اصلاحها والتخلص من تلك العيوب.

ومن أجل هذا دعانا الاسلام الى ان نكون مع الصادقين قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾.(١) وبين العاقبة الحسنى لهذا الخلق الفاضل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا)).(٢) والصديق مقامه عال عند الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**﴾.(٣) وكفى هذا الخلق ان يلحق صاحبه بهذه الزمرة الطيبة، والصدق ليس باللسان فقط. بل بالعمل ايضاً، وبالعزيمة كذلك، اما صدق العمل فهو الجد والاخلاص فيه والشعور بمراقبة الله تعالى بحيث يعطي حقه كاملاً من الاتقان وغيره، لان الشخص الذي يسند اليه عمل فيقبله كأن لسان حاله يقول: انا اقوم به على خير وجه، وهو يظهر للناس بهذا المظهر، فاذا قصر لم يكن صادقاً، وهذا هو الذي يشير اليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ان الله يحب اذا عمل احدكم عملاً ان يتقنه))(٤) وقوله: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))(٥) ولا يخفى اثر الصدق بهذا المعنى.

والصدق ايضاً بالعزيمة، فالانسان عليه ان يفكر في امور دنياه وآخرته، ولهذا خلق الله له العقل، فان اشكل عليه الامر ولم يظهر له وجه الصواب استشار غيره قال الله تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾.(٦) فاذا غلب على ظنه ان هذا هو المنهج القويم وجب ان يمضي فيه بلا تردد قال الله تعالى: ﴿**فاذا عزمت فتوكل على الله**﴾.(٧) وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم يوم احد فقد كان يميل الى البقاء في المدينة لكن استشار الناس، فاشار الاكثرية بالخروج

---

(١) التوبة : ١١٩ ، (٢) متفق عليه ، (٣) النساء : ٦٩ ، (٤) رواه ابو يعلى ، (٥) متفق عليه ،
(٦) آل عمران : ١٥٩ (٧) آل عمران : ١٥٩.

وألحوا في ذلك فقرر ان يخرج، ولما علموا بميل الرسول صلى الله عليه وسلم الى البقاء عادوا يفوضون الامر اليه ويعلنون تنازلهم عن رأيهم، ولكنه رفض هذا التردد وأصر على الخروج، لأن التردد خطأ، والمتردد لا يصل الى مقصد، وانما يبلغ المجد اصحاب العزائم التي لا تلين ولا تردد قال الشاعر:

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة   فان فساد الرأي ان تترددا

ووجه الصدق في العزيمة ان الانسان اذا نوى شيئاً فكأنه يعطي وعداً لنفسه بفعله فاذا غير نيته يكون قد اخلف وعده ولم يصدق فيه.

واذا توفر الصدق في القول والفعل والنية، مضى المرء قدماً على طريق سعادة الدنيا والآخرة، يسعى بصدق لدنياه التي فيها معاشه، ويسعى بصدق لآخرته التي إليها معاده.

وقد كان الصدق شعار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا مضرب المثل في كل خير.

ولا بد ان نلتفت الى الجانب الآخر لنرى اضرار الكذب وقبح الكاذبين، وقد قيل: (وبضدها تتميز الاشياء) لقد قلنا ان النطق نعمة، ولكن النطق اذا لم يكن مطابقاً للواقع كان مصيبة يتردى فيها الانسان الى درك أسفل من درك الحيوان، فالحيوان لا يخبرك بشيء فتبحث حتى تجد الحقيقة، والكاذب يخبرك بخلاف الحقيقة وبعد ان تبذل جهداً او تصيبك خسارة تكتشف الحق، فلا هو اخبرك بالحق ولا سكت كالعجماء فكانت العجماء خيراً منه.

وكيلا يتردى الانسان الى هذا الدرك حرم الاسلام الكذب وحرمه كل دين، وكل عقل ومنطق سليم، حتى ان الاسلام يعتبر الكذب منافياً للايمان وعلامة من علامات النفاق فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: ايكون المؤمن كذاباً قال: لا، ثم تلا قول الله تعالى: **﴿انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون﴾**.(١) وقال صلى الله عليه وسلم: ((آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب واذا وعد اخلف، واذا أؤتمن خان))(٢) وانما كان الكذب علامة النفاق، لأن المؤمن يستوي ظاهره وباطنه، والمنافق هو الذي يضمر خلاف ما يظهر.

وانظر الى هذه العاقبة التي يؤول اليها امر الكاذب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)).(٣)

---

(١) اخرجه ابن عبد البر ، (٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه .

وقد تتبع الاسلام المنافذ التي تفضي الى الكذب فسدها وحذر منها ومن هذه المنافذ:

١ - **الظـــن** : فالمرء اذا حكم بمجرد الظن من غير تحقق ولا تثبت كان الى الخطأ اقرب منه الى الصواب والى الكذب اقرب منه الى الصدق، وما الذي يحمله على التسرع في اعطاء الاحكام، واطلاق عنان لسانه؟ ان الروية منجاة له من موقف الأسف عندما يكتشف خطأه، ولذا امره الله بطرح الظن والعمل باليقين قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم**﴾.(١)وقال: ﴿**يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾.(٢)

٢ - **المـــزاح** : ان الترويح عن النفس بالاملوحة الادبية الصادقة، او النكتة اللطيفة لا غبار عليه ولا ضير فيه، فالنفوس يرهقها الجد المتواصل، ولكن المزاح والنكات يجب ان لا تستغرق كل الوقت ولا قسطاً كبيراً منه، فالاملوحة كالملح للطعام، له مقدار لا يزاد عليه ولا ينقص، ويجب ايضاً ان لا يشتط الانسان فيها فيخرج الى الكذب كما يفعل بعض الناس ممن يتجملون بالمزاح ومباسطة الناس، ولو سمعوا هذا الحديث لكفوا عن ذلك ووقفوا عند حدود الصدق لا يعدونها، قال عليه الصلاة والسلام: ((ويل للذي يحدث بالحديث الكذب ليضحك به القوم، ويل له ثم ويل له)). (٣)

٣ - **كثرة الكلام** : الكلام يجب ان يكون على قدر الحاجة، وبحسب ما يقتضيه الحال، اذ الكلا وسيلة لا غاية.

فمن قصد بالكلام اظهار النفس والدعوة لها، واكتساب المحبة والاحترام ربما جره ذلك الى القول الباطل، ومدح النفس بما ليس فيها، بل مجرد اطلاق اللسان مزلة له وقد قيل: (من كثر لغطه كثر غلطه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله)). (٤)

٤ - **المجادلـة** : ان البحث والمناقشة الهادفة أمر ضروري لتنمية العلوم وتوسيع المدارك، وتلقيح الآراء، ولكن يشترط في ذلك: ان يكون هدف كل من المتباحثين الوصول الى الحق بحيث يكون لدى كل منهم استعداد لترك رأيه والأخذ برأي صاحبه اذا ظهر ان الحق معه.

أما اذا كان كل من المتباحثين لا يهمه الا تأييد رأيه فهو يضع بين عينيه سلفاً انه لن يتنازل عن رأيه، فان هذه المناقشة لا فائدة فيها ومحكوم عليها بالفشل، وهي المجادلة العقيمة التي تكون سبيلاً الى الكذب، لان الذي يناقش بهذه النفسية لن يتورع عن الكذب حتى لا يسلم لخصمه، ومثل هذا لا ينبغي الدخول معه في مناقشة، وعلى الطرف الآخر ان ينسحب اذا رأى من خصمه التعنت، وهذا معنى قول الشافعي فيما ينسب اليه: ((ما ناظرني عالم الا وغلبته ولا ناظرني جاهل

---

(١) الحجرات : ١٢ ، (٢) الحجرات : ٦ ، (٣) اخرجه الثلاثة وحسنه الترمذي ، (٤) اخرجه البغوي.

الا وغلبني)) لانـه ينسـحب مـن المناقشـة كمـا ينسـحب المغلـوب، وليس بمغلـوب لكنـه يـرى ان الاستمرار في مجادلة الجاهل عبث، لا يضيع فيه العاقل وقته، واذا كانت النفس يصعب عليها ان تنسحب في موقف كهذا، فان ترك هوى النفس طلباً لرضى الله فيـه الثـواب العظيم، قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: ((من ترك المراء وهو محق بني له بيت فـي أعلـى الجنـة، ومـن تـرك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة)).(١)

هذه اخطر المزالق الموقعة في الكذب.

ومن المعلوم شرعاً ان الضرورات تبيح المحظورات، ولذا ابيح الكـذب فـي بعـض الحـالات خوفاً من الوقوع فيما هو اعظم كما يباح أكل الميتة خوفاً من الموت، وهذه الحالات هي:

أ . في المعركة فيجوز الكذب على العدو لخدعه، فكم من خدعة احرزت نصراً قـال عليـه الصلاة والسلام: ((الحرب خدعة))(٢) ولكن غير الغدر، فـالغدر لا يجـوز فـي المعركـة ولا في غيرها.

ب . اذا وقع الشخص أسيراً في يد العدو، ابيح له الكذب اذا سئل عن القوات الصديقة.

جـ . اذا سأله ظالم عن شخص ليقتله أو ليأخذ ماله لا يجوز له ان يخبر عنه.

د . يجوز الكذب للاصـلاح بيـن المتخـاصمين، كـأن تقـول لاحدهمـا فـلان يحبـك، أو يسلم عليك، أو يثني عليك خيراً... مع انك تعلم انه لا يحبه، وانه لم يسلم عليه، قـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقـول خـيراً))(٣) اي نسب الى احدهما خيراً.

هـ . اذا سأل احد الزوجين صاحبه، هل تحبني؟ يجوز ان يقول لـه: نعم، وان كـان لا يحبـه كما يجوز له ان يخـبره ابتـداء بحبـه لـه وان لـم يكـن كذلـك، حرصـاً علـى الانسـجام وعـدم الشقاق، اذ لو اخبره بواقع الامر لازدادت الكراهية، واريد ان اثبـت هنـا قصـة لهـا مدلولهـا العظيم في هذا المقام.

فقد روي ان رجلاً في ايام عمر رضـي اللـه عنـه كـان يخلـع النسـاء اللاتـي يـتزوج بهـن، فطارت له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها، فلما علم بذلك اخذ بيد رجل من اخوانه حتى اتى به الى منزله، ثم قال لأمرته: انشدك بالله هل تبغضيني؟ قالت لا تنشدني، قال فأني انشدك الله؟ قالت نعم، فقال لأخيه: اتسمع ثم انطلقا حتى اتيا عمر رضي الله عنه فقال لعمر اما انكم لتحدثـون انـي اظلم النساء واخلعهن، فأسأل صاحبي عما سـمع، فـأخبره، فأرسـل عمـر الـى المـرأة فجـاءت هـي وعمتها فقال لها عمر انت التي تحدثين زوجك انك تبغضينـه؟ فقـالت: انـي اول مـن تـاب وراجـع

---

(١) اخرجه الترمذي ، (٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.

أمر الله تعالى، انه ناشدني بالله فتحرجت ان اكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين قال: نعم، فاكذبي، فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك، فان اقل البيوت الذي يبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب، وانما سقت هذه القصة ليفقه شباب اليوم الذين يطلقون النساء لا لشيء الا لعدم توفر الحب الذي كان يربط بينهما ايام الخطبة والمراهقة، كأنهم يظنون ان الحياة الزوجية مطابقة في واقعها لما يرسمونه لها من صور في اذهانهم فيحسبونها حلماً لا منغص فيه، وهيهات فان الحياة لا تخلو من المنغصات، ويقدمون على الطلاق لا يخافون من الله، ولا يحسبون حساباً لشعور أهل الزوجة، ويقدمون على زواج آخر لتتكرر المأساة او ليصبروا مرغمين على ما طلقوا من اجله.

بقي الحديث عن **الوفاء بالوعد** وقد سبق ان قلت انه مطابقة العمل لما سبق من قول. فاذا وعد الانسان غيره بخير وجب عليه الوفاء بما وعد، وقد امر الله تعالى بذلك فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾.(١) ومن العقود كل ما يتفق عليه شخصان، والناس في حياتهم يخططون للمستقبل ويبنون هذه الخطط في كثير من الاحيان على وعود الآخرين فيكون الوفاء تعاونا على البر والتقوى، وبذلك تنشط الحياة في كل وجوهها ويستطيع الانسان ان يرتب اموره قبل ان تقع، وهو أمر ضروري لحياة البشر، من اجل هذا أمر الاسلام بالوفاء بالوعد وشدد الامر بأساليب متعددة منها الاية السابقة، ومنها انه مدح نبياً بهذا الوصف ليلفت الانظار الى أهمية هذا الخلق ووجوب الاقتداء بهذا النبي، فقال تعالى: ﴿**واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**﴾.(٢)

اما اذا اكثر اخلاف المواعيد فقد تعذر على الانسان ان يرتب اموره قبل وقوعها، فاذا ما وقعت حلها حلا مرتجلا ليس فيه احكام ولا عمق، هذا فضلا عن خيبة الامل التي تحدث في نفس الموعود عند اخلاف الوعد، من اجل هذا كان مخلف الوعد معرقلا لسير الحياة، محزناً للنفوس بعد فرحة الامل، وبهذا استحق ان يسمى منافقاً كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم.

غير ان الانسان اذ يعطي الوعد لا يكون على علم بما سيجد من ظروف وما سيحدث من امور، ولذا فهو اذ يعطي الوعد يعطيه على افتراض ان لا يحدث مانع من الوفاء، فان حدث ما يمنعه، أيكون مخلفاً للوعد فينطبق عليه الحديث السابق: ((آية المنافق ثلاث..الحديث))؟.

---

(١) المائدة : ١ ، (٢) مريم : ٥٤

الحق ان على الانسان ان يفي بوعده وان كان في ذلك مشقة اما في حالة الظروف القاهرة فانه لا يؤاخذ، ومع ذلك عليه ان يحسب حساباً لهذه الظروف فلا يقطع وعداً مبرماً بل يعلق الامر بمشيئة الله، فيقول: أفعل كذا ان شاء الله، حتى يكون في الظروف القاهرة غير ناكث للوعد لانه في تلك الحالة لم يتحقق شرط الوعد، وهو مشيئة الله تعالى، وهكذا تكون هذه الكلمة وقاية من الوقوع بنكث العهد لا كما يفعل البعض اذ يجعلها ذريعة لاخلاف المواعيد، قال تعالى: ﴿**ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله**﴾.(٣) وان اولى العهود بالوفاء عهود الله تعالى التي يقطعها الانسان على نفسه عند الشدة، ومن ينكث فانما**ينكث** على نفسه.

---

(٣) الكهف : ٢٣.

مبدأ الاخـلاق فـي الفقـه الاسـلامـي

سبق ان قلنا ان الاسلام كل لا يتجزأ، بمعنى انه لا يمكن فصل جزء منه عن بقية الاجزاء، والنظر اليه بمعزل عنها، بل هي متداخلة متعاضدة للوصول الى هدف واحد هو رضوان الله وتسري فيها روح واحدة هي الاخلاص لله.

وفي هذا البحث عن علاقة الاخلاق بالفقه سنرى كيف ان الاخلاق تتمم المعاملات وترفدها للوصول الى احقاق الحق وازهاق الباطل.

في القوانين الوضعية يوجد خط واضح بين الاخلاق والقانون، فما تحاسب عليه السلطة هو القانون وما يحاسب عليه الضمير فقط هو الاخلاق، والسلطة لا تحاسب الا على ما نص عليه القانون، وما يحاسب عليه الضمير غير محدد فقد يحاسب اليوم على ما لم يكن يحاسب عليه من قبل، او لا يحاسب عليه في المستقبل، فموازينه نسبية متغيرة.

وبناء على ذلك فما قضى به القانون هو حق سائغ، وما لم يقض به ليس بحق ولا سائغ، وسبب ذلك ان واضع القانون والمشرف على تطبيقه بشر، والقوة المؤيدة له قوة البشر والبشر لا يطلعون الا على ظواهر الامور فقط.

اما في الشريعة الاسلامية فان افعال الانسان تنقسم اصلاً الى حلال وحرام، فالحلال ما وافق امر الله والحرام ما خالفه، والذي يعاقب المخالف هو الله تعالى، فالقوة المؤيدة هي قوة الله الذي لا يخفى عليه باطن ولا ظاهر قال الله تعالى: ﴿**يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور**﴾.(١)

ثم تنقسم بعد ذلك افعال الانسان الى امور ظاهرة يمكن اثباتها امام القضاء، وهذه عجل الله العقوبة لمخالفتها على يد ولي الامر، وامور باطنة لا يمكن الاطلاع عليها ويصعب اثباتها امام القضاء وهذه يتولى الله تعالى المعاقبة عليها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((انما انا بشر وانه يأتيني الخصم، فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض، فأحسب انه صادق، فاقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار، فليحملها او يذرها))(٢)، وهكذا فان ما أفلت من القضاء لا يفلت من رب العالمين، فاذا سمينا ما يحاسب عليه ولي الامر من احكام الشريعة: قانوناً، وما لا يحاسب عليه: اخلاقاً، فعندها يظهر ان الفارق بين القانون والاخلاق في الفقه الاسلامي فارق زمني وهو ان المخالفات القانونية يجازي عليها القضاء، والمخالفات الاخلاقية يعاقب عليها الله تعالى في الآخرة او الدنيا، وبما أن احكام القانون والاخلاق تفيضان من مشكاة واحدة فليس عجباً ان نرى بينهما تداخلاً وتأثيراً متبادلاً.

---

(١) المؤمنون : ١٩ ، (٢) متفق عليه.

وبهذا يظهر معنى قول الفقهاء، هذا حكم قضائي، وهذا حكم دياني، فالحكم القضائي ما يحكم به القاضي حسب ما ظهر له وثبت لديه سواءً أكان حكمة مطابقاً للحقيقة ام لا، والحكم الدياني هو الحكم الشرعي للقضية بحسب حقيقتها وواقع الامر فيها فمثلاً: لو جاء المدعي بشاهدي زور ليثبت دعواه الكاذبة بمال على غيره كان على القاضي ان يحكم له بذلك المال اذا لم يثبت كذب الشاهدين، وجاز للمدعي (قضاء) اخذ ما حكم به القاضي، واما فيما بينه وبين الله تعالى فلا يجوز له الاخذ لانه يعلم حقيقة الامر، ان لا حق له بذلك المال، كما نص عليه الحديث المتقدم.

ويتدرج تأثير الاخلاق في الاحكام الفقهية ما بين الارشاد والالزام، ففي مقام الارشاد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النجش(١) (وهو الزيادة في ثمن السلعة عند بيع المزايدة مع عدم الرغبة فيها ليغر غيره)، لان الدافع الى ذلك الخديعة، وهي محرمة شرعاً، ولكن اثبات ذلك امام القضاء صعب، اذ لا يدري عن الرغبة في السلعة الا الله تعالى، ولذا لا يتدخل القاضي، لكن خطر النجش ليس بالعظيم اذ يمكن للمشتري بما يملك من الحواس ان يعرف هل البضاعة تساوي الثمن ام لا؟

ومن هذا الباب ايضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يبع احدكم على بيع اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه)) (٢). وهو ان يقول الرجل للمشتري افسخ صفقتك مع فلان وانا ابيعك بأرخص، والفسخ جائز اذا توفرت الشروط، لكن هنا فيه افساد لصفقة الاول ولذا كان حراماً شرعاً، غير ان اثبات التواطؤ بين البائع والمشتري صعب، فكان النهي عن البيع على البيع من باب الاخلاق.

والخطبة على خطبة الغير حرام (وهو أن يتقدم الرجل لخطبة الفتاة بعد ان تخطب لغيره وقبل العقد، لما في هذا من اضرار بالخاطب الاول، مع أن فسخ الخطبة جائز، لكن كيف يثبت الخاطب الاول افساد الثاني عليه، وأن فسخ خطبته من قبل المرأة أو أهلها، كان بسببه فبقي الامر اخلاقياً.

ويتبدل الامر في بعض المواقف فيصبح الامر الاخلاقي ملزماً امام القضاء، ومن امثلة ذلك مايلي:

١ - المرأة المعتدة من طلاق او وفاة لا يجوز لها ان تتزوج ما لم تمض العدة، وبناء على ذلك لو خطبها رجل لما جاز له ان يعقد عليها الا بعد مضي عدتها، لكن خطبتها في هذه الفترة يمس شعور اهل الميت وشعور المطلق، ولذا جعل الشرع التصريح بخطبتها في هذه الفترة حراماً يؤدب القاضي من يرتكبه، اما اذا كان الطلاق رجعياً فالامر اخطر ولذا يحرم التلميح فضلاً عن التصريح.

---

(١) متفق عليه ، (٢) متفق عليه.

٢ • المنطق الفقهي يقتضي انه يجوز للانسان ان يشتري الشيء الزهيد بالمال الكثير سيما اذا كان يتوخى به الربح، ثم ان التجارة تحتمل الربح والخسارة هذا هو شأن كل المعاملات، وبناء على ذلك لامانع ان يشتري الانسان ثمار البساتين وان كانت لم تنضج بعد، لكن نظراً الى ان المحاصيل قبل النضج تكون معرضة للآفات فانها اذا بيعت ثم اصابتها آفة يكون المشتري قد باء بخسارة فادحة، وصاحب البستان قد اخذ مال صاحبه دون ان يقدم اليه شيئاً، ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع (١). فلو بيع الثمر قبل بدء نضجه كان البيع باطلاً.

٣ • من المقرر فقهاً ان الزوجة التي ترث هي التي مات زوجها وهي في عصمته، اما البائن فلا ترث، ومقتضى هذا ان الرجل لو طلق زوجته ثلاثاً ثم مات لا ترث لانها بائن، غير ان الفقهاء لاحظوا ملاحظة اخلاقية، وهي ان الرجل قد يطلق زوجته عمداً ليحرمها من الميراث، وفي هذا من عدم الوفاء ما فيه، ولذلك قرروا ان الرجل اذا طلق زوجته في مرض الموت ثلاثاً ثم مات وهي في العدة فلها حصتها من الميراث، لأن الغالب في هذه الحال ان الباعث على الطلاق قصد شيء فعوقب بعكس ما قصد.

هذه الامثلة وغيرها في الفقه الاسلامي كثيرة تثبت ان الشرع الاسلامي يراعي الاخلاق في احكامه، فيمنع التعسف في استعمال الحق، وهي نظرية قانونية حديثة عند الغربيين سبقهم اليها الاسلام بقرون، لانه تنزيل العليم الخبير.

وبعد فان تدخل الاخلاق في الحقوق سواء اكانت مرشدة ام ملزمة امر ضروري لاحقاق الحق وابطال الباطل، وتنظيف القلوب من الاحقاد والضغائن التي تنشأ عندما يعجز الخصم عن اثبات حقه امام القضاء وهو يعلم انه محق، بل يصل الامر الى ابعد من ذلك.فالوازع الديني الاخلاقي يدفع الشخص للتنازل عن بعض حقه او كله حتى لا يخسر مودة اخيه، وهذا لا يعني دفع الخصومة فقط، بل تأكيد المحبة والمودة بين افراد المجتمع، وهكذا نرى ان احكام الاسلام العادلة واخلاقه السامية تتعاونان لايجاد المجتمع المتحاب المتآخي في الله.

ان تشابك الحقوق يشبه تشابك قطع الآلات، وهذه مهما كانت دقيقة محكمة لابد ان تتآكل بسبب الاحتكاك، ولا بد من وضع الزيت ليسهل الحركة ويمنع الاحتكاك والتآكل، وهكذا الاخلاق لابد منها للمجتمع حتى لا يحتك افراده احتكاكاً يؤدي الى التخاصم والعداوة وهو ما نلاحظه في كل مجتمع ابتعد عن الاخلاق، فاين مجتمع اليوم الذي تغص محاكمه بالقضايا والخصوم، ويجتهد كل خصم في كسب القضية ولو كان يعلم انه مبطل من مجتمع تمضي الايام فلا ترفع الى القاضي فيها قضية، لقد عرف كل واحد منهم ما عليه فأداه خوفاً من الله تعالى وتجنباً لعقوبته وتحاشياً من ان يجرح غيره بكلمة او يهضم حقه بلمزة فكانوا اخوة بكل معنى الكلمة.

---

(١) متفق عليه.

النظـــــام

من يطالع كتاباً من كتب الفلك ويطلع على الارقام الهائلة التي تقدر بها عدد الاجـرام الدائـرة في الفضاء، والارقام الهائلة التي تقدر ضخامة هذه الاجرام وسرعتها وبعدها، يشعر ان هذه الكرة الارضية التي نعيش عليها انما هي ذرة صغيرة في هذا الفضاء الهائل، ولا بد ان يقفز الـى ذهنـه سؤال: ماذا يحدث لو اصطدم نجـم بـآخر!؟ سيما وان بعضـها لـه اذنـاب تسير خلفه؟ ولا بـد ان يتملكه الفزع وهو يتصور ذلك، ثم تعاوده الطمأنينة عندما يعلم انها مقيدة بنظام لا تخرج عليه ولا تستطيع مخالفته.

وعندما تقرأ كتاباً آخر يتحـدث عـن الخلايـا التـي يتكـون منهـا جسـمك، وعـن وظـائف هـذه الخلايا تشعر بالقشعريرة وانت تتصـور خليـة تتلكـأ فـي واجبهـا او غـدة تتعـدى حدودهـا، ولكنـك تطمئن عندما تعلم انها مقيدة بنظام لا تخالفه.

وهكذا تجد وانت تفكر في ملكوت السموات والارض ان كل جـزء فيـه منظـم ومرغـم علـى اتباع ذلك النظام، ولولا ارغامها على اتباع النظام لأدت المخالفة الى الدمار، ولكن خـالق الاشـياء اراد لها البقاء الى اجل مسمى فارغمها على اتباع النظام الذي وضعه لها.

ونعود بعد ذلك الى هذا المخلوق المكرم (الانسان) واذا بقدرة اللـه تعـالى قـد نظمـت حياتـه ايضاً، فحركة الدم والتنفس والغذاء والنمو كلها منظمة تنظيماً لا يملك الانسـان ان يخالفـه، ولكنـه اعطي جزءاً ضئيلاً من الحرية، اذ رسم الله له نظاماً لتعامله مع أخيه الانسـان ولـم يرغمـه عليـه بل جعل لـه حريـة الاتبـاع وعدمـه، وجهزه بعقـل يستطيع ادراك عـواقب الامـور، ووهبـه العلـم ليستفيد من تجارب المـاضين، والآخرين، ووعـده جـزاء حسـناً عـاجلاً ان هـو اتبـع هـذا النظـام؛ والجزاء هو السعادة وعدم الاضطراب في الحياة الدنيا ثم النعيم في الآخرة.

وهدده بالعقوبة العاجلة ان خالف، والعقوبة هي الشقاء والاضطراب في الدنيا ثم العذاب فـي الآخرة.

وزاد في اكرامه اذ سمح له ان ينظم بعض شؤونه الدنيوية على سمت القواعد الاساسية التي وضعها له.

فماذا فعل الانسان؟ اما طائفة فاتبعوا نظام الله، ورتبوا أمـور حيـاتهم مـن روح ذلـك النظـام فسعدوا اذ تعاونوا وتحابوا ولم يصطدموا.

واما طائفة اخرى فخالفوا شريعة الله في اصولها وفروعها، وظنوا انهم قادرون على تنظيـم كـل شـؤونهم، فـارتطموا بالنتـائج السيئة المحزنـة، وشـقوا اذ تنافسـوا وتقـاتلوا فيمـا بينهـم، وان استقامت بعـض امورهـم اذ الـتزموا فيهـا بنظـام وضعـوه متـأثرين بنظـام اللـه وهـم لا يشـعرون،

كالتزام الصدق، والوفاء بالوعد وعدم الغش، لكن حياتهم تموج بالشقاء بسبب المخالفات الاخرى لشريعة الله.

ونحن امة قد اخترنا طريق الله ونظامه وسرنا عليه ولن نستبدل به غيره، ونريد هنا ان نتحدث عن اهتمام الاسلام بتطبيق انظمته، والانظمة التي يضعها ولاة الامور بهدي منه:-

١ . يبين الاسلام ان اتباع تعاليمه يكفل سعادة الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿**ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم**﴾.(١) وأكد ان كل من ترك نظام الله لابد ان يتعثر، قال الله تعالى: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى**﴾.(٢) وقال الله تعالى: ﴿**ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**﴾.(٣) ومعنى ذلك ان كل خطوة على هذا النظام تعني التوفيق في الدنيا والآخرة.

٢ . ان المخالفة مهما كانت صغيرة لابد لها من عقاب، الا ان يتجاوز الله تعالى عنها قال عز وجل: ﴿**أولما أصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير**﴾.(٤) وقال الله تعالى: ﴿**وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير**﴾.(٥)

٣ . كل تصرف خالف النظام فهو باطل اي لا تعترف الشريعة بما رتب عليه صاحبه من نتائج، فمن باع خمراً وقبض ثمنه فبيعه باطل ولا يستحق ما قبضه من ثمن.

٤ . كل خروج على النظام تقابله عقوبة رادعة مناسبة يوقعها ولاة الامور.

٥ . المخالفات الصغيرة للنظام، والمخالفات الخفية التي يصعب اثباتها امام القضاء يعاقب عليها الله تعالى في الآخرة، الا ان يتوب صاحبها، ويعاقب عليها المجتمع بازدرائه لصاحبها، قال عليه الصلاة والسلام: ((تقربوا الى الله ببغض أهل المعاصي والقوهم بوجوه مكفهرة))(٦).

٦ . كل نظام يصدره ولي الأمر لا يتعارض مع امر الله تجب طاعته كما يطاع امر الشرع ولولي الأمر معاقبة المخالف.

٧ . التربية العملية على اتباع النظام، فالطعام له نظام والدخول والخروج لهما نظام، والحديث مع الآخرين وحتى قضاء الحاجة بنظام.

٨ . العبادات تعلم النظام، فالصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد لها انظمة دقيقة لابد من اتباعها من اجل ان تقبل.

٩ . ويظهر مدى اهتمام الاسلام بالنظام في امور العبادات، فالحاج ان تقدم أو تأخر عن وقت الوقوف بعرفه لا حج له مهما بلغ به تعب السفر، والصائم ان تقدم افطاره عن الوقت المحدد

---

(١) الاسراء : ٩ ، (٢) طه : ١٢٤ ، (٣) الكهف : ٢٨ ، (٤) آل عمران : ١٦٥ ، (٥) الشورى : ٣٠.

(٦) رواه ابن شاهين ،

لا صوم له ولا اعتبار لجوعه، والصلاة ان لم يطبق نظامها كانت حركات لا اجر عليها وهكذا.

١٠. كل واحد في المجتمع حارس للنظام يحض على اتباعه وينهى عن مخالفته، وهذا ما يسمى بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١١. يثاب من يطبق النظام ويتمشى بموجبه، ومن يحث الناس على اتباعه قال صلى الله عليه وسلم (من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة).(١)

١٢. المخالف يتحمل مسؤولية كل من يتبعه قال صلى الله عليه وسلم: ((ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة))(٢) ولذا فالاولى ان يتكتم المخالف ان غلبته نفسه على المخالفة قال صلى الله عليه وسلم: ((كل امتي معافى الا المجاهرين))(٣).

١٣. سقوط عدالة من كثرت مخالفته فلا تقبل شهادته امام القضاء ولا غيره.

١٤. عدم أهليته لمصاهرة المحافظين على النظام.

١٥. يفقد المخالف أهلية تولي أمور الناس.

لقد كانت هذه الاحكام سبباً في تمسك اسلافنا بالانظمة تمسكاً منقطع النظير، وتصور امة تتبع كلها نظاماً واحداً في كل شأن من شؤونها، فكل يوم يجتمعون خمس مرات بنظام للصلاة ويتفرقون بنظام، وتأمل جماهير المصلين يوم الجمعة وهم ينصتون الى الخطيب ثم يكبرون اذا كبر ويركعون اذا ركع ويسجدون اذا سجد، وتأمل المسلم وهو يدخل المسجد برجله اليمنى ويخرج باليسرى، ويأكل باليمنى ويميط الاذى باليسرى لتعلم ان في هذه العبادات تربية عملية وتدريب مستمر على اتباع النظام.

ولو قرأت في كتب الآداب الاسلامية لوجدتها تنظم تصرفات المسلم منذ ان يستيقظ حتى ينام، وان احدنا ليسأل نفسه بعد ذلك من اين دبت الينا هذه الفوضى، حتى استفحل امرها، فلا يكاد نظام يتبع ولا قانون يطبق، فالنظام يخرق والقانون يتحايل عليه.

في اعتقادي ان سبب ذلك يرجع الى شيء واحد هو منبع كل علة نعاني منها الا وهو البعد عن الاسلام الذي جرنا اليه أعداء هذه الامة، والذي استتبع الامور التالية:-

١. اختفاء الامر بالمعروف بسبب الفهم الخاطئ للحرية، اذ اصبح معناها انه لا يحق لأحد الاعتراض على غيره بل هذه وظيفة الدولة فقط، مع ان الله تعالى يأمر كل واحد بأداء هذا الواجب قال الله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾.(٤)

---

(١) رواه مسلم، (٢) رواه مسلم، (٣) متفق عليه. (٤) آل عمران: ١١٠.

٢ • قلة الوازع الديني، النابع من الشعور بمراقبة الله تعالى، نتيجة للاسلوب التربوي الذي ينشأ عليه الصغير، والذي يتلخص بأن النافع ما حقق كسباً مادياً والضار ما ادى الى خسارة مادية، ونتيجة للافكار الكافرة التي تسربت الى اذهان البعض، فأصبح الواحد يبحث عما ينفعه ولو حطم في سبيل ذلك كل نظام.

٣ • القصص والافلام والروايات التي تنسب البطولات الى المتمردين على القانون والمعادين له وتبرزهم بصورة تحمل المشاهد على تقاليدهم، حتى يظن المرء ان البلاد الراقية التي صيغت فيها هذه الصور تقوم على هذا النمط من السلوك، مع ان هذا خطأ إذ فيها التمسك بالنظام اكثر من الخروج عليه.

٤ • عودة بعض المفاهيم الجاهلية التي تجعل القانون والنظام وقفاً على الضعيف اما صاحب السلطة والهيبة فلا يحده قانون، وبعبارة اخرى تقيس عظمة الشخص وسعة حيلته بمقدار مخالفته للقانون وتحديه للنظام، وهكذا يتبارى الناس ويتباهون في تخطي حدود القانون والقفز عن اسلاك النظام.

٥ • ومن مفاهيم الجاهلية المحسوبية، التي تعاقب المخالف ان كان ضعيفاً وتتركه بل تلتمس له الاعذار ان كان قوياً وصدق ابو القاسم صلى الله عليه وسلم عندما قال: ((انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد)).(١)

٦ • **الانانية** : فالاناني تهمه مصلحته فقط، فيسلك لبلوغها كل سبيل ولو اضر بغيره ويريد من الناس ان يقدروا ظروفه، اما هو فلا يقدر ظروف الناس، وهذه حاربها الاسلام بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه)).(٢)

٧ • على الرغم من شعور الناس بضرر الفوضى فهم يحبون ان يتبعوا النظام، لكن بعد ان يبدأ غيرهم فكل ينتظر الآخر، ولو بدأ كل بنفسه لقل عدد المخالفين حتى اصبحوا شذاذاً في المجتمع فيرغمون على اتباع النظام.

ومن هذا يتبين ان الفوضى جاءتنا من جاهليتنا، فاذا اردنا القضاء عليها فلنرجع الى اسلامنا نطبقه كله، وهذا أمر لا نختلف عليه، لكن من يبدأ؟ الكل يجب ان يبدأ بنفسه فيحملها على اتباع تعاليم الله ونظامه المستقيم، فالقدوة الحسنة اهم شيء في الاصلاح فليكن كل واحد قدوة لغيره، سيما اذا كان هو الذي اصدر الامر.

ويتبين ايضاً مما سبق ان النظام ليس الاصطفاف في شراء الخبز وركوب الباص فقط، بل هو في الاسلام خطة شاملة لكل تصرفات الانسان.

---

(١) متفق عليه ، (٢) متفق عليه.

الأمـر بالمعـروف والنهـي عن المنكـر

المعروف : كل ما أمر بـه الشـر ع من فروض وسنن وآداب.

والمنكـر : كل ما نهى عنه الشر ع من حرام أو مكروه أو مخالفة للآداب.

وقد أمرنا الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: **﴿ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾**.(١)

وذلك لأن مخالفة الشرع اذا سكت عليها وتعارفها المجتمع اصبحت عادة يصعب انتزاعها فيما بعد ولذا وجب اجتناب الفساد من بداية ظهوره، وكذلك أوامر الشرع اذا تركت فترة اصبحت غريبة على الناس حتى لو دعا اليها احد فيما بعد استهجن كلامه. ولذا وجب ايجاده في المجتمع حتى يعتاده الكبير وينشأ عليه الصغير، وهذا الواجب لا يختص به أحد بل هو واجب كل فرد في المجتمع بحسب استطاعته وامكانه، فان سكتوا وقصروا في واجبهم حتى غدا المعروف منكراً والمنكر معروفاً فقد احلوا بانفسهم عذاب الله وغضبه، قال عليه الصلاة والسلام: ((كيف بكم اذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم، قالوا: يا رسول الله وان ذلك لكائن؟ قال نعم واشد، كيف بكم اذا لم تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر قالوا: يا رسول الله وان ذلك لكائن؟ قال نعم واشد، كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قالوا يا رسول الله وان ذلك لكائن؟ قال نعم واشد كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكراً، والمنكر معروفاً)).(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم: ((يا أيها الناس ان الله تعالى يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا استجيب لكم وتسألوا فلا أعطيكم وتستنصروا فلا أنصركم)).(٣)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ثلاثة طرق قال عليه الصلاة والسلام: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان)).(٤)

اما تغيير المنكر باليد فذلك في كل موطن تستطيع به ازالة المنكر باليد خصوصاً بين من هم تحت امرتك كعيالك، ورعيتك، وجنودك...الخ.

وأما التغيير باللسان فحيث لا يمكن ازالته باليد فعندئذ يكتفى باللسان، وأما تغيير المنكر بالقلب فذلك عندما يخشى انسان على نفسه ان جهر بلسانه ولا يستطيع التحمل فيكفي ان يقول بقلبه اللهم ان هذا منكر لا أرضى به ولا أقدر على تغييره وقول النبي صلى الله عليه وسلم: وذلك اضعف الايمان، يفهم منه ان المسلم اذا وصل الى حالة لا ينكر فيها المنكر حتى ولا بقلبه فقد انتهى ايمانه أو يكاد.

---

(١) آل عمران : ١٠٤ ، (٢) اخرجه ابن ابي الدنيا ، (٣) اخرجه احمد ، (٤) رواه مسلم.

وعلى الآمر بالمعروف أو الناهي عن المنكر ان يتقيد بالآداب التالية:-

١ • ان يكون هو أول من يفعل المعروف ويترك المنكر، والا فلن يكون كلامه عند الناس مقبولاً قال الله تعالى ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾.(١)

كما ان العاصي ايضاً عليه ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لأن الله أمره بترك المنكر، وبالنهي عنه، فاذا قصر في واحدة فلا يقصر في الثانية.

٢ • ان يعد نفسه لتلقي الصدمات لأن المنكرات غالية على اصحابها ولا يمكن نزعها منهم بسهولة، ولذا لابد أن يؤذوا كل من يحاول التفريق بينهم وبينها، فقد قال تعالى فيما يحكيه عن لقمان: ﴿**يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور**﴾.(٢) وهذا ما لقيه الانبياء عليهم السلام من اقوامهم، وصبروا حتى نصرهم الله تعالى.

٣ • ان يكون لطيفاً حسن الاسلوب، لا يجرح الاشخاص ولا يشهر بهم، لأن قصده اخراج الناس من مخالفة الله ومعصيته، لالإيذاؤهم واحراجهم، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه ان احداً عمل مخالفة أو قصر في واجب قال: ما بال اقوام يفعلون كذا، بلا تسمية ولا تعيين.

٤ • ان لا يتجسس على الناس ليعرف اعمالهم الداخلية، فنحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر، والمنكر اذا كان خفياً ضر صاحبه فقط، واذا ظهر ضر المجتمع فوجبت مكافحته عند الظهور، ونهي الناس عنه بشكل عام ان كان خفياً، وقد نهى الله تعالى عن التجسس فقال: ﴿**ولا تجسسوا**﴾.(٣)

٥ • ان يبين للناس المعروف قبل امرهم به، والمنكر قبل نهيهم عنه، فقد يكون فيهم الجاهل بالحكم الشرعي.

٦ • ان لا ينهى شخصاً عن منكر الا بعد تأكده من وقوع ذلك الشخص في ذلك المنكر، وعليه أن يحسن الظن بالمسلمين.

٧ • ان يكون قصده وجه الله تعالى ليعينه الله على مهمته، وينفع به الامة، ويرزقه القبول، فان ما كان لله فهو المتصل وما كان لغيره فهو المنقطع.

---

(١) البقرة : ٤٤ ، (٢) لقمان : ١٧. (٣) الحجرات : ١٢

مواضيع عامة

في هذا القسم نتحدث عن بعض المواضيع التي ينبغي للمسلم وغيره أن يعرفها على وجهها الصحيح، لأن البعض أساء فهمها والبعض حاول الاساءة الى الاسلام من خلال عرضها بصورة مشوهة، وكثيراً ما يدور الحديث عنها بين الناس.

الاستشراق والمستشرقون

الاستشراق : هو تخصص غير الشرقيين في دراسة ثقافة الشرق وشؤونه، واحوال أممه وعاداتهم، ودياناتهم وعلومهم.

والمستشرقون : هم من تخصصوا بتلك الدراسة من غير ابناء الشرق.

ومن الضروري التعرض لهذا الموضوع لأن كثيراً من أبنائنا خدعوا ببحوث المستشرقين واعتقدوا ان لهم مقدرة علمية خاصة، وانهم متجردون للحق لا يبحثون عن غيره، ولا يدفعهم سواه، فجروا وراء آرائهم ينقلونها كما هي، ومنهم من يفاخر بأخذ هذه الافكار والآراء، ولا بد من معرفة الصورة الصحيحة لهم حتى نقف الموقف الصحيح من آرائهم، والذي يهمنا من بحوثهم ما يتعلق بالاسلام.

ومن أجل تقييم آرائهم والحكم عليها لابد ان نضع أمامنا الحقائق التالية:

١ . **ما هي نظرة الاسلام إليهم؟**

ان الاسلام يعلن بصراحة أن كل من لم يؤمن به كافر قال الله تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾.(١) وذلك لأن الاسلام حق، وهو قادر على اثبات ذلك بالحجة فمن خالف الحق كان على باطل، وكل المستشرقين ليسوا مسلمين، فاذا كان اصحاب المعاصي لا يقبل اجتهادهم ولا تقبل رواياتهم ودراساتهم في الاسلام فما القول في دراسات واجتهادات الكافرين؟ ثم ماذا سيكون موقفهم من دين يصمهم صراحة بالكفر؟! ان هذه حقيقة تجعل صدورهم تمتلئ حقداً وكرهاً، اما من اسلم منهم بصدق فلا يسمى مستشرقاً، بل هو مسلم له مالنا وعليه ما علينا بحسب كفاءته العلمية.

(١) آل عمران : ٨٥.

٢ • **ماهي نظرتهم الى الاسلام؟**

ان المستشرقين اما اصحاب ديانات غير اسلامية واما ملحدون، وكلا الفئتين لا تؤمن بالاسلام ولا بنبي الاسلام، اما الملحدون فهم لا يؤمنون بالله تعالى، فضلاً عن الايمان بالرسل، وأما اصحاب الديانات الاخرى فان ايمانهم بالاسلام يعني تركهم لعقائدهم الحاضرة كالتثليث والصلب وان عيسى والعزير ابناء الله، ولذلك فان المستشرقين ينظرون الى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على انه رجل ذكي استطاع ان ينقذ امته، ومصلح اجتماعي قضى على الفساد في مجتمعه، هذا في نظر المعتدلين منهم، ولا تسل عما يقوله الحاقدون وهم الاغلبية، وعلى اي حال فهو في نظرهم غير صادق في دعوى النبوة والوحي (فخابوا وخسروا ولعنة الله على الكافرين).

وبالتالي فهو عندهم غير معصوم من الخطأ ويجب ان يناقش في كل شيء. وأي عاقل يقبل بحث رجل في الاسلام وهو يكذب نبي الاسلام؟!

٣ • ويتبع النقطة السابقة انهم يرون المسلمين كفاراً وكذا كل من لا يدين بدينهم، فهم يدعونهم الى دينهم، وهذه على الاقل نظرة المتدينين منهم، الجاهلين منهم بحقيقة الاسلام، اما الذين يعرفون الاسلام على حقيقته (ولا يمنعهم من اتباعه الا الحقد)، فانهم يرون ان الاسلام عقبة كؤود في طريقهم وخصم شديد في وجوههم، واسد هصور يحمي اشباله. بل هو الحق الذي يفضح الباطل، والنور الذي يبدد الظلام، فلا سبيل للوصول الى الشعوب الاسلامية الا بعد ازاحة الاسلام، وكلا الطائفتين متفقتان على انه لابد من سلخ المسلمين من دينهم، وابدالهم به ديناً آخر، وهذا هو التبشير، الذي سلك الى ذلك سبيل التعليم، والتطبيب والمشاريع الخيرية، وبعد جهد شاق وتجارب متعددة ادركوا انه لا يمكن ان يتحول المسلم الى دين آخر، فسلكوا اسلوباً آخر اذ صار هدفهم ان يخرج المسلم من دينه ولو الى غير دين، فظهرت حملة من التشكيك واثارة الاسئلة حول مواضيع معينة لا تخدم ديناً آخر، ولكنها تزعزع الثقة بالاسلام وكفى ولقد أسهم المستشرقون في ذلك أيما اسهام.

٤ • يجب ان لا ننسى التاريخ الماضي بين الاسلام وأمم المستشرقين: لقد مضت قرون طويلة كان الاسلام فيها الغالب وامته هي الاولى في العالم، وكم انتزع من يد خصومه اراضي وشعوباً، ويكفي انه احتل وما زال القسطنطينية العاصمة الشرقية لأوروبا.

يجب ان لا ننسى الحروب الصليبية وصناديد اوروبا تتهاوى امام قبضات الرجال من هذه الامة، وقادتهم في الاسر والاغلال، ولم تغب عن نظر مؤرخيهم سفن الصليبيين راجعة بالهزيمة والعار.

يجب ان لا ننسى خيبر واجلاء اليهود من أرض العرب.

انه تاريخ طويل لم تجف دماء فيه بعد، أمس قال غورو وهو يدخل دمشق: لقد عدنا يا صلاح الدين، وقال ألنبي وهو يدخل فلسطين: الآن انتهت الحروب الصليبية، قوم لم تجف سيوفنا من دمائهم، ولم تجف سيوفهم من دمائنا، كيف نقبل شهادتهم في ديننا، ورجالنا، وتاريخنا، وامجادنا، مهما تظاهروا بالنزاهة ونشدان الحق.

٥ • لقد رأينا اندحارهم امامنا في الصدام المسلح وخيبتهم في الغزو العسكري، ولكن مطامعهم في بلادنا لم تنته، ذلك ما يؤكده الله تعالى اذ يقول: **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا﴾**.(١) وتؤكده تصريحات كبارهم ورجالاتهم، واذا كان اسلوب القوة قد فشل، فلا بد من اسلوب الغزو الثقافي الذي يحاول سلخ الامة من ثقافتها ليسهل ابتلاعها بعد ذلك، ومن هنا يجب ان ننظر الى بحوثهم على انها عمليات حربية، يجب ان تقابل بالوقاية والحذر والخطط المعاكسة.

٦ • ويجب ان لاننسى ايضاً استخفاف الغرب بالشرق، فهو في نظرهم بلاد السحر، والخيال، والخرافات، والاوهام، واني ينصف الاسلام من ينظر الى بلاده هذه النظرة؟!

٧ • ان للمستشرقين صلة وثيقة بالاستعمار، فأوروبا التي ازدهرت صناعتها في القرن الثامن عشر كان لابد لها من البحث عن اسواق للمنتوجات، وعن مصادر للمواد الخام، ولهذا كان الاستعمار الذي ابتدأ بعلاقات تجارية وانتهى الى احتلال عسكري، ولكن التعامل مع الشعوب المستعمرة او المنوي استعمارها لابد له من معرفة تامة بعادات وثقافة واخلاق هذه الشعوب، وهذا ما قام به المستشرقون، لقد درسوا احوال شعوب الشرق وقدموا نتيجة هذه الدراسة الى رواد الاستعمار.

درسوا الشرق ليخضعوه لا ليستفيدوا من علومه ومعارفه، ومعنى هذا ان يطمسوا كل فضيلة ويشوهوا كل مكرمة في الشرق، حتى يعافه أبناؤه، ومقابل ذلك يحسنون ويثنون على كل غربي، ليصرفوا اليه الوجوه ويبهروا به الانظار، واذا كره الانسان ما عنده، وأحب ما عند غيره من ثقافة ومقومات للحياة، فقد اندمج به وتبعه شاء أم أبى، وأبسط مثال على تقبيحهم لحسنات الشرق وتحسينهم لقبائح الغرب أنهم يعدون العفة الزوجية في الشرق، والتي يتميز بها الانسان عن البهائم يعدونها سذاجة وبدائية، ويعدون الخيانة الزوجية، والاباحية الجنسية في الغرب تقدمية وحضارة، مع انها من شأن الحيوانات فضلا عن الانسان الهمجي.

بعد هذه الحقائق لا يبقى حاجة للتدليل على سوء نية المستشرقين ووجوب رفض آرائهم في الاسلام وحضارته ورجاله، ومع ذلك نريد ان نعرض نماذج تظهر أنهم لم يسلكوا في بحثهم الاسلوب الصحيح، بل سلكوا أساليب غير علمية للوصول الى هدفهم، وهو الطعن في هذا الدين.

---

(١) البقرة : ٢١٧.

فهم مثلا يتحكمون في المصادر التي ينقلون منها. فهم ينقلون من كتب الادب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكموا به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيوان، ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ، مع ان كتب الأدب لا تهتم بسند القصة وصحتها بمقدار ما تهتم بطرافتها ومعناها، ذلك لانها ما ألفت ليرجع اليها في الحلال والحرام، ولا في الحكم على الاشخاص، فالحكم على الرجل يرجع فيه الى كتب التراجم المنقحة الصحيحة التي تعتبر سجل احوال صادق لكل من ذكر فيها، والحلال والحرام يرجع فيه الى كتب السنة واجتهاد أهل الاجتهاد حولها، ولكن المستشرقين ارادوا بذلك الوصول الى غايتهم في الطعن، ومن هنا جاء تشويههم لسيرة هارون الرشيد الذي أسر ملك الروم والذي كان يحج عاماً ويخرج عاماً للجهاد.

وعلى وجه العموم فان ابحاث المستشرقين تتسم بالسمات التالية:-

١ • سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالاسلام في اهدافه ومقاصده، وذلك راجع الى عدم اعتقادهم بنبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

٢ • سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم ليفتحوا بذلك باب الطعن في الاسلام نفسه.

٣ • تصوير المجتمع الاسلامي في مختلف العصور وخاصة العصر الاول الذي هو القدوة للأمة بمجتمع متفكك تقتل الانانية رجاله وعظماءه، وابراز الحروب والفتن التي نشبت بين المسلمين والتي لا تخلو منها امة، ليقولوا بعد ذلك ان الاسلام لم يطبق الا في زمن محدد، ويغفلون الجوانب المضيئة من حياة المسلمين في الحرب والسلم، والعدل والاخلاق والحضارة والعمران، والحكم والشورى، وغيرها والتي ما زالت قمماً لم ترق اليها امة بعدهم ولا قبلهم.

٤ • تصوير الحضارة الاسلامية تصويراً دون الواقع بكثير تهوينا لشأنها واحتقاراً لاثارها فقد جعلوا المسلمين ناقلين للحضارات السابقة، مع ان كل منصف يعرف ما للمسلمين من ابتكارات وتصحيحات في كل فرع من فروع العلم.

٥ • الجهل بطبيعة المجتمع الاسلامي، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون، من اخلاق شعوبهم وعاداتهم، فهم يفسرون كل شيء في المجتمع الاسلامي تفسيراً مادياً، مغفلين الاثر الروحي للاسلام في حياة اتباعه.

٦ • اخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من نصوص.

٧ • تحريفهم النصوص في كثير من الاحيان تحريفاً مقصوداً، واساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف.

وماذا يتوقع غير ذلك من كافر حقود، وليس العجب مما فعلوا، انما العجب ممن يخون امته وينقلب عليها في صف اعدائها.

بقي القول ان هناك جانباً آخر من ابحاث المستشرقين ليس فيها اجتهاد ولا دراسة، بل مجرد النقل وذلك في مجال تحقيق المخطوطات، وفهرسة بعض الكتب، فهذه وان كان لا مجال فيها للاجتهاد الا إن على المسلمين ان لا يكتفوا وان لا يسلموا بما حققه غيرهم، بل تجب مراجعته فلعل السم في الدسم، ومن الملاحظ انهم في هذا المجال احيوا كتباً، واشهروا اشخاصاً لأن لهم آراءاً شاذة توافق أهواءهم، مع علماء الامة حكموا سابقاً على أمثال هذه الكتب وهؤلاء الرجال.

ولقد ساعدهم تشجيع حكوماتهم، ووفرة المصادر بين ايديهم، وتفرغهم للدراسة، واختصاص كل واحد منهم بفن، او ناحية من نواحي ذلك الفن، يفرغ له جهده في حياته كلها، ساعدهم ذلك كله على ان يصبغوا بحوثهم بصبغة علمية، وان يحيطوا بثروة من الكتب والنصوص لم يحط به كثير من علمائنا اليوم، الذين يعيشون في مجتمع مضطرب في سياسته وثروته واوضاعه، فلا يجدون متسعاً للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون، فالعالم المسلم مشغول بالفتوى بما يجد من امور، والاهتمام بشؤون امته، والدفاع ضد الطاعنين في الدين، ودعوة أبناء الاسلام الى الاسلام والله المستعان.

وفي الختام نشير لأولئك المستشرقين الذين لم يستطيعوا جحود الحق طويلاً، ولا مكابرة الواقع الملموس، فدخلوا في الاسلام بعد ان بهرتهم انواره، وصاروا يدافعون عن الاسلام، ويلفتون انظار المسلمين الى عظمة الاسلام من خلال امور الفها المسلمون ورأوها عادية، لقد قال بعضهم بعد ان اسلم حاربت القرآن عشرين عاماً ثم غلبني.

أما الذين يعرفون الحق ويغمضون اعينهم عنه فعنهم قال الله تعالى: **﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار﴾**.(١)

---

(١) البقرة ١٧٥.

عداوة اليهود للاسلام ونبيه

يزعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وانهم أفضل من سائر البشر، وان عداهم اشبه بدواب خلقت لتخدم الشعب المختار، فهم يحقدون على الناس ويتربصون الفرص للسيطرة عليهم، وهم اعداء للبشرية، يحاولون ضرب كل حركة خيرة تظهر عند غيرهم، وينكرون كل فضل يسبغه الله على سواهم، من أجل ان يتفردوا هم بهذه الفضائل والخصائص، ومن أجل هذا عادوا الاسلام ونبيه منذ بزغت شمس الاسلام، ولكن الله جعل كيدهم في نحرهم واظهر دينه واعز نبيه.

لقد كان اليهود قبل ظهور الاسلام يتوقعون أن يظهر نبي من جزيرة العرب، اخبرتهم عنه كتبهم ونعتته لهم، وكانوا يقولون للعرب: لقد أظل زمان نبي يخرج فنقتلكم معه قتل عاد وارم، لكن عندما بعث النبي المنتظر حسدوه وكذبوه وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن فقال: **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾**.(١) ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة، وكانوا هم بجوارها، أراد ان يتألفهم لعلهم ان يستجيبوا لدعوته ويدخلوا في الاسلام، فعقد معهم معاهدة عدم اعتداء، وان يدافعوا جميعاً عن المدينة ان داهمهم فيها عدو، واخذ يبين لهم ما حرفوه وغيروه في كتبهم، ونزل القرآن مؤكداً ان الاسلام مصدق لما بين يديه من الرسالات، ومصحح لما ادخله عليها البشر من انحرافات، واستجاب لذلك بعض علماء اليهود، فدخلوا في الاسلام صادقين منهم عبدالله بن سلام، واما الباقي فاصروا على كفرهم وعنادهم، مع أنهم يعرفون أن محمداً رسول الله، كما يعرفون أبناءهم ولم ينفع معهم اللطف والاحسان، ومتى كان الاحسان الى العقرب ينفع؟

تركهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقبل ظاهرهم ولم يحاسبهم على ما في قلوبهم ولكنه كان حذراً منهم، ولقد سلكوا سبلاً شيطانية في مقاومة الاسلام فمرة كانوا يقولون: **﴿أمنوا بالذي انزل على الذين أمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾**،(٢) ومرة يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم أو يبعثون من يسأله عن أمور غيبية مذكورة في كتبهم، فيجيبهم عليه السلام، ومرة يقولون لعبدة الاصنام دينكم خير من دين محمد، وهم يعلمون ان هذا كذب، واخرى يحاولون تفريق صفوف الانصار بتذكيرهم بحروبهم في الجاهلية، وكان يساعدهم في ذلك اخوانهم المنافقون العرب. ولم تقتصر عداوتهم على الكلام بل بدأ منهم العدوان بالفعل، فنقضوا عهودهم وظهرت نياتهم.

---

(١) البقرة : ٨٩ ، (٢) آل عمران : ٧٢.

وكانت أول القبائل غدراً قبيلة بني قينقاع، فقد ذهبت امرأة مسلمة الى سوق من اسواقهم، وبينما كانت جالسة تقدم يهودي خبيث فربط اسفل ثوبها بأعلاه، فلما قامت انكشفت ساقها فصاحت واستغاثت، وكان في السوق مسلم فلما رأى ذلك قتل اليهودي، وتكاثر اليهود على المسلم فقتلوه، ووصل الخبر الى المدينة، فجهز النبي صلى الله عليه وسلم حملة وذهب لتأديبهم، فحاصرهم، ثم صالحهم على الجلاء، فجلوا عن المدينة، وهكذا كانت العقوبة المناسبة لهذه العصبة الشريرة، اما بقية القبائل فقد سكتوا ولم يحاولوا نجدة اخوانهم.

ثم جاء دور قبيلة بني النضير، فقد ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم يستسلف منهم مالاً، فرحبوا به، ووعدوه خيراً، وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم الى جانب بيت من بيوتهم، فتآمروا عليه ليقتلوه، وأمروا رجلاً منهم ان يصعد الى البيت ثم يلقي على النبي صلى الله عليه وسلم حجرا ليقتله، ولكن عناية الله تعالى كانت تحف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد وعده ربه ان يعصمه من الناس قال تعالى: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾.(١) فنزل الوحي يخبره بما عزم عليه اليهود، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بينهم، وتوجه الى المدينة، ولم يدر الصحابة الذين معه اين ذهب ولما استبطأوا عودته قاموا يسألون عنه فاعلمهم القادمون من المدينة، انهم رأوه متوجهاً اليها فلحقوا به، واعلم الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه بالامر وعزم على قتالهم، وارسل اليهم محمد بن مسلمة يطلب منهم الجلاء عن المدينة وتهيأ القوم للرحيل لولا ان المنافقين ارسلوا اليهم يخبرونهم انهم معهم، ولذلك تأخر اليهود عن الجلاء فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما اشتد عليهم الحصار وعلموا ان المنافقين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمح لهم بالجلاء، ولهم من اموالهم ما حملت الابل إلا السلاح، فسمح لهم بذلك فخرجوا وذهب قسم منهم الى اذرعات وآخرون الى خيبر.

واراد اليهود ان يثأروا لانفسهم فتوجه جماعة منهم الى مكة، وقابلوا زعماءها وحرضوهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقوهم، ثم توجهوا الى غطفان وحرضوهم ايضاً فوافقوا، وهكذا تم الحلف من قريش، وغطفان، واليهود لقتال المسلمين، وجهزت حملة عرفت باسم الاحزاب تريد مهاجمة المسلمين في عاصمتهم المدينة، وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستشار الصحابة، وحفروا الخندق، فأتت الاحزاب ولم يستطيعوا اقتحام الخندق، فاقاموا حوله، وهنا تحرك رأس الحية الثالث بنو قريظة فانهم لما رأوا هذه الجموع نقضوا العهد، واعلنوا الحرب على المسلمين، واصبحت المدينة مطوقة من كل جانب، ولقد ذكر الله في كتابه العزيز حالة المسلمين يومئذ فقال: ﴿**إذ جاؤوكم من فوقكم، ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الابصار، وبلغت**

---

(١) المائدة ٦٧.

القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾.(١)
ولكن عناية الله تعالى ولطفه تداركت هذه الامة، فارسل على الاحزاب ريحاً وجنوداً لم يروها، فتفرق جمعهم، وردوا على ادبارهم خائبين، لم ينالوا خيرا.

وبعدئذ كان لابد للرسول صلى الله عليه وسلم ان يصفي حسابه مع الغادرين، الذين أرادوا ان يقتلعوا هذا الامة من جذورها، ويقضوا على الاسلام في مهده، لولا ان رد الله كيدهم في نحورهم، لقد كانوا ينوون ان لا يبقوا في المدينة احدا من المسلمين، فجعل الله الدائرة عليهم، وتوجه الرسول بأمر من الله تعالى الى بني قريظه فحاصرهم، ثم قبل اليهود ان ينزلوا من حصونهم بلا قيد ولا شرط، وحكم فيهم سعد بن معاذ (وكان صديقاً لهم في الجاهلية) ان تقتل مقاتلتهم وتسبى نساؤهم وذراريهم، ونفذ فيهم الحكم، وبهذا تطهرت المدينة من رجس اليهود.

بقيت لليهود بقية في خيبر، لم تكف عن التآمر على النبي صلى الله عليه وسلم وحشد الناس ضده، ولذلك قرر القضاء عليهم، فسار اليهم وحاصرهم، ثم قاتلهم وغلبهم، فلما رأوا ان لا طاقة لهم بالمسلمين طلبوا السلم وحقن دمائهم، فأجابهم لذلك الرسول صلى الله عليه وسلم وترك الارض في ايديهم يزرعونها على حصة وقال: ((نقركم بها على ذلك ما شئنا)) (٢)، وقد أخرجهم منها عمر في خلافته بناء على وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال: ((لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أدع فيها إلا مسلماً))(٣). وكانت هناك جماعات من اليهود في (فدك)، وتيماء، ووادي القرى، صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقروا بحكمه فتركهم في بلادهم.

غير ان ذهاب قوة اليهود العسكرية لم يجعلهم يخلدون الى السلام بل بدأوا يحاربونّ الاسلام بواسطة الدس والوقيعة، ونحن نعلم ان عبدالله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالاسلام كان وراء الفتنة التي ذهب فيها عثمان رضي الله عنه ورحمه، واتباعه هم الذين اججوا الفتنة بعد ذلك، فالتاريخ يروي لنا ان عليا من جهة وطلحة والزبير من جهة ثانية اتفقوا قبل معركة الجمل على الصلح بشرط ان يسلم علي لهم قتلة عثمان وان يدخل طلحة والزبير مقابل ذلك في طاعة علي، وينتهي الامر ولكن جماعة ابن سبأ انقسموا قسمين في الليل قسم هاجم معسكر علي وقسم هاجم معسكر طلحة والزبير وظن كل طرف ان الآخر قد غدر فشبت الفتنة من جديد وكانت معركة الجمل، واذا كانت تلك الفتنة قد ذهبت واصلحت الامة شأنها بعد ذلك فيجب ان نعلم اليوم ان اليهود من وراء كل الفتن التي تحدث في بلادنا الاسلامية، فيجب ان نحذر منهم ومن اعوانهم، ويجب ان نعلم ان هذه الفتن ستزداد وتشتد اذا استطاع اليهود تثبيت قدمهم في بلادنا فلنهيء انفسنا لتصفية الحساب مع اليهود كما فعل نبينا عليه السلام، ولنا النصر ان شاء الله كما وعدنا نبينا صلى الله عليه وسلم، فقد وعد ان العاقبة لنا ان كنا مع الله ملتزمين طاعته منفذين أوامره.

وعسى ان ندرك ذلك اليوم فنشفي صدورنا من اعداء الله.

---

(١) الاحزاب : ١٠ – ١١. (٢) رواه البخاري (٣) رواه مسلم

محاولات القضاء على الاسلام

الصراع بين الخير والشر قديم منذ وجد الخير والشر، ولا شك ان رسالات الانبياء عليهم صلوات الله وسلامه، هي القمة في الخير فلا بد من معارضة الشر لها، وهذا ما يؤكده الله تعالى في قوله: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين﴾**.(١) ولقد لقي الاسلام المعارضة من المجرمين منذ ايامه الاولى، وكلنا يذكر ايذاء كفار قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن آمن به، ثم محاولاتهم قتله قبل هجرته، ومر معنا في محاضرة سابقة محاولات اليهود للقضاء على الاسلام، وقد كان اشد يوم في تلك الايام يوم الاحزاب عندما احدق الخطر بالمسلمين حتى ظن ضعاف القلوب ان الاسلام قد احيط به وانتهى امره او يكاد، ولكن الله تعالى خيب أمل المنافقين، واعز دينه واظهره على الدين كله، وهذه المحاولات الشريرة من قبل اعداء الاسلام لن تنتهي الى قيام الساعة قال الله عز وجل: **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا﴾**.(٢) وبما انهم لن يستطيعوا اذ لابد ان تبقى من المسلمين بقية يحافظون على هذا الدين، فالصراع إذاً مستمر ونريد ان نستعرض هنا بعض المحاولات التي قام بها أعداء الاسلام للقضاء عليه بعد ان انتصر في جزيرة العرب وما حولها وقامت دولته وعلا شأنه وقوي سلطانه في الارض:

أولاً : الفرق الباطنية التي كانت تظهر التمسك بالاسلام ومحبة أهل البيت، ويستغلون عاطفة الناس نحوهم فيقومون داعين الى الأخذ بثأر شهدائهم، ولكن هذه الطوائف كانت تضمر الكراهية والحقد على الاسلام والمسلمين بما فيهم آل البيت، ونحن نذكر ما فعله القرامطة والزنج من فظائع في العالم الاسلامي حتى ازالهم الله تعالى على يد رجال الامة المخلصين لدينهم.

ثانياً : تلاميذ الفلسفة اليونانية والوثنية وهم طبقة من المخدوعين بهذه الفلسفات كانوا يحاولون اخضاع الدين لها، ولما عسر عليهم ذلك قاموا ينادون بالكفر، وهؤلاء عرفوا بالتاريخ الاسلامي باسم الزنادقة، كالقائلين بقدم الكون، والدهريين، ولقد ادى علماء المسلمين واجبهم في ذلك الزمان فكشفوا للناس زيفهم واباطيلهم فمجتهم الامة حتى انقرضوا ولم نعد نسمع بهم الا في الكتب، ومن اشهر العلماء الذين قارعوهم بالحجة الامام الغزالي في كتبه المتعددة: منها تهافت الفلاسفة، وفضائح الباطنية، وفيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة.

ثالثاً : الحملة التترية التي اجتاحت بلاد المسلمين ودمرتها واغرقت كتب بغداد في نهر دجلة فاضاعت جهد العقول وسهر العيون أياماً طويلة، ولكن الاسلام كان اقوى من التتار فمن جهة

---

(١) الفرقان : ٣١ ، (٢) البقرة : ٢١٧.

حطم قوتهم العسكرية في عين جالوت على يد جندي من جنود الاسلام هو قطز ومن جهة ثانية غلب توحيده شركهم فدخلوا في الاسلام على يد شيخ من شيوخ الاسلام.

رابعاً : الغزو الصليبي والذي كان في الظاهر يريد استرداد بيت المقدس فقط وفي الباطن يريد القضاء على الاسلام وتتالت حملاتهم حتى اذن الله بزوالهم على يد جندي آخر هو صلاح الدين في معركة حطين، ثم تتابعت هزائمهم حتى دحروا الى بلادهم خائبين.

خامساً : محاكم التفتيش في الاندلس التي قامت تطارد كل مسلم لانه مسلم، وتذيقه صنوف العذاب فهاجر منهم من هاجر الى المغرب العربي واختفى منهم من اختفى وضاعت ثروة علمية وادبية بضياع الاندلس.

سادساً : فظائع الشيوعية البلشفية في بلاد الاسلام المتاخمة لروسيا مثل القوقاز وداغستان والبانيا وسراييفوا والبوسنة والهرسك تلك الديار التي ذبح فيها المسلمون بالآلاف.

سابعاً : المجازر التي قام بها الهنود البوذيون والسيخ والبراهمة من اجل القضاء على المسلمين بينهم.

ثامناً : المحاولات العلنية التي تقوم بها الحبشة لارغام المسلمين على العودة الى النصرانية على ان اهم محاولات القضاء على الاسلام كانت في الحركتين التاليتين:

١ . الغزو الثقافي للعالم الاسلامي فبعد ان جرب الغرب اسلوب القوة ولم ينجحوا عادوا يسلكون سبيلاً آخر وهو زعزعة العقيدة الاسلامية من قلوب شباب الاسلام، لأنهم لمسوا في كل صراع مع المسلمين ان قوتهم وعنادهم في القتال يرجع الى هذه العقيدة، فارادوا ان يهزموهم داخلياً وان يقضوا على عقيدتهم ليقضوا على قوتهم بعد ذلك، لقد علموا ان المسلم لا يمكن ان يستبدل بدينه ديناً آخر فاكتفوا منه ان يخرج من دينه ولو الى غير دين فيصبح ملحداً لا دينياً، وفي سبيل ذلك شنوا غارة واسعة متعددة الاطراف هاجموا فيها رجال الاسلام وتاريخه وافكاره وسنة نبيه والقرآن الكريم، ولقد نجحوا في ذلك ايما نجاح في بداية الامر، ولكن انحسروا بعد ذلك امام وعي علماء الامة ومفكريها الذين قاموا يدحضون اباطيلهم ويردون على شبهاتهم ويهاجمون وينقدون مبادىء الغرب والشرق ليتبين تفوق الاسلام عليها، وصلاحيته للحياة اكثر منها وهذه النهضة توشك ان تؤتي ثمارها ان شاء الله فترد الامة الى دينها ومنبع عزها ومجدها.

٢ . الغزو اليهودي واحتلال فلسطين. وترجع خطورة هذه الغزوة لا الى قوة اليهود فقد دفنت هذه الارض غزاة اعند منهم واشد قوة وبأسا، ولكن الخطر يكمن في قدرة اليهود على التضليل والخداع وتفسيخ الاخلاق، وتفريق الصفوف وهذه وسيلتهم للسيطرة على الشعوب كما ينص على ذلك حكماؤهم في بروتوكولاتهم المشهورة فاذا استطاعوا ان ينتزعوا من

العالم الاسلامي اعترافاً بوجودهم فقد بدأوا تنفيذ مخططهم الرهيب في الاستيلاء على العالم الأسلامي.

واذا كان تاريخ السابقين عبرة للاحقين فإننا نستطيع ان نستخلص من صراع امتنا مع الباطل الحقائق التالية:-

١ . ان الامة لم يستطع عدوها ان يطأ ديارها الا وهي متفرقة، فاذا إجتمعت ورصت صفوفها استطاعت ان تقهر الغزاة مهما كانت قوتهم.

٢ . ان أباطيل اعداء الاسلام وشبههم مهما تكاثفت وتراكمت على العقول لابد ان تتبدد امام حجة الاسلام الساطعة.

٣ . لقد كان تمسك هذه الامة بدينها هو المؤشر الدقيق لعزها ومقدرتها فكلما ازداد تمسكهم عن وعي وفهم ازداد شأنهم رفعة، وكلما تخلوا عنه هبط حظهم وتعثرت اقدامهم.

فإذا كانت امتنا اليوم تشكو غلبة الاعداء وضعف القوة، فلا سبيل الى الخروج من هذا المأزق الا الرجوع الى حظيرة الاسلام ليوحد الصفوف ويحرر العقول ويعطي القلوب دفعة قوية من معينه الفياض تكون نوراً على طريق الجهاد.

عناصر البقاء في الاسلام

تكلمنا في المحاضرة السابقة عن المحاولات التي قام بها اعداء الاسلام للقضاء عليه، وبينا ان تلك المحاولات لم تنجح، فما هو السبب في عدم نجاحها؟ وبحق فان الانسان يعجب عندما يتأمل صمود الاسلام امام تلك المحاولات القوية المتعددة، ويعجب اكثر عندما يعلم انه صمد في كثير من الاحيان وحيدا بدون قوة تحميه، كما هو الحال اليوم، ونريد ان نستعرض في هذه المحاضرة العناصر التي يرجع اليها صمود الاسلام بحسب رأينا.

١ . **عقيدته** : فهي واضحة فطرية منطقية. بحيث لا يتصور العقل غيرها ولا بدلاً منها، فالاسلام عندما يقول للناس ان هذا الكون له خالق انشأه وكونه يصيب كبد الحقيقة، اذ لا يعقل سوى ذلك، وعندما ينفي الشريك عن الله، انما يسير مع قواعد المنطق السليم، وتتضح هذه النقطة عندما نقارن عقيدة الاسلام بغيرها من العقائد، فمثلاً كم هو الفرق شاسع بين من يؤمن بإله لا تدركه الابصار ، وبين من يؤمن بأن البقرة هي التي تحمل سر الوجود، وحلت فيها روح إله الكون، او من يعتقد بوجود آلهة متعددة تتصارع في سبيل رغبات وشهوات اقرب ما تكون الى رغبات البشر ، بل ان بعض البشر يترفع عنها وذلك ما كان يعتقده اليونان، ولقد هزمت هذه العقائد امام نور العلم ومنطقه، بينما بقي الاسلام لأنه الحق الذي لا يخاف النور ، بل يحبه ويعمل على تألق شعلته لتبدد الظلام.

٢ . **تشريعه واحكامه** : فهي سهلة وميسورة، تراعى فيها مصالح العباد، ولقد شرحنا هذه النقطة في محاضرة خاصة، ولكن نبين هنا ان احكامه لو كانت ضيقة محرجة لادت الى انفضاض اتباعه عليه، ومحاولتهم التخلص منه، فان الانظمة الجائرة مهما كان مصدرها والقوة التي تدعمها لا يمكن ان تصمد الى الابد. ولقد رأينا اتباع ديانات يتمردون على الاحكام المنسوبة الى دينهم لانها اصبحت غلاً في اعناقهم، ورأينا كيف أطاح الشيوعيون بالشيوعية بعد سبعين عاماً من قيام دولتها، بينما يستشهد المسلمون في سبيل الاسلام بعد اربعة عشر قرناً من نزوله، فهو الحق الذي لا تبليه الايام.

٣ . **حديثه عن الغيبيات** : كان في حدود القريب من تصور البشر لأن عالم الغيب يختلف اختلافاً كلياً عن عالم الشهادة، ولو ووجه العقل بتفاصيل ذلك العالم لعسر عليه تصديقها، ولو كانت في حد ذاتها حقاً وصواباً، لانها تخالف مألوفاته وتصوراته الدنيوية وانت ترى ان كل ما ورد في القرآن الكريم او الحديث النبوي الصحيح عن الآخرة واحوالها لا يعدو كونه مما يتقبله العقل بسهولة ويسر ، ولو كانت فيه بعض الغرابة، وانما ورد لحاجة كجواب سائل او امتحان من اصحاب الديانات السابقة، لان هدف الاسلام بيان التشريع الذي يسعد البشر ، اما الغيبيات فسيرونها في الآخرة.

٤ • **تلبيته لأماني الجماهير** : فقد كان الاسلام منذ يومه الأول ثورة على الظلم، والطبقية، والفقر، وكل الاوضاع السيئة التي كان يرزح تحتها المجتمع، ولذلك رأينا الطبقة الفقيرة والمظلومة والمضطهدة تقبل عليه وتعتنقه منذ بزوغ فجره، لانها رأته المحقق لامانيها، ومن اجل هذا تمسكت به الجماهير، ودافعت عنه بحرارة حتى لا تضيع كرامتها بضياعه، ونحن نذكر وقفة أهل حمص الى جانب خالد(١)، ووقفة الاجيال الاسلامية الى جانب علمائهم في وجه من اراد الانحراف بالاسلام عن جادة الحق والصواب.

٥ • **بقاء القرآن** : لقد سبق واوضحنا اكثر من مرة ان القرآن لم يتغير ولم يتبدل ولم يأته الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وهذه الحقيقة جعلت الاسلام يثبت امام محاولات التحريف وهي اخطر ما يكون على المبادىء من الداخل، فكلما حاول احد ان يخرج ببدعة واجهه الناس بالايات الناطقة فلا يملك امام ذلك الا التراجع، ولم يحاول احد ان يخرج على احكامه الا وقام افراد الامة يحتجون عليه بكتاب الله، وهكذا لم يمكن نسف الاسلام من الداخل.

٦ • واما الحملات الخارجية فانها كانت تفشل امام عناد الامة واستبسالها في الدفاع عن دينها، لقد كان ابناء الاسلام ينظرون (بحق) الى كل غاز على انه همجي يريد ان يردهم من النور الى الظلمات، بعد ان اخرجهم الله من الظلمات الى النور، ولذلك كان يسمون جيوش الغزاة (علوجا) جمع علج، وهو اسم يشعر بالغلظة والجفوة، فكانوا يهبون هبة رجل واحد من اجل طرد الغزاة العلوج.

٧ • ومما جعل حملات الاعداء تفشل : اتحاد الامة، فعلى الرغم من الظروف السيئة التي مرت بها الامة وتفرقت فيها الكلمة، الا انه كان يستقر في نفس كل مسلم ان الاتحاد امر لا بد منه، وهو الاصل في الامة، اما الفرقة ودعاتها فحالات عرضية لابد ان تزول وكان يذكي هذه المعاني في صدورهم قول الله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**.(٢) وقوله: **﴿وان هذه امتكم امة واحدة﴾**.(٣) فما تلبث الامة ان تتحد او يتحد جزء كبير منها ثم يطردون الغزاة، وبذلك لم يتمكن منهم اجنبي يدمرهم ويذهب معهم تعاليم دينهم، ولذلك ايضاً نرى الغزاة الجدد والمستعمرين يحاولون صرف المسلمين عن اسلامهم حتى لا يتحدوا ولا ينهضوا.

٨ • **الشعور بالمسؤولية** : وهي خصلة كريمة غرسها الاسلام في نفس كل مسلم بحيث افهمه ان عليه ان يقوم بنصرة الدين ولو كان وحيداً، وان لا يتخلى عن تعاليمه ولو تخلى عنها كل

---

(١) كان خالد رضي الله عنه قد أخذ مالا من أهل حمص عندما فتحها مقابل حمايتهم والدفاع عنهم، ثم بلغه أن هرقل قد جمع جيشاً كبيراً لحربه وخشي خالد ان لا يقدر على حماية أهل حمص فجمعهم وأراد ان يرد المال عليهم فأبوا وأبدوا استعدادهم للوقوف الى جانبه.

(٢) آل عمران : ١٠٣ ، (٣) المؤمنون : ٥٢.

الناس، فلا يجوز له ان يحتقر نفسه ويلقي باللائمة على غيره، فليس في الامة من هو مسؤول ومن هو غير مسؤول، بل الكل مسؤولون وان كانت هذه المسؤولية تتفاوت بحسب امكانيات الشخص الا انها لا تسقط بحال، واذا قصر المسلم بواجبه كان عليه ان يواجه غداً الحساب العسير امام الله سبحانه وتعالى، وهو موقف تهابه القلوب وتقشعر منه الجلود.

وتصور حدود المسؤولية مع هذا الحديث قال عليه الصلاة والسلام: ((لا يكن احدكم امعة يقول انا مع الناس ان احسنوا احسنت وان اساؤوا اسأت، ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان أساءوا ان تجتنبوا اساءتهم))(١).

وغني عن القول ان هذه المعاني لن تؤثر في نفس واحدة فقط بحيث تشعر وحدها بالمسؤولية بل لابد ان يوجد افراد كثيرون في كل عصر يحسون بالمسؤولية فاذا ما طرق اسماعهم قول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((يد الله على الجماعة))(٢) علموا ان عملهم يكون اجدى وقيامهم بالمسؤولية يكون انجح اذا ما اجتمعوا، هنا تتكون منهم الزمرة الصالحة والعصبة المؤمنة التي تصارع الباطل فتصرعه، او تبقي مشعل الاسلام مضيئاً ورايته خفاقة الى ان يأذن الله بالفتح او امر من عنده فتزول دولة الباطل وتعلو كلمة الله.

٩ . مهما حاولنا ان نحيط بالاسباب التي بقي بها الدين منصوراً محفوظاً فانا لن نستطيع، ولكنا نستغني عن الاحاطة بالاسباب بذكر اهمها واقواها والاصل الذي يتفرع منه كل سبب الا وهو ارادة الله تعالى ان يبقي هذا الدين، فهو دينه الذي ارتضاه للناس وشريعته التي أمر ان يعمل بها في الارض قال تعالى: ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ (٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((انما انا قاسم والله الموفق ولا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله)) (٤) .

هذا هو السر الاكبر في بقاء الاسلام، ولذلك لابد ان يرد الله عنه كل باغ، وان يخزي كل محرف، حتى يبقى دينه حجة على الناس الى قيام الساعة، ولهذا فان كل من يخدم الاسلام ويثبت قواعده في الارض انما ينفع نفسه اولا بكسب الاجر والثواب، اما الاسلام فغني بارادة الله عن جهود البشر، فلا يجوز ان يرى الداعي الى الاسلام ان له منة على الله ورسوله ودينه، وطوبى لمن استخدمه الله تعالى في المحافظة على هذا الدين ورفع شأنه بين الناس، انه من حزب الله المفلحين وجنده المنصورين قال الله تعالى: ﴿**ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**﴾ (٥) .

---

(١) رواه الترمذي ، (٢) رواه الترمذي.

(٣) الصف : ٨ – ٩ ، (٤) رواه الشيخان ، (٥) الاعراف : ١٢٨.

هل يمكن تطبيق الاسلام الآن؟

هذا السؤال يطرحه الناس الآن كثيراً، يطرحه الشاب المقتنع بالاسلام نظاماً صالحاً للحياة، وهو يرى العقبات الجسام امامه، ويطرحه الجاهل بالاسلام، وهو يراه نظاماً اخذ دوره في التاريخ ومضى كغيره من الانظمة فلا داعي لعودته. ويطرحه الرجل العادي وهو يرى الفساد قد طبق الارض، فأين تجد الفضيلة لها موضعاً؟ وللاجابة على هذا السؤال – اجابة بعيدة عن العاطفة تعتمد على ايضاح الحقائق – لابد من طرح السؤال التالي: لماذا زال الحكم بالاسلام؟ وجواب هذا السؤال هو مفتاح البحث، فان كان زواله لاكتشاف اخطاء فيه، وعدم ملاءمته للحياة، فلا داعي لان نكره البشرية على تطبيقه.

وان كان لظروف وعوامل قهرت الامة فانتزعت منها الاسلام انتزاعاً فلا بد من العمل على اعادته الى الحياة، يتفيأ الناس ظلاله المباركة.

وكل من يقرأ تاريخ الامة الاسلامية المكتوب بأيدي ابنائها يعلم أنه لم تمر بالامة الاسلامية، بل ولا بالانسانية كلها عصور أجمل ولا أفضل من تلك العصور التي حكم فيها الاسلام هذه المنطقة من العالم، وحسبه انه حقق للانسانية كرامتها وانقذها من مبادىء كانت تقتل هذه الانسانية، ومن ينسى حرية الكلمة والرأي، وازالة الفوارق الاجتماعية بين الناس، والمساواة التي كانت تشمل الحاكم والمحكوم، وكل طبقات المجتمع من القمة الى القاعدة، وفضلا عن ذلك النهضة العامة في كل نواحي الحياة.

اذن فلم يترك الاسلام رغبة عنه، بل لظروف اخرى اجبرت الامة على تركه، وانتزعتها منه انتزاعاً.

لقد اشرنا في المحاضرات السابقة الى محاولات القضاء على الاسلام، وكيف صمد لها الاسلام جميعاً، بيد انه صمد لها كعقيدة ونظام لم يمكن هدمه ولا كشف مثلبة فيه، اما ازالته عن مركز القيادة وتنحيته عن تنظيم الحياة فهذا قد حصل، لكن بفعل اعداء هذه الامة، لقد انقضت الحروب الصليبية، وما استطاعت ان تبدل النظام في العالم الاسلامي، واستمر الحكم بالاسلام الى آخر ايام الدولة العثمانية عند بداية الحرب العالمية الاولى، وكلنا يذكر ان العالم الاسلامي وقع تحت الحكم الاستعماري المباشر وغير المباشر، وهنا فرض الاستعمار على المسلمين نظامه واسلوبه في الحياة، وحسب حساب المستقبل وأن لابد من خروجه من ديار الاسلام، فأقام من ابناء الاسلام تلاميذ له يحافظون على فكره ونظامه من بعده، ليكون ارتباط هذه المنطقة بهم ابدياً، لقد نزع من بيننا فكرة الاسلام التي تقضي ان يجتمع تحت لوائه كل من يقول لا اله الا الله، وغرس بدلا منها فكرة القومية التي تمزق الامة الواحدة الى امم كثيرة لا تجتمع إذ ان لكل امة قومية

خاصة، وغرس في القومية الواحدة افكارا من ثمرات بلاده تجعل القومية الواحدة مقسمة الى شيع واحزاب ترتبط به جميعا لانه المورد لافكارها وأنهكها بالثورات الداخلية نتيجة تغلب حزب على حزب وما يتبع ذلك من اراقة للدماء، وتفتيت للجهود، واشغال بالحالة الداخلية عن مراقبة مؤامرات المستعمرين وتحركاتهم حول البلاد، بل وداخلها.

ونزعوا من بينهم اسلوب الحكم الاسلامي بل والعربي، ليوجدوا على المسرح اي رجل يحبونه دون ان يعترض أحد من ابناء الامة.

ونزعوا نظام الاقتصاد الاسلامي ووضعوا نظاماً آخر يربط اقتصادنا ببيوت الاموال عندهم.
وبعبارة اخرى وضعوا في بلادنا نظاما بدل نظام الاسلام، لا لمصلحتنا بل ليخلدوا ارتباطنا بهم، فالتشريع يرجع فيه الى مصادرهم، والفكر يستقى من مراجعهم، وكأن هذه البلاد اصبحت مزرعة لافكارهم وحقلا لتجاربهم، فكم من فكرة لكتابهم نفذت في بلادنا قبل ان تنفذ عندهم.

ولا شك ان كل مطلع على هذه الامور يحاول فك ارتباط هذه الامة بالمستعمرين، والتلخص من الاستعمار الفكري، كما تخلصنا من الاستعمار العسكري، ولا يكون ذلك بأن نستبدل سيداً بسيد، ولا معلما بمعلم، بل يكون بالرجوع الى المبدأ الذي انزله الله على هذه البقعة من الارض، وكنا به اساتذة العالم، فهذا ما يحقق استقلالنا التام، ويضعنا في مركز القيادة والتوجيه كما كنا من قبل، هذا من وجهة نظر قومية ووطنية بحتة، فكيف وتطبيق الاسلام فيه رضوان الله أولاً وسعادة الدنيا والآخرة ثانياً، وترابط العالم كله بالاخوة في الله ثالثاً، وهذه المعاني العظيمة تبدو معها المصلحة القومية والوطنية أموراً ثانوية تنضوي تحت الغاية السامية الكبرى.

وهنا تثور اسئلة يظن انها تشكل عقبات في وجه تلك العودة:-

١ . كيف نفعل بالاقليات اذا عدنا الى الاسلام؟

وهذا الموضوع لابد ان يواجه كل نظام في الدنيا، لأنه ما من امة الا وفيها اقليات، ونحن اليوم اذ نادينا بالقومية العربية ظهرت بيننا اقليات لم تكن من قبل تسمى اقليات، لقد كان الاسلام يجمع العربي والشركسي والكردي وغيرهم ولما نادينا بالقومية لنتفادى وجود اقليات غير اسلامية يجمعنا بها رباط العروبة صار الكردي والشركسي وغيرهما من المسلمين غير العرب غرباء حسب الشعار الجديد، فان كنا كسبنا من جهة فقد خسرنا اضعاف ذلك من جهة اخرى، وطالما انه لا مفر من وجود الاقليات فلم تعد هذه عقبة، ولننظر كيف يعامل الاسلام هذه الاقليات، ولا نريد هنا ان ننسج احلام المستقبل من خيوط الاسلام، بل حسبنا ان نرجع الى التاريخ ونرى كيف عامل الاسلام هذه الاقليات.

٢ . كيف تعالج مشكلة الربا القائم في العالم الاسلامي؟ ولا اريد الاطالة في الجواب على هذه النقطة، فقد سبق الحديث عنها في محاضرة خاصة ذكرنا فيها كيف اوجد الاسلام البديل العملي الفاضل للربا.

٣ . وتحتج النساء على عودة الاسلام؟ لان الاستعمار والتخلف في العالم الاسلامي جعل نظرة المرأة الى الاسلام نظرة سوداء ولو عرفن الحقيقة لبكين على مخلصهن من ظلم الجاهلية السابقة والحاضرة، ولو تكرمن بالاطلاع على حال اخواتهن في الغرب لعرفن رحمة الاسلام بهن، لقد جعل الاسلام المرأة اماً وسيدة بيت، وجعلها الغرب مشردة تبيع الهوى. وسيأتي الحديث عن حقوق المرأة مفصلا في محاضرة قادمة.

٤ . يتصور البعض ان معنى عودة الاسلام ان يوجد في كل دائرة شيخ بزية الخاص يدير دفة الامور، ويخطيء البعض فيسميهم رجال دين فيتصور حكم رجال الدين في الغرب، وهذا التصور لا اساس له من الصحة، فالاسلام لا يوجد فيه رجال دين ورجال دنيا. بل كل المسلمين رجال دين ودنيا، اي يعمرون الدنيا بمبادىء الاسلام، ويقفون انفسهم للدفاع عنه، نعم يوجد اختصاص فهذا يختص بعلم الشريعة، وذاك بالطب او العسكرية مع وجود قدر مشترك بين الجميع من المعلومات الاسلامية يسيرون على هداها، ولم يعرف اسم رجال الدين بيننا الا بعد اتصالنا بالغرب، اما هذا الزي الخاص فلم نقل في يوم من الايام انه فرض على علماء الشريعة، وليس حجراً محجوراً عليهم لا يجوز لغيرهم، بل هو زي كان شعبياً في العالم الاسلامي، يلبسه كل الناس، العالم والتاجر وغيرهما، ولا يزال الامر كذلك في بعض المناطق الاسلامية، فلما تفرنج الناس ولبسوا لباس الاعاجم ترفع اهل العلم بأنفسهم عن ذلك، فصار هذا الزي كأنه خاص بهم، واصبح العرف يستنكر ان يلبسه غيرهم، سيما اذا كان يقصد من وراء ذلك كسب الاحترام الذي ما زالت تكنه الامة لعلماء دينها، فاذا عادت الامة الى دينها فلن يهمنا عندئذ ماذا يلبس الشخص بل ننظر الى معرفته بالدين وكفاءته لما يسند اليه، فان كان كفوءا اسند اليه المنصب المناسب بصرف النظر عما يلبس ولن يكون للباس اعتبار خاص فصاحبه مع بقية الناس سواء، اكرمهم عند الله اتقاهم ولا شك في أن ارتداء لباس السلف دليل على محبتهم والاعجاب بهم، لكن هذه فضائل لا يمكن حمل الناس عليها هذه بعض الشبه والعقبات التي يظنها طائفة من الناس مانعاً من العودة الى الاسلام، ونحن نبين العقبات الحقيقية لتعد لها الامة عدتها وهي:

أ . **الاستعمار** : شرقيه وغربيه فان عودة الاسلام الى هذه المنطقة يعني إنهاء نفوذهم فيها، وقطع ارتباطها بهم، ووجود قوة مستقلة تعمل لصالح هذه الامة فقط، ولا ترضى ان تكون مجرد عامل ترجيح لاحد اطراف الصراع في العالم، وظهور هذه القوة في هذه المنطقة بالذات يعلي سيادتها على العالم كله اذا توفرت الظروف والامكانيات، وهذا لا يناسب الشرق ولا الغرب فان احسوا ببوادر لمثل هذه الاتجاه وقفوا صفاً واحداً وتناسوا خلافاتهم، لقد كان للاسلام شأن في هذه المنطقة سابقاً فكان له سلطان يخشاه الشرق

والغرب، ولم ينس الاعداء تلك الايام التي كنا فيها الى امد قريب الدولة الاولى في العالم. فكيف يسمحون بعودة تلك القوة.

ب . **اليهود** : حبذا لو يقرأ كل شاب مذكرات (هرتزل) باعث الحركة الصهيونية ليعرف انه كان من المستحيل ان تطأ اقدام اليهود ارض فلسطين يوم كان للمسلمين دولة واحدة، لقد حاول هذا الرجل بشتى الطرق ان يستميل السلطان عبدالحميد ليعطيه اذنا بشراء ارض في فلسطين، ولكنه وجد منه صلابة المسلم وترفع القائد عن الخيانة فطرده شر طردة، وعمل اليهود على تحطيم هذه الكتلة المسلمة فنجحوا وسهل عليهم ان يملكوا ما شاءوا من فلسطين ويوجدوا دولة غريبة في هذه المنطقة، وهم ما زالوا يضعفون الدول المجاورة بافتعال الخلافات وعودة الاسلام معناها ذهاب الخلاف، وجمع الكلمة، وعودة النخوة الاسلامية، والحمية المحمدية الى القلوب، وعندها تكون شمس اليهود قد اذنت بالمغيب فلن تسكت الامة على احتلال شبر من الارض المقدسة مهما كانت التضحيات، ان اليهود يعرفون كيف يضربون عبيد المال والجاه بعضهم ببعض لكن لن يستطيعوا ضرب عباد الله لان عبوديتهم لله تجمعهم على اشرف مبدأ، واذن فلا بد ان يقف اليهود بكل قوتهم في وجه هذه العودة الى الاسلام.

جـ . **تلاميذ الاستعمار** : الذين أوصلهم الاستعمار الى مراكز القيادة فخدموا الاستعمار باخلاص، والامة تراهم وتراقبهم ولكنها لا تستطيع محاسبتهم، فاذا ما عاد الاسلام فقد حان يوم القصاص وذهب الاستعمار، فبقي تلاميذه غرباء في المجتمع قد زال عنهم كل شيء وواجهوا حساب الامة، وهو حساب عسير، فلا بد ان يخمدوا كل صوت يدعو الى الاسلام لانه يخيفهم ويرعبهم. ماذا سيعمل في المجتمع الاسلامي من كان كل رأس ماله علم شريعة الغرب؟ أو يحمل شهادة عالية في الرقص او الموسيقى او المختص بتقطير الخمور وامثالهم؟.

د . **اصحاب الشهوات** : لقد قلنا في حديث سابق ان اصحاب الشهوات وقفوا في وجه دعوات الرسل، وهم ما زالوا يقفون اليوم، فكيف يسمحون بعودة نظام يمنع الخمر، والرشوة واختلاط الرجال بالنساء والقمار والربا وكل هذه المفاسد التي بها يرتعون. كيف يسمحون بعود نظام يقول لهم من أين لك هذا؟، نظام يقطع يد السارق ويجلد الزاني والشارب والقاذف وهم يغرقون في هذه الفواحش الى الاذقان لكن على الرغم من كل هذه العقبات والحدود والسدود لابد ان يعود الاسلام، لان العالم اصبح يشعر بالحاجة اليه بعد ان اتعبه الجري خلف آراء البشر وأهوائهم، سيما العالم الاسلامي الذي ذاق طعم الاسلام فهو ما يزال يحن اليه ويذكر ايام سعادته بالاسلام، ولذلك تنبعث هنا وهناك دعوات بالعودة الى الاسلام

وتوشك هذه الصيحات ان تكون هتافاً عاماً وتياراً جارفاً يقتلع العقبات حتى تلحق الامة بركب الله الميمون وعسى ان يكون ذلك قريباً لتنفتح عيون النائمين، وتستيقظ عقول المخمورين وينكشف الغطاء عن قلوب المخدوعين، يومها ستبكي الامة اسفاً على سنوات الضياع وايام البعد عن الله، وتبكي على ابناء لها ماتوا على غير مبدئها ودينها فلاقوا ربهم مغيرين لدينهم مبدلين سنة نبيهم فجازاهم شر جزاء.

كل الذي ذكرناه هو عن تطبيق الاسلام بشكل جماعي، أما تطبيقه بشكل فردي فلا توجد أمامه عقبات تذكر وان وجدت فانها لابد ان تهون امام عزيمة المؤمن بالله الذي يحسب حساب الوقوف بين يديه في الآخرة، والذي اذاقه الله طعم الطاعة فصارت كل معصية في فمه مرة المذاق، والذي انس بالله.سبحانه فاستوحش من اعداء الله، واكبر دليل على ذلك افراد كثيرون غمسوا في مجتمع الفساد فخرجوا منه طاهرين، واتيحت لهم فرص المعصية ففروا منها خوفاً من الله وحياء من وجهه الكريم. ولا شك ان هذه الوقفة الصامدة في وجه التيار الفاسد صعبة وقاسية ولكن الاجر عليها عظيم ايضاً، فقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام ان للمتمسك بالاسلام عند فساد الناس اجر خمسين شهيداً من الصحابة، لان الصحابة يجدون على الحق أعواناً، وهذا لا يجد، فطوبى لتلك النخبة من الشباب المتمسكة بدينها، انهم منارات في الظلمات ومعالم للامة على طريق العودة الى الله.

مواقف إنسانية وعسكرية للرسول صلى الله عليه وسلم

أولاً: مواقف انسانية:

كلمة انسانية تطلق ويراد بها معنيان:-

الاول : الصفة التي يتميز بها الانسان عن غيره من المخلوقات، وهذه الصفة يرى البعض أنها النطق ويرى آخرون أنها الضحك، فهم يقولون: الانسان حيوان ناطق، أو حيوان ضاحك وهذا التعريف ينظر فيه الى الصفة الخلقية الظاهرة. ولكن الميزة الحقيقية للانسان هي تلك الروحانية التي تجعله في كثير من الاحيان يتغلب على دوافع الغريزة ومتطلبات الجسد، وهي التي اشار الله تعالى اليها بقوله: ﴿**إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين**﴾(١) فهو الى هنا يتساوى مع باقي المخلوقات، ثم قال تعالى: ﴿**فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾(٢) فهذه الروح التي جعلها الله تعالى فيه هي التي تميزه عن الحيوانات، وبمقدار ما تقوى هذه الروحانية في الانسان تسمو رتبته في سلم الانسانية، وساعرض هنا مواقف تدل على قوة روحانيته صلى الله عليه وسلم. حتى انه لم يكن يبالي بالألم وهو مستغرق في مناجاة ربه، مجتهداً في اداء واجبه نحو خالقه، يتقرب اليه بالوقوف بين يديه.

- يقول المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له: أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟(٣).
- وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم.(٤)
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال (وهو ان يصوم الانسان يومين فأكثر دون أن يفطر بينهما) فقال رجل من المسلمين انك يا رسول الله تواصل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأيكم مثلي اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني(٥).
- وقال صلى الله عليه وسلم اني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة(٦).

وحسبه من قوة الروحانية ان الوحي كان ينزل عليه ويلتقي بالملائكة في اليقظة.

وفي كتب السيرة النبوية الكثير من الأمثلة التي تدل على سمو روحه صلى الله عليه وسلم وتعلقه بحب الله تعالى، الى جانب قيامه بشؤون الدنيا، وفيها ايضاً بيان الاخلاق الرفيعة الكريمة

---

(١) ص : ٧١ ، (٢) الحجر : ٢٩ ، (٣) متفق عليه ، (٤) متفق عليه ، (٥) متفق عليه. (٦) رواه مسلم

التي كان يتحلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي المثل العليا التي يسعى اليها البشر ويحاولون الاقتراب منها.

والمعنى الثاني للانسانية:- محبة الناس كلهم بلا أنانية ولا تعصب للون أو قوم أو وطن، وهذا ينعكس على تصرفات الانسان، رحمة وعدلاً.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالناس وأعدل الناس بين الناس وسأعرض نماذج من رحمته ومن عدله. فمن ذلك رحمته بأهله وعياله:-

- عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: ما رأيت احداً ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال كان ابراهيم (ابنه) مسترضعاً في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وانه ليدخن وكان ظئره (زوج المرضعة) قيناً (حداداً) فيأخذه فيقبله ثم يرجع(١).
- ورآه الأقرع بن حابس يقبل الحسن فقال: ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه من لا يرحم لا يرحم).(٢)
- ولما توفي ابنه ابراهيم دمعت عيناه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي ربنا والله يا ابراهيم انا بك لمحزونون.(٣)

ومن ذلك رحمته بأمته وقد شهد الله له بذلك فقال: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ (٤)

- وقال صلى الله عليه وسلم: لولا أن أشق على امتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء (٥)
- وقال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة ان شاء الله من مات من امتي لا يشرك بالله شيئاً(٦) وقد شملت رحمته صلى الله عليه وسلم أعداءه الذين آذوه وشهروا عليه السلاح.
- فقد كان يقول: رب اهد قومي فانهم لا يعلمون(٧).
- ونهى عن قتل النساء والصبيان في قتال العدو(٨).
- وفي يوم خيبر وقعت صفية بنت حيي بن أخطب (أحد زعماء اليهود) في الأسر ومعها بنت عمتها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ان يذهب بها الى رحلة فمر بها بلال وسط القتلى من قومها فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أذهبت الرحمة منك يا بلال(٩)؟

ولم تقف رحمته صلى الله عليه وسلم عند البشر بل تعدتها الى الحيوان.

---

(١) رواه مسلم ، (٢) متفق عليه ، (٣) رواه مسلم ، (٤) التوبة : ١٢٨ ، (٥) رواه احمد.

(٦) متفق عليه ، (٧) رواه مسلم ، (٨) رواه الاربعة ، (٩) سيرة ابن هشام

- قال صلى الله عليه وسلم دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض(١).
- ومر صلى الله عليه وسلم ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة(٢).
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً،(٣) (اي هدفاً للرماية).
- وقال صلى الله عليه وسلم: ان الله كتب الاحسان على كل شيء. فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته، وليرح ذبيحته(٤) وليس معنى الرحمة التهاون في كل شيء وعدم مجازاة المسيء فذلك خور لا رحمة، ولهذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يقتل اليهود الذين غدروا به يوم الأحزاب، ويقتل أبا عزة الشاعر الذي كان أسيراً يوم بدر فعاهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يهجوه ولا يألب عليه الناس فأطلقه، ولكنه غدر وخان فوقع أسيراً يوم حمراء الأسد فأخذ يتشفع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله وقال: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)(٥).

هذه مقتطفات من رحمته صلى الله عليه وسلم.

وأما العدل : فمهما حاول الانسان أن يتمسك به فلن يستطيع الا اذا توفر فيه شرطان:

الاول : الايمان الجازم بأن البشر أخوة لا فرق بينهم في أصل الخلقة وأن الفروق الأخرى الموجودة بالفعل من لون أو عرق لا تفصم عرى تلك الأخوة.

والثاني : حب الحق وجعله أعلى من أي اعتبار آخر.

أما أخوة البشر فلن تجد تعبيراً عنها أروع من هذه التعبيرات في دين الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى ﴿**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾(٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الناس بنو آدم وآدم من تراب)(٧). وأما حب الحق فالرسل كلهم انما أرسلوا لاحقاق الحق وابطال الباطل، ثم انظر الى أثر ذلك في التطبيق العملي:

- عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حب

---

(١) متفق عليه ، (٢) رواه ابو داود

(٣) متفق عليه ، (٤) رواه مسلم ، (٥) متفق عليه.

(٦) الحجرات : ١٣ ، (٧) رواه مسلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ فقال له أسامة؟ استغفر الله لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب فأثنى على الله تعالى بما هو أهله ثم قال: (أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، واني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (١) .

- وفي معركة بدر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل الصفوف وفي يده عصا صغيرة، فمر بسواد بن غزية فوجده بارزا من الصف فطعن في بطنه بالعصا وقال: استو يا سواد فقال له يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني (أي اقتص لي من نفسك) فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال: استقد قال فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد، قال يا رسول الله حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير (٢).

وهذا العدل هو الذي أورث هذا الحب.

ثانياً : مواقف عسكرية:

ان اساليب القتال وعدته تتطور من يوم لآخر، ولكن المعركة لابد لها من الرأي والشجاعة، وبمقدار سداد الرأي وشجاعة المقاتل تكون الغلبة على العدو باذن الله.

وسأتحدث هنا عن مواقف في القتال للرسول صلى الله عليه وسلم يظهر فيها رأيه السديد، وشجاعته الخارقة.

١ . **الرأي** : ويظهر ذلك في النواحي التالية:-

أ . **قدرته على كتم اخباره العسكرية واستطلاع أخبار العدو، من ذلك:**

- أن أبا بكر دخل على ابنته عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي تعد جهازه الذي يخرج به الى الجهاد فسألها: أي بنية أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه؟ قالت نعم، فتجهز قال: فاين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري (٣)

فانظر كيف يكتم أسراره الحربية عن أقرب الناس اليه زوجته وصديقه الأول.

- وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما خرج في غزوة الا كتم عنها وأظهر كأنه يريد غير الوجه الذي يقصده (٤). وذلك ليعمي الأخبار على جواسيس العدو.

- وفي غزوة بدر ارسل رجلين يتلمسان الأخبار فوجدا على ماء بدر جاريتين تتخاصمان تقول احداهما للأخرى: انما تأتي العير (القافلة) غداً أو بعد غد فأخدمهم ثم أقضيك الذي لك

(١) متفق عليه. (٢) سيرة ابن هشام ، (٣) سيرة ابن هشام ، (٤) متفق عليه.

فعلما بذلك خبر القافلة وعادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه، وأرسل دورية أخرى فيها علي، والزبير فألقوا القبض على سقاة لقريش، واستطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بالتحقيق الصحيح أن يعرف منهما أخبار العدو.

ب . اختيار الزمان والمكان المناسبين.

– كان عدد المشركين أكبر من عدد المسلمين في أحد ولذا أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره الى الجبل، ووضع الرماة في موضع عال يسيطر على أرض المعركة.

– وفي بدر نزل على الماء القريب من العدو ليمنعهم منه ومن غيره فيشرب ويهلكهم العطش.

جـ . المفاجأة.

– فلقد فاجأ قريشاً يوم الفتح فما شعروا به الا وهو على ابواب مكة.

د . الحيلـــة.

– في يوم الخندق استطاع بواسطة نعيم بن مسعود أن يخالف بين كلمة بني قريظة اليهود وبين الأحزاب بعد أن تعاهدوا على قتاله.

– وفي يوم فتح مكة أمر كل واحد من المعسكر بايقاد نار حتى يوهم العدو بكثرة جيشه.

– وقد قال صلى الله عليه وسلم: (الحرب خدعة).(١)

هـ . الاستشارة.

ان من الرأي السديد قبول الرأي السديد ولذا قال تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾(٢) وقد كان صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه ويأخذ بالرأي الحكيم.

– ففي يوم بدر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبق قريشاً الى الماء فنزل على أدنى ماء في بدر فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب (الآبار) ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأي فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى اذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية ليشربوا.

---

(١) متفق عليه ، (٢) آل عمران : ١٥٩.

- وفي يوم الأحزاب حفر الخندق بناء على مشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه.
- واراد ايضاً في يوم الأحزاب أن يعاهد غطفان ليرجعوا عن المدينة ويعطيهم ثلث ثمار المدينة ولما استشار الأنصار رجع عن رايه بناء على مشورتهم.

٢ . الشجاعة.

ان شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم يشهد بها كل الذين قاتلوا معه كما تشهد بها الوقائع التي خاضها.

- ففي يوم احد خالف الرماة امر النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سبب الهزيمة بعد النصر، وفر الناس اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت وثبت معه نفر قليل من الصحابة، واصابته جراح كثيرة. ومع ذلك لما تحداه أبي بن خلف لم يرض ان يبرز له احد من الصحابة بل طعنه هو بالرمح فقتله، ولم يرض أن يكون المشركون أعلى منه في الجبل فأرسل عمر بن الخطاب في نفر من الصحابة فقاتلوا من على الجبل حتى انزلوهم.

وفي اليوم التالي خرج في أثر العدو حتى بلغ حمراء الأسد.

- وفي يوم حنين فاجأ العدو جيش النبي صلى الله عليه وسلم بالكمائن ففر الناس وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينادي: اين ايها الناس هلموا الي ويركض ببغلته نحو العدو (١) وكان ثباته هو سبب النصر ذلك اليوم.
- وعن أنس بن مالك: فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول: لن تراعوا.(٢)
- وقال علي رضي الله عنه: انا كنا اذا حمي البأس واحمرت الحدق (عيون المقاتلين) اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو.(٢)
- ولما اتاه يوم الخندق خبر نقض اليهود للعهد (ومعنى ذلك أنه أصبح مطوقاً من كل جهة) لم يتزلزل بل قال: الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين.(٤)
- ولقد كان صلى الله عليه وسلم يقول:-

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبدالمطلب (٥)

وكأنه بهذه الكلمة يبين سبب شجاعته، فالانسان قد يكون سبب شجاعته عقيدته وايمانه القوي الذي يعلمه ان الشجاعة لا تدني الاجل، او اصله الطيب العريق الذي ورث عنه الشجاعة، فهو يخشى ان فر ان يكون سبة على قومه.

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه مسلم ، (٣) اخرجه النسائي ، (٤) سيرة ابن هشام ، (٥) متفق عليه.

والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ الذروة في كـلا الامريـن فهو (نبـي) اي اقـوى النـاس عقيدة واثبتهم ايماناً، وهو ابن عبدالمطلب سيد قريش وابن سادتها.

وبعد: فان ما حققه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياتـه مـن انتصـارات وفتـوح يـدل على حنكته العسكرية والسياسية. ففي عشر سنوات (اي مـن هجرتـه وتاسـيس دولتـه الـى وفاتـه) استطاع ان يجمع الجزيرة العربية في دولة واحدة وان يناوش الروم في مؤتة واعد جيشاً لغزوهـم ولكنه توفي وخرج الجيـش بعده، وبفضـل الاسـس العسـكرية التـي وضعهـا اسـتطاع اصحابـه ان ينساحوا في الارض هداة فاتحين. صلى الله وسلم ورضي عنهم اجمعين.

المسـؤوليـــــة

معنى المسؤولية:

هي الشعور بأن الشخص سيسأل عن اعماله ويجزى عليها ان خيراً فخيراً وان شراً فشـراً، وهذا الشعور هو الذي يجعل الانسان يبتعد عن الشر، ويرغب في الخير وبعبارة جامعة: تجعله يستقيم.

وما من نظام رغب في الخير ورهب من الشر كالاسـلام، فترغيبـه وترهيبـه يبتـدىء باقنـاع النفس وينتهي بالمثوبة والعقوبة الجسمانية، وهذه المسؤولية شخصية لا تتعدى صاحب العمل، قال الله تعالى: ﴿**من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها**﴾(١).

وسنعرض هذه المرغبات والمرهبات بشكل موجز ثـم ننتقل الى بيـان مـا الـذي يسـأل عنـه الانسان.

وأول هذه المرغبات والمرهبات: ارساء قاعدة في ضمير الانسان مفادهـا ان اللـه تعـالى مـا فرض على الانسان شيئاً الا وفيه نفع له علمه او لم يعلمه، وما حرم عليه شيئاً الا وفيه ضـرر لـه علمه او لم يعلمه، وفي ذلك يقول الله تعالى بعد ان فرض الوضوء والتيمم: ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**﴾(٢) ويقول: ﴿**ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾(٣) وهكذا فان فاعل الفرض ينفع نفسه نفعاً عاجلاً وفاعل الحرام يضر نفسه ضرراً عاجلاً فضلاً عن ثواب الآخرة وعقوبتها.

الثاني في المعاملات المدنية : من وافق تعاليم الشريعة كـان تصرفـه صـحيحـاً يـترتب عليـه أثره الشرعي، ومن خالـف كانَ تصرفه باطلاً لا يترتب عليه أثره الشرعي.

فمن اتجر في المباحات ونصح فيها كان دخله حلالاً طيباً، ومن اتجر في الخمور كان ملعوناً وكسبه حراماً. ومثله من كسب من قمار ويانصيب وأمثاله.

الثالث : بعض المخالفات تترتب عليها عقوبـة بدنيـة فـي الدنيـا، وهـي مـا تسـمى بالجنايـات فالسارق تقطع يده، وشارب الخمر يجلد، والقاتل المتعمد بلا حق يقتل، الى جانب سقوط عدالتهـم، واجتناب هذه المخالفات يعني السلامة من عقوباتها، وحفظ العدالة.

الرابع : ان المجتمع الاسلامي ينظر بعين الرضـا والاحـترام للمتقيد بأحكـام الشـريعة بينمـا ينظر بعين الكراهيـة والازدراء لمـن يخالفهـا حتـى فـي الامـور الصـغيرة التـي لا يحاسـب عليهـا القضـاء، وهذا في الواقع يشكل ضغطاً شديداً يدفع في طريق الخير ويدفع عن طريق الشر.

---

(١) فصلت ، (٢) المائدة : ٦ ، (٣) الاعراف : ١٥٧.

الخامس : كل ما سبق هو في الدنيا، اما في الآخرة فهناك يكون الحساب الدقيق قال الله تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾(١) وقال: ﴿**ووجدوا ما عملوا حاضراً**﴾(٢)، ذلك هو الموقف الذي لا يستطيع احد فيه ان يخادع او يراوغ، وهناك لا ينجو الا المستقيمون قال الله تعالى: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم**﴾(٣)

والمؤمن يشعر بمسؤوليته على اعماله كاملة بكل أبعادها وحدودها اذا ذكر ذلك اليوم العصيب.

أنواع المسؤولية:

الانسان عضو في مجتمع ولذا فهو مكلف شرعاً بواجبات تجاه نفسه، وواجبات تجاه مجتمعه، وتختلف واجباته تجاه مجتمعه باختلاف موقعه وعمله في المجتمع.

ونريد ان نعرض بعض واجبات الانسان لنعرف منها بعض انواع مسؤوليته.

أولاً : مسؤولية الانسان عن نفسه.

أ . الانسان مكلف ان ينهى نفسه عن شهواتها المحرمة، وان يزكيها ويطهرها، وان يسلك بها طريق الصلاح والنجاة، والا يلقي بها الى التهلكة قال الله عز وجل: ﴿**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾(٤).

فهو مسؤول عن عقله بأن لا يخامر ولا يقامر، ومسؤول عن لسانه بأن لا يغتاب ولا ينم، ومسؤول عن كل جوارحه لينقذ نفسه من عذاب الله قال عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾.(٥)

ب . والانسان مكلف ان يمتع نفسه ضمن الحدود التي شرعها الله له، وان يمنحها حقها من العمل والراحة فلا ينهكها ويضعفها قال عليه السلام: (المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى).(٦)

جـ . والانسان مكلف ان يحقق لنفسه انسانيتها فقد ميز الله الانسان بالعلم، وعليه ان يوسع علمه ومداركه، وميزه بالروحانية الخاصة، وعليه ان ينمي هذه الروحانية بالتفكير في خلق الله، والتأمل في ملكوته والتنعم بذكره قال الله تعالى: ﴿**وقل رب زدني علما**﴾(٧).

د . لا تسقط مسؤولية الانسان عن نفسه ولو انحرف كل الناس لان الانسان يحاسب عن نفسه لا عن غيره والله عز وجل يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من**

---

(١) الزلزلة : ٧ – ٨ ، (٢) الكهف : ٤٩ ، (٣) الشعراء : ٨٨ – ٨٩ ، (٤) الشمس : ٧ – ١٠ ، (٥) التحريم:٦

(٦) رواه البزار ، (٧) طه : ١١٤.

ضل اذا اهتديتم﴾(١)، واما من يحتج بالتيار وان التيار هو الذي يرغمه على السلوك المعين وترك اوامر الشرع فحجته مردودة لان كل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقفوا وحدهم وكان التيار ضدهم قال عز وجل: **﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين﴾**.(٢)

هـ . ثمرة هذه المسؤولية ان يقيم الانسان من نفسه رقيباً على نفسه، يهديها ان ضلت، ويمنحها حقوقها المشروعة، ويحاسبها ان اخطأت، ويتحمل تبعة اهماله لها.

ثانياً : مسؤولية الانسان عن أهله.

أ . الانسان مكلف بالنفقة على اهله من حيث المسكن والملبس والطعام ونفقة العلاج الخ... وان قصر في ذلك فهو آثم قال عليه السلام كفى بالمرء اثماً ان يضيع من يقوت(٣).

ب . مكلف بتعليمهم امور دينهم: فروض العين كالصلاة والصيام والزكاة، وفروض الكفاية كالجهاد وغيره.

جـ . مسؤول عن تربيتهم اخلاقياً وثقافياً. فهو مكلف ان يؤدب ولده وأن يعلمه اننا مسلمون، وان يربيه على الاعتزاز بالاسلام وعلى محبة اهله ومسؤول عنه في ان يغرس في قلبه كراهية اعداء الله، فان الدين كله حب وبغض، حب في الله وبغض في الله، ومسؤول عن تعليمه القرآن وأمره بالصلاة، وتعليمه يكون بالسلوك لا بالأقوال. ومسؤول عن زوجته وبناته بان يخوفهن من عذاب جهنم وأن يأمرهن بالستر والحشمة، وان يكرههن بتقليد الكافرات، وان يبعدهن عن اجواء الفحش، وان يحفظ عليهن عوراتهن، وان يجلس مع اسرته في أوقات خاصة جلسة للتذاكر والتناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

ثالثاً : مسؤولية الانسان عن المجتمع.

أ . مسؤول عن مكافحة الفساد الاخلاقي، والفساد العقائدي، والفساد الفكري، وهذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكل فرد مسؤول بذاته عن الامر بالمعروف فان لم يفعل فهو آثم وهو معاقب باثمه. وكل فرد مسؤول عن إزالة المنكر الذي يراه (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده... الخ) قال الله عز وجل: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾**(٤)

وفي زمن الخليفة الأول "أبو بكر رضي الله عنه" فهم بعض الناس من قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾**(٥) انه يجوز السكوت عن المنكرات، فقام ابو بكر رضي الله عنه وقال: انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من قوم يعمل فيهم

---

(١) المائدة : ١٠٥ ، (٢) النساء : ٨٤ ، (٣) رواه ابو داود ، (٤) ال عمران : ١٠٤ ، (٥) المائدة : ١٠٥.

بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب)(١).
وترك هذه الفريضة جريمة قال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)(٢).
وهذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل كل الطبقات حتى ولاة الامور قال عليه الصلاة والسلام (افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)(٣) قال عمر بن الخطاب من رأى منكم في اعوجاجاً فليقومه فقال اعرابي لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا فقال الحمد لله الذي جعل من امة محمد من يقوم اعوجاج عمر.
وعاقبة ترك هذه الفريضة شيوع المنكرات بحيث يتعارفها الناس وتصبح جزءاً من حياتهم، وعندما يدعوهم العلماء الى تركها لا يستجيبون، لانه يصعب عليهم ان يخلصوا من الشهوات التي تعلقت قلوبهم بها، واذا ترك الامر بالمعروف اصبحت الامور الشرعية مهجورة وعند دعوتك الناس تبدو غريبة، فاجتثاث الشر من جذوره افضل، وتعليم الناس الطاعة منذ الصغر افضل حتى يشب عليها الصغير ويعتادها الكبير.
ب . من مسؤولية الانسان تجاه المجتمع ما يعرف بالحسبة والحسبة نظام رائع جداً يقوم عليه شخص يقال له المحتسب ووظيفته الامر بالمعروف اذا ظهر تركه والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله، وان نظام البلديات اليوم والاشراف على التموين والصحة ومراقبة الخدمات العامة اشبه ما يكون بنظام الحسبة في الاسلام، واصله ان الرسول عليه السلام قد مر على صبرة طعام فادخل يده في باطنها فوجد فيها بللاً فأنكر ذلك على صاحبها(٤). ومن الحسبة ايضاً النهي عن الغش والاحتكار والكذب والاحتيال على الناس، ومراقبة الاسعار.
جـ . ومن مسؤوليته عن المجتمع أيضاً ان يحسن عمله الخاص لان العمل الخاص ملك للمجتمع والفائدة عائدة عليه في النهاية قال عليه الصلاة والسلام: (ان الله اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه)(٥).
د . كل فرد مسؤول ان يراعي مصالح المجتمع كأنه حارس لها موكل بها كأداء الشهادة وغيرها، فالحياة سفينة والراكبون فيها جميعاً مسؤولون عن سلامتها ولقد صور الرسول عليه السلام مسؤولية الفرد تجاه المجتمع فقال: (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها وكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعاً وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعاً)(٦).

(١) ابو داوود ، (٢) رواه الترمذي ، (٣) رواه الترمذي ، (٤) رواه مسلم ، (٥) رواه ابو يعلى.
(٦) رواه البخاري

هـ . الفرد مسؤول مالياً عن المجتمع ففي ماله حق معين وهو الزكاة وحق قد يقرره الحاكم في حالة احتياج الدولة لما يسمى الانفاق للصالح العام.

رابعاً : مسؤولية الحاكم . الحاكم هو كل من ولاه الله أمراً من أمور الناس وولاة الامور لهم حقوق على الرعية وعليهم واجبات للرعية. قال عليه السلام: (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته).

أ . أما حقوقهم فهي: -

- السمع والطاعة : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : (اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)(١) وقال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾.(٢) والسمع والطاعة في حدود الشرع، قال عليه السلام السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.(٣)
- عدم الخروج عليهم. قال عليه الصلاة والسلام: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية).(٤) وقال: (من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه).(٥)
- النصح لهم. قال عليه الصلاة والسلام: (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم).(٦)

ب . وأما واجباتهم فمنها:-

- **النصح للأمة**. فالوالي عليه ان يحوط الناس بنصحه ويخلص في حكمه قال عليه الصلاة والسلام: (ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرم الله عليه الجنة).(٧)
- **رعاية كل شأن من شؤونهم** . بتفقد احوالهم والعطف عليهم ولقد ضرب سيدنا عمر اروع مثل في ذلك فكان يتفقد الرعية متأسياً بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- **الحرص على مصالح الناس** . بابطال الرشوة ورد الحقوق لاربابها واحترام حرياتهم في دائرة الحق والادب. والعمل على قطع الفساد في الارض ومنع الجرائم بنشر لواء الامن ليحفظ على رعيته نفوسهم وأموالهم فينعموا بالاستقرار.
- **العدل والمساواة** . قال عليه الصلاة والسلام: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله: امام عادل... ورجل قلبه معلق بالمساجد.. الحديث).(٨)

---

(١) رواه البخاري ، (٢) النساء : ٥٩ ، (٣) البخاري ، (٤) رواه مسلم ، (٥) رواه مسلم ، (٦) اخرجه مسلم.

(٧) رواه البخاري ، (٨) متفق عليه.

- ان يعمل على سلامة الرعية من الاعداء بتوفير معدات القتال، وتهيئة جيش في وسعه ان ينازل كل من يبغي بهم وباوطانهم شراً.

- ان يعمل على سلامتهم من الآفات ووقايتهم من العلل والامراض باقامة الملاجيء والمستشفيات.

- وعليه ان يصونهم من الضلال والجهل وأن يقيم المساجد ودور العلم.

- وعليه ان يعمل على انماء ثروتهم بتحسين وسائل الزراعة وترقية الصناعة وان الأمام لمسؤول امام الله عن امته.

خامساً : مسؤولية الضابط . مسؤولية الضابط فرع من مسؤولية الحاكم ومن واجباته الخاصة مايلي:

أ . ان يعرف الهدف من وجوده في الجيش وهو حماية الدين والوطن والمقدسات والاعراض وهو يقاتل حتى يبلغ احدى الحسنيين اما ان ينتصر فتعلو كلمة الله واما ان يستشهد في سبيل الله وبذلك تكون حياته خير حياة.

ب . ان يحافظ على جنده ولا يحملهم من الامر فوق طاقتهم، وان يحرص على سلامتهم، والا يفرق بينهم في المعاملة، وان يكون لهم في كل تصرفاته مثلا وقدوة، والا يجعل بينه وبين جنوده حاجزاً فيمنع المظلوم من الشكوى وذا الحاجة من رفع حاجته.

جـ . ان يتصل بالجند ويتقرب اليهم ويغرس فيهم روح الكرامة، وان يستشيرهم فيما تمك فيه الاستشارة، وان يتصرف بحكمة في كل الامور التي تتصل بالجند، وفي مقدمة ذلك ، يكون موضع الثقة فيؤمن جنده بقيادته، ويلتزمون بقراراته، ويندفعون وراءه وهم مطمئنون الى حكمته وقدرته.

د . محاولة صنع تاريخ لامته، وذلك بان يتفرغ للجندية، ويفهم واجباتها، فهي ليست مهنة او وظيفة يجمع منها المال، لا بل عليه ان يسعى جاداً ليحقق الشيء الكثير بحكمته وادارته، لحماية دينه وأمته ومن أخذ الأجرة حوسب على العمل واتقان العمل من الواجبات الدينية لكل انسان.

هـ . ان يقتدي بالقادة العظام من اجداده امثال خالد بطل اليرموك، وصلاح الدين بطل حطين، وقطز بطل عين جالوت ومحمد الفاتح فاتح القسطنطينية وغيرهم.

سادساً : مسؤولية الجند .

الجند هم فخر الأمة ودرع الوطن ومن واجباتهم:-

أ . الولاء لقائدهم، فيسمعون له ويطيعون ويعملون وفق رأيه.

ب . احترام الامر وتنفيذه فلا يخالفون الاوامر ولا ينشقون عنها.

جـ . التزامهم بالخطة التي يضعها القائد، والثبات عليها حتى تنجح أو تغير.

د . الشعور بأهمية العمل الذي يقومون به فقد يتوقف عليه مصير الأمة كلها.

هـ . ان يسعى الجند دائماً الى ان يكونوا في موضع ثقة القائد، وذلك باخلاصهم في أعمالهم لله، فيندفعون وراءه وهم مطمئنون الى حكمته في تصريف الامور.

سابعاً : مسؤولية الموظف.

أ . انجاز العمل الذي وكل اليه بدقة وسرعة حسب الامكان.

ب . عدم قتل الوقت بشرب الشاي والقهوة والمراجع ينتظر.

جـ . عدم الرشوة والاحتيال على القانون.

د . الاخلاص في العمل، لأن من قواعد الاسلام ان من اخذ اجرة حوسب على عمله. وبالاخلاص يشعر بالطمأنينة ويحصل على الاجر والثواب، ويكون الراتب حلالاً.

ثامناً : مسؤولية القاضي.

أ . الحكم بالعدل، قال تعالى: ﴿**اعدلوا هو اقرب للتقوى**﴾ (١).

ب . ألا تأخذه في الحق لومة لائم.

جـ . ان يكون نزيهاً فلا يمد يده الى اموال المتخاصمين، ولا يستغل مركزه لمصلحة شخصية، لأن الرسول عليه السلام لعن الراشي والمرتشي والرائش (الواسطة بينهما).(٢)

د . ان لا يقبل الهدية ولا يقوم باعمال تسبب التهمة وسوء الظن به.

تاسعاً : مسؤولية العالم.

أ . العمل بعلمه. قال عليه الصلاة والسلام: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع: منها وعن علمه ماذا عمل به).(٣)

ب . تعليم العلم للناس ونشره بالحكمة والاسلوب الحسن قال عليه الصلاة والسلام: (من اعطاه الله علماً فكتمه ألجمه الله بلجام من النار).(٤)

جـ . ان يقول كلمة الحق ولا تأخذه في الحق لومة لائم.

د . ان يكون قدوة للناس في جوهره ومظهره.

عاشراً : مسؤولية شباب العصر.

أ . الجدية في الامور، أي أخذ الامر بجد واهتمام والعمل المتواصل على تحقيق الخير والنصر للأمة.

ب . ازالة الاحتلال عن الارض والمقدسات والمحافظة على حرمات الاوطان لأن هذا

---

(١) المائدة : ٨ ، (٢) رواه احمد ، (٣) رواه الترمذي ، (٤) رواه ابو داوود.

واجب في ذمة الشباب فليحقق الشباب جمع الشمل بالاهل وراء النهر، وتحرير المقدسات، وارجاع الحق المغصوب بكل انواع الجهاد الذي فرضه الله تعالى.

جـ . الجهد اللامتناهي لأن عصرنا عصر عمل ونشاط ويتطلب ان يغتنم الشباب الوقت فالوقت هو الحياة وهو كالسيف ان لم يقطعه الانسان قطعه.

د . العودة الى الاسلام عقيدة وعبادة ونظام حياة فهو الصراط المستقيم الذي رضيه لنا رب العالمين واحكم الحاكمين.

هـ . العمل على وحدة المسلمين ورفع شأنهم في كل ناحية من نواحي الحياة.

و . الفكر النير والتثقف بأحكام الاسلام ففيها الشفاء للنفس والواقع.

ز . ادراك الموقف ومعرفة الظرف الدقيق الذي تمر به امتنا وهو يحتاج الى الفهم والاخلاص والعمل والتضحية والثبات.

والاهتمام بهذه المسؤوليات والسعي لتحقيقها واجب على كل شاب من شباب الامة، ولا ينسى هذا أو يغفل عنه أو يستهين به أو يستصغره أو يعمى عن خطره الا من ذهل عن كيانه وأضاع نفسه، وقطع الصلة مع امته وعقيدته وماضيه، وان في كل شاب خيراً كبيراً وقوة عظيمة ما لم ينس نفسه ويستصغر شأنه، انه يستطيع ان يفهم مسؤولياته ويقوم بها اذا استطاع ان يتخلص من سلطان المادة وما غزانا به الغرب من افكار مضللة وأوهام باطلة، وأخيراً لا بد من فهم الملاحظتين التاليتين:

أ . ان الله رقيب في السر والعلن، وان عين القانون ان نامت فان عين الله لا تنام قال تعالى: ﴿**يعلم السر وأخفى**﴾(١) فلا فرار اذن من المسؤولية.

ب . لا أحد بلا مسؤولية، بل الكل مسؤول حتى المرأة في بيتها قال عليه الصلاة والسلام: (كلكم راع، وكل راع مسؤول عن رعيته. الامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها). (٢)

فليعمل كل في حدود مسؤوليته قال الله تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾.(٣)

---

(١) طـه : ٧.

(٢) متفق عليه ، (٣) التوبة : ١٠٥.

القضـــاء على الفقـــر

المقدمـــة :

اذا كانت بعض المذاهب الاقتصادية تحارب الغنى الفردي في المجتمع فان الاسلام يحارب الفقر، وإذا كانت تصب غضبها على الاغنياء، فانه يأخذ بأيدي الفقراء، واذا كانت قد وصلت في بعض البلدان الى افقار كل الشعب فلقد وصل الى اغناء كل الشعب، وفي هذه الاسطر القليلة اريد ان ابين المخطط العملي الذي وضعه الاسلام لاستئصال الفقر من المجتمع والذي يمكن ان ينجح في كل مجتمع وفي كل زمان، وجدير بالفقر ان يستأصل فهو ثالث علل المجتمع القاتلة والاول والثاني: الجهل، والمرض، واذا كان الاسلام قد اعلن الحرب على الجهل عندما نزل قول الله تعالى: : ﴿**اقرأ**﴾(١) في الضوء الاول من فجر الرسالة المحمدية، وعلى المرض بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (تداووا فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء)(٢) فانه قد خطط لازالة الفقر من المجتمع وفعلا نجح، كما يشهد بذلك التاريخ، وقد شن الغارة عليه من عدة نواح.

الناحية النفسية :

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ان الفقر وضع سيء يجب السعي الى تغييره، وذلك واضح من كلامه عليه الصلاة والسلام، فلقد كان يقول في دعائه: (أعوذ بك من فتنة الفقر)(٣) ويقول: (وأعوذ بك من غلبة الدين)(٤) ويقول: (كاد الفقر ان يكون كفراً) (٥).

وبين الاسلام للناس ان الرزق بيد الله تعالى وانه يبعثه لكل المخلوقات قال تعالى: ﴿**وما من دابة في الارض الا على الله رزقها**﴾(٦) ولكن شرط الحصول عليه هو العمل قال تعالى: ﴿**فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**﴾(٧) فمن الخطأ الظن بان المال محصور في طبقة معينة، وأن الله قد جعله وقفاً عليهم لا يتعداهم الى غيرهم الا بارادتهم واذن منهم، فكل واحد يستطيع ان شاء الله ان يجمع ما يغنيه عن الناس اذا جد واجتهد، ولا داعي لتملق الاغنياء والتماس ما عندهم، فالرزق عند الله وليس عندهم، قال تعالى: ﴿**فابتغوا عند الله الرزق**﴾(٨) وقال: ﴿**ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾(٩) ومن الخطأ ايضاً الظن بأن وجود المال في يد الانسان دليل رضى الله عليه، فان الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ومقياس الافضلية في المجتمع الاسلامي انما هو التقوى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان فقيراً لأنه كان ينفق ما يأتيه على مصالح المسلمين، بل ان كفاح الفقير في طلب الرزق عبادة يثاب عليها، وساعات عمله

---

(١) العلق : ١ ، (٢) رواه احمد ، (٣) رواه البخاري ، (٤) رواه ابو داوود ، (٥) اخرجه البيهقي ، (٦) هود : ٦

(٧) الملك :١٥ (٨) العنكبوت : ١٧، (٩) الذاريات : ٥٨.

وهي ساعات عبادة وان كانت لا تغني عن أداء الفرائض، فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: (مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فرأى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان) (١). ولعل هذا سبب دخول الفقراء الجنة قبل الاغنياء، لأن الغني مهما كان صالحاً لا يقضي في العبادة ساعات تساوي ساعات العمل عند العامل، وان ساواه فان العامل يزيد عليه بان عمله يتعدى نفعه الى غيره وعبادة المتعبد مقصور نفعها عليه، هذا في الفقراء الصالحين والاغنياء الصالحين أما غير الصالحين فلهم حساب آخر، فالصالح خير من الفاسق على اي حال.

واذا تبلورت هذه المعاني في نفس المسلم انحلت عقدة ما زالت مستعصية في النفوس، وهي الظن بان المال هو فقط ذلك الموجود في ايدي الاغنياء، والذي لا ينال الا بالتذلل لهم، وهذا يعطيهم فرصة للتحكم في الرقاب، مع ان الله اودع في الارض من الاموال اضعاف ما في ايدي الاغنياء، ولذا اطلق الاسلام الانسان من هذا السجن الوهمي وارسله يطلب الرزق من بابه الواسع وهو العمل.

واذا كنا نجد بعض الاحاديث تذكر ثواب الفقراء وأجرهم فانما هي في حق فقير جاد في طلب رزقه تخفف عنه تعبه اذا اضناه التعب، وتريح نفسه اذا تعب جسده، والا فمن ينسى دعا النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما عندما جهزا جيش العسرة.

نظام الزكاة :

واذا كان العمل هو المصدر الرئيسي للمال والثروة، فانه يحتاج في اكثر اشكاله الى راسمال يشكل النواة الاولى للثروة، ومن أجل ذلك فرض الله تعالى الزكاة ليتيح الفرصة للفقير ان يعمل ويكسب رزقه بشرف، وقد يدهش البعض الذين يتصورون أو يصور لهم اعداء الاسلام والجاهلون به ان الزكاة هي باختصار: اتكال الفقراء على فضل الاغنياء يدهشون اذا قلنا ان الزكاة اتاحة فرصة عمل للفقير، ولكن لا داعي للدهشة فبيان ذلك فيما يلي: لقد فرض الله تعالى على الاغنياء ان يدفعوا من اموالهم كل عام مقداراً من المال بنسبة معينة من ثروتهم يدفعونه الى الدولة كما يدفع سائر الناس في العالم الضرائب الى دولهم. والدولة هي التي تتولى جمعه وليس

---

(١) رواه الطبراني.

الفقراء، فاذا اجتمع لديها هذا المال استدعت الفقراء ثم تسأل كل واحد منهم عن حرفته فتعطيه من المال ما يكفي لأن يكون رأس مال يتناسب مع حرفته، ويكفي لبدء العمل في تلك الحرفة، ولقد حدد الفقهاء ما يعطاه كل صاحب حرفة بحسب نوعها وذلك بالنسبة لأيامهم/ وأما العاجز عن العمل لكبر أو عاهة او غير ذلك فقالوا يشتري له ولي الامر أرضاً أو عقاراً يعيش من ريعه، وبهذا يكون قد تهيأ لكل مواطن فرصة العمل الشريف ويصبح عضواً نافعاً في المجتمع، واذا كانت الحرف اليدوية قد قل شأنها هذه الايام بالنسبة للمصانع الحديثة، فان من الممكن ان يتخذ الامر شكلاً آخر، كأن تؤسس من أموال الزكاة – وهي مبلغ ضخم لا يستهان به – مصانع يشغل فيها الفقراء القادرون على العمل، فيكون لهم اجرهم على عملهم، ثم تكون لهم حصة من الارباح باعتبار ان المعمل ملك الفقراء، وهكذا نكون قد نفعنا البلاد بوجود مصانع فيها وقضينا حاجة الفقراء، هذا هو الاصل في توزيع الزكاة، ولكن لما بطل جمع الزكاة من قبل الدولة اضطر المزكون الى دفعها بشكل فردي، وهم بذلك يبرئون ذمتهم أمام الله ولكن الزكاة لا تؤدي عندئذ غرضها الاصلي.

وهنا يجب ان نذكر نقطة مهمة وهي: ان الزكاة ليست كل المطلوب من الاغنياء، بل هي الحد الادنى الذي لا يجوز النزول عنه، والذي تعاقب الدولة من لا يؤديه، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمانعي الزكاة، أما الحد الاعلى فمتروك لصاحب المال، لكن بشرط ان لا يصل الى الاضرار بنفسه أو بمن يعول، وباب الصدقات واسع في الاسلام، ونظام الوقف في الشريعة الاسلامية من مفاخرنا التي نباهي بها الامم، فقد كانت توقف العقارات الكثيرة على كل وجه من وجوه الخير، كبناء القناطر والجسور، واعمار المدارس والمستشفيات وتربية الايتام، بل وصل البر بالمسلمين ان يجعلوا وقفاً للقطط المهملة، وجامع القطط معروف في دمشق، وانما دفع المسلمين الى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (في كل كبد رطبة أجر).(١)

ويمكن ان يتخذ الاحسان والصدقة اليوم شكل جمعيات خيرية يقوم عليها امناء فذلك اجدى واجدر في تنظيم شؤون الاحسان واغاثة المحتاجين، ومن المقرر فقهاً ان الدولة اذا احتاجت الى المال من اجل مقاتلة عدو، أو اغاثة منكوبين في الامة ولم يوجد عندها ما يكفي جاز لها الاخذ من اموال الناس سواء على سبيل القرض ام بدون مقابل، لأن كل اموال الامة تصبح تحت تصرف ولي الامر في حالة الاضطرار.

كفالة الاقارب :

ومن أجل تخفيف الضغط على ابواب الدولة وعلى ميزانية الزكاة ومن أجل اعتبارات انسانية واخلاقية، الزم الاسلام الاقارب ان ينفق غنيهم على فقيرهم اذا كان الفقير عاجزاً عن

(١) متفق عليه.

العمل لعلة، أو بطالة أي عدم وجود عمل، اذ ليس من الاخلاق ان يلتمس هذا العاجز ابواب الدولة وقريبه الغني يعيش في ترف ونعيم، او على الاقل يستطيع ان يسد عوزه وحاجته، اما اذا كان هذا المحتاج قادراً على العمل والعمل متوفر فلا تجب نفقته على قريبه، بل عليه ان يطرق ابواب الرزق، واستثنى بعض الفقهاء من ذلك الوالد فيجب على ولده ان ينفق عليه اذا كان فقيراً ولو كان يستطيع العمل، وذلك جزاء إحسان الوالد السابق، فمن وهبك الله الحياة بسببه لا يجوز ان تبخل عليه بالمال.

كفالة الدولة :

أما الفقير العاجز الذي لا قرابة له، فيجب على الدولة ان تسد عوزة ولو من غير قسم الزكاة لأنها راعية للأمة وكل راع مسؤول عن رعيته.

كفالة المجتمع :

ووراء كل هذا كله تأتي كفالة المجتمع لمعالجة الحالات التي لا تشملها الترتيبات السابقة فريثما يصل الامر الى الدولة، وريثما يقضي القاضي بالنفقة، وريثما يجد العامل عملاً يجب على المجتمع ان يكفل الفقراء، وعلى أهل كل منطقة ان يتفقدوا من عندهم من فقراء في مثل هذه الحالات، واذا قصروا في واجبهم فقد أثموا جميعاً أمام الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: (ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم)(١). والجار الى اربعين داراً في كل جهة في عرف الاسلام، ويمكن هذه الايام للجمعيات الخيرية ان تتولى هذا الامر فتتفقد العائلات المستورة، والذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف، لا يسألون الناس الحافاً ريثما تصلهم مساعدة الدولة وحصتهم من بيت المال.

الحد الادنى للمعيشة :

والحد الادنى من المعيشة الذي يجب ان يتوفر لكل واحد من المجتمع، هو الطعام الذي يناسبه ويناسب عياله ان كان ذا عيال، ويتبع ذلك أدوات الطبخ والطعام والوقود، كل ذلك بما يناسب كرامة الانسان، فليس من الكفاية ان يأكل في قعب من الخشب في عصر الأواني الزجاجية الفاخرة... الخ، ثم اللباس المناسب في فصل الصيف وفي فصل الشتاء، ويتبع ذلك خزائن الملابس وأدوات الغسيل... الخ، ثم المسكن المناسب وما يتطلبه من أثاث ومرافق، وبكلمة مختصرة يجب ان يؤمن له من هذه الثلاثة مالا يعد مزريا به بحسب البيئة والعصر الذي هو فيه.

هذه الثلاثة يجب ان تؤمن لكل واحد في المجتمع، وعلى الدولة رعاية ذلك فتوفر له من

---

(١) رواه الطبراني.

العمل ما يضمن له الحصول عليها، فان كان عاجزاً عن العمل أو كانت فترة بطالة في البلاد وجب تأمينها له من بيت المال، وكذا يجب على القريب ان يؤمنها لقريبة اذا وجبت نفقته عليه، واذا كانت الدول الراقية اليوم تكفل العامل في أيام البطالة أو العجز ويعد ذلك من أرقى ما وصلت اليه أنظمة المجتمع فان هذه الكفالة مقررة في الاسلام ومطبقة منذ عهده الاول، ومن لا يعرف قصة عمر عندما رأى المتسول اليهودي فقال: ما انصفناك اخذنا منك الجزية قوياً وضيعناك عاجزاً ثم أمر له براتب من بيت المال، نعم انه يهودي كافر ولكنه عضو في المجتمع يجب ان يؤمن له ما يؤمن لغيره، والدولة لا تأخذ الضرائب لتضخم خزائنها ولكن لتعين العاجز ثم تعين دافع الضريبة نفسه اذا عجز، بل لقد عرف الاسلام شيئاً لم تعرفه الدول حتى الآن وهو ان المال الزائد عن حاجة الدولة يوزع على الناس كل الناس غنيهم وفقيرهم، وهو ما يسمى بالعطاء وفي ذلك رفع لمستوى المعيشة بين الناس وهو خير من تكديسه في الخزائن.

التسول

أما التسول فقد حرمه الاسلام قال عليه الصلاة والسلام: (من يسأل الناس أموالهم تكثراً فأنما يسأل جمراً فليستقل أو يستكثر)(١) ولم يسمح به الا لحاجة ملحة ليقيم الانسان اوده، وليس معنى هذا ان يتخذ التسول حرفة انما يكون لحالة طارئة، وعند ذلك يكون عدد المتسولين مطابقاً تماماً لعدد المحتاجين الذين لم يجدوا عملاً، ولم تشملهم الرعاية، فتسارع اليهم أيادي الاحسان من كل جهة من المؤسسات الرسمية والشعبية.

أما ارخاء الحبل للمتسولين كما هو الحال في كثير من بلادنا فهو تشجيع لهم على الكسل واهدار لكرامة الانسان، ثم هم لا يعلمون ان هذا حرام أو يعلمون ويتجرأون على المعصية كما يتجرأ الناس على المعاصي، وليس معنى هذا ان لا نمد لهم يد الاحسان، بل نعطيهم فقد يكون بينهم المحتاج ونترك امرهم الى اللـه، ثم الى ولاة الامور، واذكر هنا مشروعاً قام به بعض العلماء في احد البلدان الاسلامية بالتعاون مع الدولة لقد أسسوا جمعية خيرية تجمع الاموال من المشتركين ثم جعلت لها دوريات في الشوارع مع رجال الامن فمن وجدوه يتسول اخذوه وحققوا معه، فان كان ذا حاجة رتبوا له من المال ما يسد حاجته، وان كان محترفاً غير محتاج احالوه الى القضاء لينال جزاءه العادل، وبهذا نظفت البلد تماماً من المتسولين، فليت المسلمين في كل البلدان يطبقون هذه الفكرة، اذن لوصل الاحسان الى المحتاجين.

وبعد فهذه هي الترتيبات التي وضعها الاسلام للقضاء على الفقر وقد نجح في ذلك ايما نجاح وآتت اكلها أيام عمر بن عبدالعزيز ووقف التاريخ ليسجل كلمة يحيي بن سعد قال، بعثني عمر بن

---

(١) رواه مسلم.

عبدالعزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد فقيراً ولم نجد من يأخذها منا، فقد اغنى عمر بن عبدالعزيز الناس، نعم لقد اغناهم الاسلام الذي كان يطبقه ويسير على هداه عمر عبدالعزيز، وهو ما يزال بيننا قادراً اليوم على تحقيق ما حققه بالامس، فما بالنا نلتفت يميناً وشمالاً نبحث عن المذاهب والافكار.

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

حقوق المرأة في الاسلام

حقوق المرأة موضوع كتب فيه الكتاب والمفكرون الشي الكثير، وكان كل منهم يعرض لهذا الموضوع من وجهة نظره الخاصة التي تمليها عليه عقيدته أو تفكيراته الشخصية، والمقارنة بين هذه الآراء وترجيحها أو تزييفها أمر يطول البحث فيه، ولكني أريد أن أبين وجهة النظر الاسلامية في ذلك، فأنه اذا عرف الحق عرف الباطل الذي يخالفه.

المرأة في نظر الاسلام هي اخت الرجل وشقيقته، خلقا من مادة واحدة، ولكن جعل الله لكل واحدة منهما وظيفته في الحياة.

فما تتفق فيه المرأة مع الرجل من حيث الخلقة والانسانية تتساوى في حقوقها وواجباتها بحقوق الرجل وواجبته، وما تختلف فيه طبيعتهما تختلف حقوقهما وواجباتهما تبعاً لذلك، اذ ليس من العدل ان تفرض قوانين موحدة على شخصين لهما طبيعتان مختلفتان، هذا هو الاساس الذي تنطلق منه نظرة الاسلام للمرأة وحقوقها، وسأعرض لهذه الحقوق منذ طفولة المرأة حتى وفاتها وحتى ما بعد الوفاة، وبذلك استوفي جميع ما لها من حقوق.

كان العرب اذا بشر أحدهم بأنه قد ولدت له انثى عد ذلك مصيبة وغضباً من الله عليه، وذلك خوفاً مما قد تجره عليه هذه المخلوقة من عار، وارضاء لهذه العنجهية كان بعضهم يعمدون الى دفن بناتهمْ وهن على قيد الحياة.

فلما جاء الاسلام ندد بهذه العقلية واعتبر هذا العمل من ابشع الجرائم قال الله تعالى: **﴿واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾** اي ممتلئاً غماً قال الله تعالى: **﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾**(١) أي ان احدهم كان يتردد بين ابقاء إبنته مع ما في ذلك من ذلة وبين أن يدفنها في التراب.

وقد أمر الله بالاحسان الى البنت والعناية بتربيتها وجعل ثواب ذلك الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانت له انثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ادخله الله الجنة)(٢). ولم يفرق الاسلام بينها وبين أخيها الذكر في الرضاعة أو النفقة.

فاذا بلغت البنت سن الزواج وجب على والدها ان يشاورها في هذا الامر اذا تقدم رجل لخطبتها. ولعل البعض يجد في هذا نوعاً من المهانة، و هذا التفكير من بقايا الجاهلية لا يلتفت اليه امام تقرير مصير انسان، قال عليه الصلاة والسلام: لا تنكح الأيم (أي : لا تزوج التي سبق لها أن تزوجت)، حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله وكيف اذنها قال: ان

---

(١) النحل : ٥٨ – ٥٩ ، (٢) رواه ابو داوود.

تسكت)(١) واما اذا كانت مطلقة أو أرملة فلا يصح عقد نكاحها حتى تعلن رضاها صراحة.

وأما المهر فانه واجب على الزوج يدفعه لزوجته وليس ثمناً لها فهي أعز من ان تباع، انه هدية لها من الزوج قال الله تعالى: ﴿**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة**﴾(٢) أي عطية عن طيب نفس ولم يقل ثمناً، ثم ان هذا المهر ملك خاص لها لا يجوز لأحد ان يأخذ منه شيئاً إلا باذنها حتى ولا أبوها أو أخوها، بل هي حرة تتصرف به كما تريد، أما الذين يعتبرون المهر ثمناً لبناتهم فيكفي انهم قد انحطوا بانفسهم الى درجة من يباع ولده ويشتري.

وبعد الزواج تجب نفقتها على زوجها وكذلك نفقة أولادها، لكي تتفرغ لأعمال البيت وتربية الاولاد ولا تهان كرامتها في طلب الرزق، فاذا ما صارت اما فقد اوجب الله لها حقاً على ولدها اكبر من حق ابيه فقد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول من احق الناس بحسن صحابتي؟ قال: امك: قال ثم من؟ قال: امك، قال ثم من؟ قال: امك، قال ثم من؟ قال أبوك)(٣) وذلك اعتراف من الاسلام بفضل الام وتقدير لما تعانيه في سبيل تربية الاولاد.

وأما الميراث فقد جعل الله لها نصف حصة الذكر الذي يساويها في القرب من الميت قال الله تعالى: ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين**﴾(٤) وهنا تثور ثائرة بعض الناس ويرون في ذلك دليلاً صارخاً على احتقار الاسلام للمرأة، وهذا ليس بصحيح، فان الاسلام عندما أعطى الذكر ضعفي نصيب اخته فرض عليه ان يدفع مهراً لزوجته، بينما فرض لها ان تأخذ المهر، وكلفه أن ينفق على زوجته وأولاده، بينما كلف زوجها ان ينفق عليها وعلى أولادها، وبعملية حسابية صغيرة يتبين ان نصيب الاخت أوفر من نصيب اخيها في كثير من الحالات! نعم ان بعض الآباء قد يكون غنياً ولكن لا تنس ان مهر بناتهم يناسب غناهم في العادة.

واما عند الوفاة وبعدها فلا فرق في صلاة الجنازة ولا في شكل القبر وبنائه بين رجل وامرأة، ويوم الحساب لا يفرق الله بين ذكر وأنثى قال الله تعالى: : ﴿**ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا**﴾.(٥)

وفي بحر المعاملات الدنيوية من بيع وشراء وشركة وغيرها لا فرق بين الرجل والمرأة فلكل منهما ان يدير امواله وينميها ضمن حدود الشرع، وما تقتضيه احكام الاسلام بالنسبة للمرأة وخلطتها بالرجال.

مما تقدم يظهر ان الاسلام لم يظلم المرأة ولم يحقرها أو يغض من قدرها.

بقيت هناك مسائل قد يرى فيها الانسان نوعاً من النقص لقيمة المرأة، وبالتأمل يظهر انه لا نقص وانما التمييز راجع الى طبيعة المرأة كما قدمت، ومن هذه الامور أن الله جعل الطلاق بيد

---

(١) متفق عليه ، (٢) النساء : ٤ ، (٣) متفق عليه ، (٤) النساء : ١١.

(٥) النساء : ١٢٤ والنقير نقرة صغيرة في ظهر نواة التمر

الرجل ولم يجعله بيد المرأة، والحكمة من ذلك ان الرجل هو الذي دفع المهر وهو غالباً أكثر تحملا منها للصدمات الناشئة عن الخلافات الزوجية، ولو جعل الطلاق في يدها لتضاعفت قضايا الطلاق أمام المحاكم الشرعية. فالمرأة اذا غضبت استهانت بكل شيء، وهذا ما أشار الله اليه بقوله: ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم**﴾(١) وتقدم في بحث نظام الاسرة كيف يكون الطلاق الشرعي ومتى.

وأما جعل قيادة البيت بيد الرجل فهذا لا اشكال فيه، لأنه لابد لهذه الاسرة من قائد يوجهها، فأما ان نجعل القيادة بيد الرجل والمرأة سوية، وهذا غير معقول لأنه يؤدي الى النزاع المستمر في كل قضية، وأما ان يجعل بيد احدهما، وما من شك ان الرجل احق منها بذلك، لأنه اقدر على مخالطة المجتمع، وهذه المحافظة تكسبه خبرة في حل المشاكل، بالاضافة الى قوته الفطرية، وانشغالها هي بأمور البيت والأولاد.

وليس معنى ذلك ان الله اعطى الزوج سلطة مطلقة على زوجته فولاية الناس بعضهم على بعض مقيدة بأحكام الشرع ثم بالمصلحة، وقد أوصاه الله بها خيراً قال تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾(٢) وقد عد النبي صلى الله عليه وسلم اكرامهن علامة على سمو النفس وحسن الخلق، فقال عليه الصلاة والسلام: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).(٣) وكم أوصى بهن النبي عليه الصلاة والسلام.

وأما جواز تعدد الزوجات فانه تقتضيه ظروف كثيرة، كأن تكون المرأة مريضة أو عاقراً، أو تنشب حرب تذهب بالرجال فتكثر في المجتمع الأرامل والعوانس وهذا خطر لا يدفعه الا جواز التعدد، وهو عطف ورحمة عليهن من الحكيم الخبير لئلا يبقين ضائعات في المجتمع.

وأما المرأة فلو ابيح لها ان تعدد الازواج لاختلطت الانساب، وتفشت الامراض، وحسبنا ما قاله بعضهم: ان الرجل لو تزوج مائة إمرأة لكسب المجتمع مائة طفل، ولو تزوجت المرأة مائة رجل لما كسب المجتمع الا طفلاً واحداً وقد لا يكسب.

بقي مسألة تسليمها رئاسة الدولة أو قيادة الجيوش، ان هذا لا يجوز مطلقاً في الاسلام قال عليه الصلاة والسلام: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة)(٤) والحكمة في ذلك أن المرأة عاطفية فقد تغضب مرة فتقذف البلاد في حرب طاحنة لا تعلم نتيجتها، أو تستاء من رجل من رجالات الدولة فتطيح به وتخسره البلاد، وقد يحدث العكس بأن تعطف على رجل فتسلمه مقاليد الامور وليس بأهل لها، ثم ان المرأة لا يمكن أن تكون قائدة جيش فقائد الجيش يجب ان تتوفر فيه الشجاعة والحكمة فلا يرهبه منظر الدم ولا اشلاء القتلى في سبيل الحق والعدالة، ومن يرى موقف المرأة

---

(١) النساء : ٣٤ ، (٢) النساء : ١٩.

(٣) اخرجه الترمذي ، (٤) رواه البخاري.

عندما ترى الدم ينزف من اصبع ولدها يعلم انها لا تصلح لذلك.

والحكم للأغلب ، والشاذ لا يقاس عليه

ومسألة التوظيف التي تطالب بها المرأة مسألة فيها تعطيل لطاقات المجتمع، فالمرأة اذا توظفت فقد احتلت كرسياً كان من الممكن ان يتولاه شاب في مقتبل العمر، وبذلك يبقى عاطلاً عن العمل، فلا يستطيع ان يبني اسرة تنجب الاطفال للمجتمع، وتلك البنت التي كان هذا الشاب سيجعلها زوجته تبقى بدون زواج، وقد تضطر للخدمة في بيت تلك السيدة الموظفة، وهكذا حرمت المجتمع بوظيفتها من أسرة جديدة، ومن ناحية أخرى فان ترك أولادها في يد الخدم يعني نشوءهم على اخلاق الخدم، وامة تنشأ فيها اجيال يتخلقون بأخلاق الخدم لا خير فيها، نعم بعض النساء قد لا يتزوجن ولا بد لهن من عمل يكتسبن منه وهؤلاء النسوة يجدن في المجتمع وظائف لا تليق الا بالنساء كتعليم البنات أو تطبيب النساء، وعلى أي حال فلا مانع من الوظيفة اذا كانت لا تعرضها للفتنة، ومن اكبر الفتن اليوم زيها، وزينتها التي تواجه به الرجال في المكتب والطريق.

وأما العلم والتعلم فالاسلام لا يمنع المرأة منهما، وقد عرف التاريخ عالمات مسلمات منهن المحدثات والفقيهات والاديبات، ومن بلدنا هذا الاردن ظهرت عالمة لها صيتها في الكتب هي: (عائشة الباعونية) وهي من بلدة صغيرة من قرى عجلون، وقد سمي أحد شوارع العاصمة باسمها، لكن الذي يأباه الاسلام هو ان تخرج الطالبة الى المدرسة متكشفة سافرة، حاسرة الرأس، تعرض على الناس مفاتنها، وفي هذا البذل ابتذال لقيمتها، ان العلم يجب ان يقترن بالحشمة والادب، واللباس الاسلامي.

هذه هي حقوق المرأة في الاسلام لم يحرمها من حق هي أهل له ولم ينقص من قدرها، وانما اعتبرها انسانة لها من الحقوق ما يناسبها، أما المساواة المطلقة فغير ممكنة لأن الله قد خصها بالحمل والاولاد وتربية الاطفال، وان الحيض ليذكرها كل شهر بأنها ليست كالرجل، فالدم الذي تنزفه يؤثر على جسمها عامة ومنه الجهاز العصبي، والمساواة المطلقة تقتضي قلب الطبائع وهو مستحيل.

فماذا يريد بعد ذلك المطالبون بحقوق المرأة؟ ان كانوا يريدون انصافها فقد انصفها الاسلام، وان كانوا يريدون ان تخرج الى الشارع سافرة متبرجة فهم يريدون ارضاء نزواتهم ليشبعوا عيونهم الجائعة، ويريدون ان تبطل الغيرة والشهامة من نفوس الرجال، وتنزع الحمية من قلوبهم فينطلقوا بعد ذلك في اعراض الناس انطلاق الذئاب في قطيع الغنم، لا يحللون ولا يحرمون، ولا يعرفون شرفاً ولا نخوة، ان الغرب عندما فعلوا ذلك أهانوا المرأة، فأجبروها ان تعمل في المصانع، وتلهوا بها في الحياة العامة، وجعلوا منها وسيلة لترويج بضائعهم، فالحذاء الجيد ترسم

عليه صورة إمرأة تقدمه، والبضاعة الحسنة هي التي زينت بصورة المرأة، وغير ذلك كثير من السلع التي ترسم عليها صورة النساء تحملها وتعرضها للناس، كل هذا احتقار للمرأة باسم التكريم، وذل لها باسم المطالبة بالحقوق، فان كان الذين يطالبون بحقوق المرأة يريدون منا ان نقتفي آثار الغرب في ذلك، فتخرج نساؤنا كاسيات عاريات، تتمتع بهن الابصار، فلن يصلوا الى ذلك ما دامت فينا دماء الاسلام، وآيات الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والمسلم الحق لا يرضى الا بما يرضي الله ورسوله.(١)

ان امامنا كتاب الله وسنة نبيه نحل ما احلا ونحرم ما حرما، ومن العجيب انهم يدعون بأنهم عرب مسلمون ويطالبون بما يخالف دين الاسلام ونخوة العرب وصدق الله العظيم: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون**﴾.(٢)

فيا أبناء الاسلام تمسكوا بدينكم وبأخلاق نبيكم ولا يخدعنكم كلام معسول وحجج مزركشة، فان فيها الذل لكرامتنا والهوان لاعراضنا واذكروا قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم**﴾.(٣)

---

(١) عندما كتبت هذه المحاضرات عام ١٩٦٩ كان اللباس الاسلامي قليلاً بين النساء المتعلمات، وقد اصبح اليوم سمه عامة في المدارس والجامعات والاسواق وله دلالته الايمانية ولله الحمد.

(٢) الصف : ٢ ، (٣) آل عمران : ١٠١.

التصـوف فـي الاسـلام

كلمة تصوف مأخوذة من الصوف، وذلك لأن أصحاب هذا المذهب كانوا يلبسون الصـوف، وهو لباس الفقراء والزهاد في تلك الايام، وهذا ارجح الاقوال في أصل هذا الاسم،

أما حقيقة هذا المذهب كما يعرفه أهله: فهو قلع الاخلاق الذميمة من النفس، وغرس الاخلاق الحميدة بدلاً منها، وبما ان الاخلاق الحميدة هي ما أمر به الله تعالى، والاخلاق الذميمة ما أمر به الشيطان والنفس، فان الصوفية هي افناء ارادة الانسان في ارادة الله عز وجل بحيث لا يشتهي ولا يعمل الا ما يأمر به الله تبارك وتعالى، ولذلك قالوا: كل قول لنا او حال لا يؤيده الكتاب والسنة فهو مردود، وغني عن القول ان هذه الحالة من الموافقة المطلقة لاوامر الله تعالى ليست سهلة ولا ميسورة، وإذاً فلا بد من المجاهدة والرياضة الروحية حتى يصل الانسان الى تلك الحالة.

وحجة أهل التصوف في سلوك طريقهم هذا الحديث الذي سبق ذكره، وهو أن جبريل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال: (ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)(١). وقد قال الصوفية ان الانسان اذا وصل الى حالة يشعر فيها بمراقبة الله تعالى قل ان يقع في معصية أو يقصر في واجب، وهذه هي الغاية المنشودة. ووسيلة الصوفية لبلوغ هذا المقام هي الذكر الدائم لله تعالى، والمجاهدة للنفس، والمذاكرة مع الاخوان، والتوجيه من شيخ مرشد.

أما الذكر : فتتفق الطرق على ثلاثة أذكار وهي:

الأول : الاستغفار : وله صيغ متعددة وحجتهم في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ليغان على قلبي فاستغفر في اليوم سبعين مرة وفي رواية مائة مرة)(٢) والاستغفار يجلو القلب ويهيئها لتلقي الواردات الالهية وفهم الاذواق الروحية، اذ كيف يستطيع قلب ان يفهم او يذوق حلاوة الايمان وهو مظلم بالذنوب قال الله تعالى: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾(٣) اي ان الذنوب قد غطت قلوبهم فلا تعرف الحق من الباطل. وقال عليه الصلاة والسلام: (ان العبد اذا اذنب ذنباً صارت نكتة سوداء في قلبه فاذا زاد ذنب آخر زاد السواد فلا يزال بذلك حتى يتغطى). (٤)

والثاني : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي فرض من فروض الاسلام قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾(٥) ثم ان الرسول صلى الله عليه

---

(١) متفق عليه ، (٢) رواه مسلم ، (٣) المطففين : ١٤.

(٤) اخرجه الترمذي ، (٥) الاحزاب : ٥٦.

وسلم هو الواسطة بيننا وبين الله تعالى، فمن طريقه وصل الينا الوحي وتعاليم ربنا عز وجل، فالصلاة عليه هي الدعاء له بالرحمة من الله تعالى، وهو وان كان غير محتاج الى دعائنا لكن هذا من مقابلة الاحسان بالاحسان، ويذكرون ان من خصائص الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تنوير القلوب.

والثالث : قول لا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد التي يمتاز بها المسلم عن المشرك وقد سبق ان أوضحنا شيئاً من معانيها، ومن معناها عندهم انه لا يجوز للانسان ان يسيطر على قلبه شيء سوى الله تعالى. فاذا خضع قلبه لشيء غير الله تعالى من شهوة او لذة او غضب او حاجة من حاجات الدنيا كان توحيده ناقصاً، وعليه ان يجاهد حتى يبلغ التوحيد الحق، وكلمة لا إله إلا الله أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً بتردادها، ويقول أهل التصوف أن القلب بعد ان يجلى من الذنوب بالاستغفار، وينور بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، يكون مؤهلاً لأن تغرس فيه كلمة التوحيد فتثبت وتستقر ان شاء الله ثم يتحقق بها القلب بفضل الله تعالى.

وأما المجاهدة: فهي تلك المحاولات النفسية من أجل تصحيح اعوجاج النفس، وتنقيتها من الاخلاق الذميمة، فمثلاً: البخل خلق ذميم وعلى الصوفي ان يجاهد نفسه حتى يتسأصل منها البخل، ويغرس محله الكرم وهو خلق حسن، والسبيل الى ذلك ان ينفق من ماله في وجوه الخير على كره من نفسه حتى يعتاد الكرم، ثم يقف عند حد حتى لا يتجاوز الى الاسراف والتبذير.

وكذلك الكبر خلق سيء فلا بد ان يعتاد التواضع بخدمة الناس والاخوان ومعاكسة متطلبات الكبر، حتى يصل الى فضيلة التواضع، لكنه لا يغالي حتى يصل الى المهانة، وكذلك نقول في الجبن والشجاعة، والكذب والصدق، والانانية والايثار، ويقولون ان الخلق الحسن فضيلة بين رذيلتين، فالشجاعة هي فضيلة بين الجبن والتهور، والكرم فضيلة بين البخل والاسراف وهكذا، وهنا تختلف اساليب الطرق في المجاهدة، فمنهم من يعتمد على الجوع والخلوة والسياحة والسفر الى آخر تلك الاساليب التي لا تناقض الشريعة الاسلامية بل يستدلون عليها بنصوص الكتاب والسنة.

وأما المذاكرة: فهي مجالسة الاخوان والحديث معهم في امور الدين والآخرة والتوحيد، وتبادل النصائح والتذكير بالله تعالى، ودليلهم على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله، قال: لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم)(١) وهذه الجلسات العلمية تشير لها الاحاديث التي تنص على فضيلة دراسة العلم ومذاكرته، وقد ورد عن الصحابة انه كان يقول بعضهم لبعض اجلس بنا نؤمن ساعة، ومن المجرب ان اجتماع الاخوان على ذكر الله والعلم والمناصحة تنير القلوب وترسخ الايمان.

---

(١) اخرجه مسلم

واما توجيه الشيخ: فان الشيخ كناية عن رجل مؤمن عالم بالشرع، خبير بأحوال النفوس، عارف بمداواة امراضها، فاذا جاءه التلميذ (ويسمى عندهم المريد او السالك) ثقفه اولاً بالعلوم الشرعية التي تبين له الحلال والحرام، ثم بدأ يعالج امراض نفسه ويدله على الطريقة الصحيحة للخلاص من الاخلاق الذميمة، ويعتمد الشيخ في توجيهه وتربيته على العمل اكثر بكثير من اعتماده على القول، فيكون هو القدوة الصالحة للمريد بحيث يكون تقليد التلميذ له تطبيقاً لاحكام الشريعة، ولا بد لهذا السالك من مفاتحة الشيخ بما يجول بنفسه وخاطره وما يعانيه من امور داخلية، وهنا يتصرف الشيخ بحكمته لمساعدته على الخلاص من هذا القلق النفسي، فقد يشكو اليه مثلا انه يكره فلاناً من الناس او يحسده ولا يستطيع كبح جماح نفسه عن ذلك فيرشده الشيخ الى طريقة التخلص مما يجد، كأن يأمره بالاحسان العملي الى ذلك الشخص او الدعاء له او غير ذلك.

والشيخ غالباً ما تكون له فراسة بحيث يعرف بها ما يجول في خاطر المريد مما لا يصارحه به، وليس معنى ذلك انه يعلم بالغيب، بل هي الفراسة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله)(١) ولهم آداب خاصة بين المريد والشيخ اهمها: طاعة المريد للشيخ ورحمة الشيخ وشفقته على المريد، وهكذا يكون الشيخ هو المربي للمريد على فضائل الاخلاق، حتى اذا ما وثق به وبعلمه وعمله وكفاءته اذن له بأن يربي غيره ويسلكه السبيل الذي سلكه، وهذا ما يسمى بالخلافة.

هذا خلاصة أمر التصوف، ولابد هنا من ذكر بعض أمور يسأل عنها الناس:

أولاً : حلقات الذكر التي فيها الحركات الموزونة: وهذه لم تكن قطعاً على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وانما هي من باب المباحات، ويشملها قول الله تعالى: ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾(٢) وحجة أهل التصوف في ذلك ان حركة الجسم مع الذكر يتحرك بها القلب فيستوعب المعنى الذي تحمله الفاظ الذكر وهم يبينون ان من آداب هذه الحركات ان تكون لطيفة مقبولة، اما الحركات العنيفة فان كانت بدون ارادة الانسان فهذه ينطبق عليها قول الله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾(٣) فطالما هي غير ارادية فلا نسأل عنها واما اذا فعلها الانسان لايهام الناس بانه صاحب ولاية وحال فقد ذكر أهل التصوف ان هذا كذب ورياء، ثم ان بعض الطرق لا تقر هذه الحركات بل يذكرون الله بقلوبهم لا بالسنتهم فهم لا يحركون في الذكر السنتهم فضلاً عن اجسامهم، وحجتهم في ذلك ان الاعضاء اذا سكنت وكلف القلب بالذكر تحرك رغما عنه فاستوعب المعنى، وعلى اي حال فمقصود الطرفين هو ان يكون الذكر بالقلب، بمعنى أن يتأثر بالفاظ الذكر ومعانيه.

ثانياً : الاناشيد التي تقال في حلقات الذكر: وهذه ينظر الى معناها أولاً فان كانت لا تحمل معنى محرماً فلا بأس بها، فهي في الغالب اشعار تتضمن نصائح وحكماً، وقد قال عليه الصلاة

---

(١) اخرجه الترمذي. (٢) آل عمران : ١٩١ ، (٣) البقرة : ٢٨٦

والسلام: (ان من الشعر لحكمة)(١) واما ترديدها بصوت حسن فهذا ايضاً لا غبار عليه، فان النفس تتأثر بالصوت الحسن أكثر من تأثرها بالصوت الاجش المفزع، وقد ندب الشرع الى تحسين الصوت بالقرآن والآذان، واما ان خالط ذلك النشيد آلات محرمة كالمزمار، فقد نص الفقهاء على تحريم ذلك، وغني عن القول ان اختلاط الرجال بالنساء حرام سواء في حلقات الذكر أو غيره.

ثالثاً : الخَلْـوَة : وحقيقتها اعتزال الناس في مكان هادىء والمداومة على ذكر الله تعالى، والغاية منها تصفية النفس، وهذا لا بأس به، ودليله اختلاء النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة في غار حراء، واعتكافه في المسجد بعد النبوة في شهر رمضان، ومحاسبة النفس والاستغفار عن التقصير مشروع ومطلوب. اما ما يقال من ان الغاية منها مشاهدة الله تعالى فلا علم له اصلاً في الدين والقول بأنها واجبة ولا يكمل الايمان الا بها لا دليل عليه، ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ادخل احداً من الصحابة في خلوة ولا اغلق عليه بيتاً مظلماً.

رابعاً : الاوراد : وهي اذكار معينة يفرضها الانسان على نفسه يقولها في الليل والنهار وقد تكون ذكراً أو قراءة قرآن وهذه لها اصل في الشريعة وقد سماها الرسول صلى الله عليه وسلم (حزباً). فقال: (من نام عن حزبه من الليل فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل)(٢)

خامساً : بقي أن نتحدث عن ما يفعله بعض الناس من أكل النار وضرب السيف، وامثال ذلك من الخوارق، وهذه يقول عنها أهل التصوف انها لا تجوز ان كان القصد منها اظهار الكرامات والتفاخر بها، ولكنها تباح عندما يتحدى احد صاحب الطريقة فيكذبه او يستهزىء به، ثم ان الولاية ليست بخرق العادات وانما هي بموافقة الشخص للشريعة ولذلك قالوا ان ظهور الخوارق على يد الصالح كرامة، وعلى يد الفاسق استدراج.

أما المآخذ على بعض المتصوفة فهي: الامور التالية الخطيرة:

أولاً : ان بعضهم يعتقد بالحلول ومعناه أن الله تعالى حل في شخص معين فظاهره انسان وباطنه إله وهذا كفر لا شك فيه. وقد تسرب الى جهلتهم من بعض الديانات الفاسدة وعلماء الصوفية ينكرون هذا اشد الانكار.

ثانياً : اعتقاد البعض بوحدة الوجود: ومعناه ان الكون هو الله وكل جزء في الكون هو جزء من الله وهذا كفر ايضاً.

ثالثاً : اعتقاد البعض بأنهم قد سقط عنهم التكليف فهؤلاء يظنون بأن الله اباح لهم المحرمات واسقط عنهم الواجبات، وقد قال الغزالي عنهم ان هؤلاء قد وصلوا لكن الى سقر وقد مر معنا في

---

(١) اخرجه البخاري. (٢) رواه مسلم.

بحث المكفرات ان هذا الاعتقاد كفر. لأن المحرمات قاذورات معنوية، فكيف يبيحها الله تعالى لأوليائه، والتكليف تشريف فكيف يحرم منه الأولياء؟

رابعاً : قول بعضهم ان للقرآن ظاهراً وباطناً وان الباطن يخالف الظاهر، فالظاهر قشر للعوام والباطن لب للخواص، وهؤلاء اشرنا اليهم سابقاً، وهي عقيدة مكفرة قال بها اعداء الاسلام اليهود والمجوس بعد ان اعياهم نقض الاسلام جهاراً.

خامساً : اعتقادهم العصمة للشيخ مع ان العصمة للرسل فقط، فالشيخ يجب ان نظن به خيراً ولا ننبش عن عيوبه، ويجب ان نؤول ما يحتمل التأويل القريب من كلامه وافعاله، اما اذا خالف الشريعة فيجب رد كلامه عليه لكن بأدب، ولا يجب علينا طاعته في ذلك، ورحم الله امام أهل المدينة مالك بن انس فقد قال: (مامنا الا ويؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر) وأشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

سادساً : بعض ادعياء التصوف يحاربون أهل العلم ويجاهرون بعداوتهم ويقولون نحن أهل باطن والعلماء أهل ظاهر ولا اتفاق بيننا، وسبب ذلك جهل بعضهم بأحكام الشريعة فهو لا يستطيع ان يفتي في الاحكام الظاهرة فيعاديها، لانه ان أفتى فأخطأ احتج عليه بالكتب واقوال أهل العلم، واما ادعاء الباطن فهو المرتع الخصب للدجل والتخريف، والشريعة على المحجة البيضاء ظاهرها كباطنها، هؤلاء أولى بهم ان يتعلموا، والحق ما يفعله بعض الطرق من اشتراطهم في الشيخ ان يكون متبحراً في علوم الشريعة.

سابعاً : بعض ادعياء التصوف يتخذون الطريقة سبيلاً لجمع المال مع ان الزهد في الدنيا ركن في التصوف متفق عليه، واذا رأيت الصوفي يحرص على أخذ اموال التلاميذ فاحذره فهو طالب دنيا وليس طالب آخره، ومعروف ان اهل التصوف الصادقين ينفقون من جيوبهم مع فقرهم على التلاميذ ولا يمدون ايديهم الى التلاميذ بحال من الاحوال، وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: **﴿اتبعوا من لا يسألكم اجراً﴾**(١) وقول الله تعالى على لسان بعض الرسل: **﴿يا قوم لا اسألكم عليه أجراً﴾**(٢)

والخلاصة ان التصوف وسيلة لتزكية النفس بالاخلاق الحميدة بواسطة ذكر الله والحذر من مكايد الشيطان والنفس وان كل ما يقوله الصوفية او يفعلونه مقبول اذا وافق الكتاب والسنة ومرفوض اذا عارضها، وعلى المسلم ان يتروى في هذا الموضوع فلا يستهزىء بالصوفية، ولا يسير مع جهلتهم اينما ساروا، بل يجعل كتاب الله وسنة رسوله دليلاً له في كل ما اشكل عليه، ومن خيار كتب التصوف: احياء علوم الدين ومن اعلام الصوفية: الجنيد وعبدالقادر الجيلاني والغزالي رحمهم الله اجمعين.

---

(١) يس : ٢١ ، (٢) هود : ٥١.

المسـاواة والحريـة الدينيـة فـي الاسـلام

الديانات والمبادىء تقسم الناس الى مؤمن بها وكافر، وللمؤمـن معاملـة تختلـف عـن معاملـة الكافر، وهذه المعاملة كانت ولا زالت عند غير المسلمين تمتـاز بـالعنف والقسوة، وقـد ذكـر اللـه تعالى في كتابه الكريم انواعاً من ذلك، فأهل بابل أرادوا احراق ابراهيـم عليه السـلام لانـه خـالف دينهم، وفرعون صلب السحرة لما تركوا دينه، وكان يقتل رجال بني اسرائيل ويسـتحيي نسـاءهم، واليهود حاولوا قتل عيسى عليه السلام فرفعه الله اليه ونجاه، وعذبوا النصارى في أخاديد مملوءة ناراً، والمذابح الطائفية في الغرب تقشعر لهـا الابـدان، ولا تسـأل عـن تعذيـب واضطهـاد الاسبان للمسلمين في الاندلس، ومجازر الصليبيين في القدس..

وفي العصر الحاضر: اضطهـاد الشـيوعية لكـل اصحـاب الديانـات، وذبـح الهنـود المسـلمين وتعذيب دولة الحبشة للمسلمين ليردوهم عن دينهم... والتاريخ ممتلىء بأمثال هذه المجازر التي لا يرضى بها الله تعالى ولا يقرها رسول من الرسل.

ولقد قامت دعوات في العصـر الحديـث الـى التسـامح واعطـاء النـاس حريـة الاعتقـاد وحـق ممارسة شعائر دينهم، وبني ميثاق حقوق الانسان على هذه الفكرة ونص على حرية الدين.

غـير ان هـذه الدعـوات لـم تتجـاوز حـدود الـورق فمـا زال العـالم يعـج بالاضطهـــاد الدينــي والفكـري، وكلنـا يعلـم مـاذا فـي ايرلنـده، والقـارة الهنديـة، وارتريـا، والاتحـاد السـوفيتي، وفيتنـــام وغيرها.

ولا يتوقع في المستقبل ان تعامل الدول الرأسمالية الشيوعي معاملة الرأسمالي، ولا أن تعامل الشيوعية الرأسمالي معاملة الشيوعي، فـي تولـي المنـاصب والنظـرة الاجتماعيـة لان العقيـدة ممـا يؤخذ بعين الاعتبار عند تقييم الشخص لتولي المنصب، وليس طلباً عادلاً ان نطالب اصحـاب مبـدأ معين ان يسلموا مقاليد امورهم الى اشخاص يخالفونهم في العقيدة والنظرة الى الحياة، وكـل منهـم يخطىء الآخرة في معتقده ووجهة نظره.

لكن لنا الحق كل الحق ان نطالب بمنع اضطهاد صاحب المبدأ المخالف، ومنع الاعتداء على نفسه او عرضه او ماله، او ارغامه على تغيير معتقده بالقوة.

ولنا الحق ان نطالب بفتح باب الحوار والمناقشة الهادفة لبيان الحق، لعل النـاس ان يجتمعـوا عليه.

بعد هذه المقدمة نريد ان نبين موقف الاسـلام مـن غيره مـن الديانـات، مستشـهدين بالتـاريخ الذي لمْ يعـرف ان المسـلمين اضطهـدوا غيرهم مـن اصحـاب الديانـات، حتـى حيـن يضطـر الـى استعمال السلاح انما يستعمله ضـد الذين يقفـون حجر عثرة في طريـق الهدى والحـق، دون ان

يؤذي المسالمين من نساء واطفال وشيوخ، بل انه لم ينتقم من اطفال ونساء الذين قتلوا الاطفال والنساء، ويحضر في اذهاننا موقف صلاح الدين يوم فتح القدس، وموقف الصليبيين السابق يوم دخلوا المدينة.

ان موقف الاسلام من الديانات الاخرى واصحابها يرتكز على الاسس التالية:-

١ . يجب التمييز بين الديانات التي جاء بها الرسل وبين الديانات التي اخترعها الناس لانفسهم او التي لا يعرف لها اصل رباني، وبلغة اليوم الديانات السماوية والوثنية.

أما اصحاب الديانات الوثنية فلا يقرون على شيء من عقائدهم ولا معاملاتهم، واما اصحاب الديانات السماوية فيأتي الحديث عنهم.

٢ . وجوب الايمان بجميع الرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وهذا يقتضي احترامهم واجلالهم قال الله تعالى﴿**لا نفرق بين احد من رسله**﴾.(١)

٣ . المصدر لجميع الديانات السماوية واحد هو: الله تعالى، والرسل مبلغون فقط، ولذلك فالرسالات كلها متفقة في العقيدة، وفي اسس التشريع، فالكل يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والكل يأمر بالمحافظة على الدين والعرض والنفس، والعقل، والمال.

٤ . هناك اختلاف في التشريع بين الديانات السماوية اقتضاه تغير وضع البشر من زمن الى زمن، ويعتبر التشريع المتأخر ناسخاً للمتقدم، لأن الله تعالى لا يأمر بأمرين متناقضين في وقت واحد.

٥ . هناك دس وتحريف في الكتب السابقة، نص عليه القرآن وكشف أمره، واعترف ويعترف به اصحاب تلك الديانات، ولذلك لا يمكن الاعتماد على التفاصيل الواردة فيها.

وبناء على ما تقدم فان الاسلام يدعو اصحاب الديانات السماوية السابقة الى الدخول فيه، وذلك لا يعني ان يكفروا بأصل دياناتهم السابقة بل انهم ان اسلموا فقد حققوا مايلي:-

أ . العمل بمقتضى اصل دياناتهم لانها جميعاً تدعو الى طاعة الله، وانما الاسلام شريعة الله.

ب . يجمعون بين أجر الايمان بدياناتهم قبل ظهور الاسلام وأجر الايمان بالاسلام فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملك الروم يقول: (**اسلم يؤتك الله أجرك مرتين**)(٢)

جـ . تصحيح ما ورد في كتبهم على ضوء ما جاء في القرآن الكريم لانه كتاب الله تعالى الذي لم يتبدل.

---

(١) البقرة : ٢٨٥ . (٢) رواه مسلم.

د . ينتقلون من الحرج الذي كان في بعض الشرائع الى يسر الاسلام وسماحته، فان هم استجابوا فقد انحلت المشكلة لانهم يصبحون مسلمين لا فرق بينهم وبين غيرهم من المسلمين بل لهم مالهم وعليهم ما عليهم.

وان لم يستجيبوا فانما يتبعون بذلك أهواءهم لا رسلهم ودياناتهم، ومع ذلك تجب معاملتهم بالحكمة والحسنى:-

١ . يسمح لهم بالبقاء على دياناتهم عقيدة وعبادة وما يتصل بهما من معاملات وأما الحكم في قضايا الدنيا الاخرى فيكون بالاسلام، وقد سبق الحديث عن ذلك في بحث الجهاد.

٢ . يبقى باب الحوار معهم مفتوحاً، بشرط أن يكون القصد من ذلك بيان الحق لا مجرد المجادلة، قال الله تعالى: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن﴾**(١)

٣ . تجوز معاملتهم في البيع والشراء، والمعاملات الدنيوية، ويجوز التزوج بنسائهم لكن ليس لهم ان يتزوجوا بالمسلمات كما سيأتي.

٤ . تجب معاملتهم بالحسنى قال صلى الله عليه وسلم: (من آذى ذمياً فانا خصمه)(٢) ولا يجوز سب دياناتهم قال الله تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾**(٣)

٥ . لا يجوز اكراههم على اعتناق الاسلام بأي وسيلة قال الله تعالى: **﴿لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾**(٤)

٦ . تجب المحافظة على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وكفالة الفقير منهم كما يكفل فقراء المسلمين، وقصة عمر مع العجوز اليهودي معروفة، اذ فرض له راتباً من بيت مال المسلمين.

٧ . تبقى مسألة تولي المناصب في الدولة، والمناصب ليست نوعاً واحداً وانما هي انواع:

أ . المناصب الدينية (ان صح هذا التعبير) كالامامة في الصلاة، والجمع، والاعياد، ولا يعقل ان يتولاها من لا يؤمن بها.

ب . المناصب التي فيها ولاية على المسلمين كرآسة الدولة، والولاية على الاقاليم، وهذه ايضاً تطبق فيها احكام الشرع الاسلامي، وكثيراً ما يحتاج الى الاجتهاد في بعض المشاكل، وكيف يجتهد في استخراج الحكم الشرعي من لا يؤمن بذلك الشرع، وكذلك القضاء: أي الحكم في مشاكل الناس وخلافاتهم المتنوعة، والحكم فيها بالاسلام والحاجة هنا الى الكتاب والسنة والفقه والاجتهاد اوضح من ان يشار اليها ولذلك لا تسند اليهم.

---

(١) العنكبوت : ٤٦ ، (٢) رواه ابو داوود ، (٣) الانعام : ١٠٨ ، (٤) البقرة : ٢٥٦.

٨ • في قتال العدو، ان كان القتال دفاعاً كما هو الحال الآن فالواجب على الجميع ان يدافعوا عن البلاد، وان كان هجومياً لفتح البلاد فلا نكلفهم لان الغاية منه نشر الاسلام او حماية دعوته، وكيف نكلفهم بتعريض انفسهم للقتل من اجل دين لا يعترفون به!!!.

٩ • المسائل العلمية التي لا صلة لها بالشريعة هي مجال مشترك يتعاون فيه الجميع وان اختلفت دياناتهم لأنهم يبحثون عن سنن الله في الكون.

١٠• زواج غير المسلم بالمسلمة، لا يجوز، وذلك لان قيادة البيت في الاسلام بيد الرجل والمرأة تبع للزوج، فكيف نسلم قيادة المسلمة الى رجل لا يؤمن برسولها وقدوتها في الحياة ومثلها الاعلى في كل شيء، اما المسلم فانه يؤمن بكل الرسل ولذا فهو يحترمهم ولن يجرح شعور غير المسلمة اذا تزوج منها.

اما اصحاب الديانات الوثنية فلا يقرون على شيء من عباداتهم ولا احكامهم، لان السماحة لا تعني ان تترك هذه السخافات تضلل العقول ليستفيد منها بعض الناس، كما ان الحرية لا تعني ترك صاحب المرض المعدي طليقاً في المجتمع يذهب حيث شاء ويحتك بمن شاء.

وأما المسلم اذا اراد الانتقال من دينه الى دين آخر او الى لا دين، فالواجب عندئذ ان يناقش وتزال الشبهة التي عرضت له، فان رجع فبها ونعمت، والا قتل بعد ثلاثة ايام، لانه لا يبحث عن الحق، ولو كان الحق مقصده بعد ان ظهر له، وانما هو عضو فاسد قد يفسد غيره.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امريء مسلم يشهد ان لا إله إلا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)(١).

ومما تقدم يتبين ان التفريق بين المسلم وغيره في المجتمع الاسلامي، انما هو في الامور التي تقتضي طبيعة العقائد التفريق فيها بين المعتقد وغيره.

وأما بين المسلمين فالمساواة تامة بينهم بصرف النظر عن اللون والجنس والاصل واللغة.. الخ قال الله تعالى: ﴿**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**﴾(٢) وهي مساواة لم يعرف لها التاريخ نظيرا (فالمسلم أخو المسلم) بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

---

(١) متفق عليه، (٢) الحجرات : ١٣.

التيسير ورفع الحرج في التشريع الاسلامي

للانسان غرائز، وحاجات اساسية، لا يستقر ما لم تلب ويشعر بالحرج والضيق اذا صودرت هذه الغرائز او كبتت هذه الرغبات، كما أنه لا يصح ان تترك هذه الغرائز وشأنها، لتلبى بأية صورة كانت، لأن هذا يؤدي الى عدوان الناس بعضهم على بعض، ولذا فان مهمة التشريع أن ينسق بين رغبات الناس ومتطلباتهم، فمن جهة لا يكبتها ومن جهة يوجهها بحيث لا تضر بصاحبها ولا تضر بالآخرين، وان ينسق بين غرائز الشخص الواحد إذ ربما ادى الاندفاع في تلبية حاجة الى الاضرار بحاجة اخرى.

وهذا يقتضي بالطبع أن يكبح جماح هذه الغرائز في بعض الاحيان، وان يلطف من غلوائها، وبمقدار الكبح للغريزة تكون الشدة في الحكم، ولكن لابد مما ليس منه بد، وبهذا يتبين ان كل نظام لابد وان يكون فيه كلفة على الناس، لانه يقتضي الضغط الى درجة ما على الغرائز، ولا يمكن تصور قانون لا كلفة فيه، ومن هنا تسمى القوانين المطالب بتنفيذها (مكلفاً) لانه يتحمل كلفه، ولكن هذه الكلفة مقبولة ما دامت تحقق من المنفعة اكثر مما فوتت من لذة، وتكون عبئاً ثقيلاً لا يطاق اذا صادمت الغريزة مصادمة تامة وكبتتها.

بعد هذا الاجمال نبدأ بالتفصيل، فنبين أن حاجات الناس الاساسية التي لا يستغني عنها هي الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال، فلو فقدت واحدة من هذه الخمسة لشعر الناس بالحرج والضيق.

والشريعة الاسلامية تتميز باليسر ودفع الحرج، كما سبق القول، ولذا راعت هذه الخمسة فأوجدت احكاماً تكفل وجودها، واحكاماً تكفل حفظها وصيانتها ولم تكبت واحدة منها.

اما الدين فقد بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس الدين الحق، ويزيل ما علق بالعقائد من ارجاس الباطل، وفرض العبادات لتقوية الايمان في القلوب، حيث تشعر براحة القرب من الله وبرد اليقين بين يديه، وكلف الامة ان تنشر تعاليم الدين بين الناس، وان تجاهد للدفاع عنه بالسيف والمال واللسان.

والنفس شرع لوجودها الزواج وأمر بالمحافظة عليها من الاذى، ودفع العدوان عليها وشرع لذلك احكام العقوبات من قصاص وغيره.

والعرض الذي اكرم الله به الانسان فجعل له نسباً يعرف به امر الشرع بالمحافظة عليه وجعل عقوبة للمعتدي عليه، هي حد الزنا وعقوبة للمفتري عليه هي عقوبة القذف.

والعقل : هبة الله العظمى، حرم كل ما يضر به وشرع عقوبة للمعتدي عليه بالسكر.

والمال : امر بكسبه، والمحافظة عليه، ودفع المعتدين. ولذا شرع حد السرقة وحد قطع الطريق، ورسم أساليب التعامل الحلال لتنمية المال.

ان الشرع الاسلامي بعنايته بهذه الخمسة كان محققاً لمصالح الناس الضرورية، ولا عجب، فالذي انزله هو الذي فطر الناس، ويمكننا تصور الحرج الشديد لو انه امر باضاعة واحدة من هذه الخمسة.

والاحكام التي شرعها الاسلام لرعاية هذه الخمسة والتنسيق بينها عند الشخص الواحد من جهة وبين الناس كلهم من جهة اخرى هي التي يتكون منها الشرع الاسلامي، وهذا يقتضي كما سبق تكليف الانسان بكبح جماح بعض الرغبات لرعاية ما هو اهم او كيلا يتعدى على حقوق الآخرين.

فمثلاً الانسان يحب الراحة محافظة على نفسه من الاذى لكنه لو اخلد الى الراحة لهلك جوعاً واهلك اطفاله ايضاً، ولذلك يكلفه الشرع بترك هذه الراحة وتحمل المشقة في سبيل ما هو اعظم وهو حياته وحياة اولاده.

والانسان يحب المال لكنه لو اطلق له العنان لاخذ مال غيره، لان ذلك اهون عليه من العمل في كسب المال، واضر بحاجة اساسية عند الغير، فيأتي الشرع فيمنعه من ذلك، ويكلفه ان يجهد في كسب المال، دون ان يعتدي على الغير.

والانسان يحب الشهوات، لكنه ان اخلد اليها بقيت طبيعته الحيوانية غالبة عليه ولذلك كلفه الشرع بالعبادات من اجل ان يرفعه عن مستوى الحيوان، وتأخذ روحه حصتها من المتعة بقربها من الله تعالى.

والتشريع اي تشريع عندما يضع احكامه لا يضعها لكل شخص على حده بما يناسب ظروفه، بل يضعها لكل الناس على اعتبار الظرف الغالب، فاذا حدثت ظروف غير عادية اصبح القيام بالواجب شاقاً، والاسلام يحسب لهذه الظروف حسابها، ولذا وضع لها احكاماً استثنائية تجنباً لاحراج الناس، حتى لا يقعوا في المشقة وهذه الاحكام الاستثنائية نجدها في كل باب من ابواب الفقه، اذ من القواعد الاساسية في الشريعة الاسلامية تجنب الحرج والمشقة وطلب اليسر والسهولة.

قال الله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾. (١)

وقال الله تعالى: ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج**﴾. (٢)

ومن امثلة الاحكام الاستثنائية التي يراد بها تجنب الحرج مايلي:-

١ . شرع الله الصلاة وجعل من شروطها طهارة الظاهر بالماء، لأن طهارة الظاهر لها صلة

---

(١) البقرة : ١٨٥ ، (٢) المائدة : ٦.

روحية بطهارة الباطن، لكن اذا سافر الانسان ولم يجد الماء فماذا يفعل؟ أيترك الصلاة فيضيع عمود الدين؟ ام يترك السفر اصلاً؟ وبذلك تضيع مصالحة الاخرى؟ ام نكلفه حمل الماء الكثير لاجل الطهارة؟ وهذا شاق ايضاً، كان الحل الالهي استبدال الماء بالتراب في مثل هذه الحالة، وكذلك عندما يكون استعمال الماء ضاراً بالجسم.

ومثله الافطار في السفر، وقصر الصلاة، وجمعها...

- ٢ لقد حرم الاسلام بعض المأكولات لما فيها من ضرر غالب محافظة على نفس الانسان، كالميتة والدم ولحم الخنزير، لكن قد يقع الانسان في ظرف لا يجد فيه طعاماً الا هذه الانواع فماذا يفعل؟ انه بين ضررين، احدهما: غالب والآخر محقق، لذا ابيح له ان يتناول هذه الاطعمة ابقاء على نفسه وانقاذاً لها من الهلاك.
- ٣ منع الاسلام بيع الغائب وبيع مالم يوجد بعد، حتى لا تتعرض اموال الناس للضياع، لكن ماذا يفعل المزارع الذي لا يجد مالا للانفاق على زراعته؟ وقد لا يجد من يقرضه الا بمنة؟ سمح له الاسلام بالسلم وهو بيع غائب موصوف، وغالباً ما يكون من محاصيله المتوقعة.
- ٤ منع الاسلام الزواج المؤقت بوقت لما فيه من اضاعة للأولاد ولنفس السبب يكره الطلاق، ولكن اذا حصل خلاف بين الزوجين ولم تفلح كل المحاولات للاصلاح ماذا نفعل؟ انجبرهما على الحياة معاً في بيت كالجحيم، وفي ذلك أسوأ الأثر على نفسية الاولاد؟ لقد سمح الاسلام بالطلاق لانه اخف ضرراً.
- ٥ شرع الله القصاص في القتلى محافظة على الارواح، ولم يبح دم الانسان الا في حالات محددة، وقد يقتل انسان غيره دفاعاً عن عرضه أو نفسه، ويعجز القاتل ان يثبت أمام القضاء ان المقتول مستحق للقتل، أو تكون ملابسات يصبح القصاص معها خسارة مضاعفة للمجتمع؟ فهل يلزم القصاص على اي حال؟ لقد رفع الاسلام هذا الحرج، فترك الامر الى أولياء المقتول فان رأوا ان القاتل مستحق للقصاص اقتص منه بعد توفر شروط القصاص الاخرى، وان رأوا انه لا يستحق اخذت منه الدية، وان اختلفوا اخذ برأي من عفا ولو كان واحداً.

ان تعداد الامثلة يطول لكن المراد بيان ان الروح العامة السارية في التشريع وهي التيسير ودفع الحرج، وقد استخلص الفقهاء من ذلك قواعد وضعوها منارات لهم ولكل مجتهد يأتي من بعدهم منها:

- ١ الضرر يزال شرعاً : ففي اي حال يلحق المكلف ضرر وجب سن احكام ترفع هذا الضرر مثلاً: اذا وجد المشتري عيباً في المبيع كان له رده واخذ الثمن.
- ٢ الضرر لا يزال بالضرر، فلا يجوز احراق مال من احرق مالك بل يؤخذ منه العوض حتى لا تتضاعف خسارة المجتمع.

٣ • الضرورات تبيح المحظورات فيجوز أكل الميتة للمضطر، ويجوز قتل من اراد الاعتداء على العرض او النفس او المال او الدين، ويجوز االتلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وتناول المخدر لأجل العملية الجراحية لكن لا يباح الزنى ولو اكره عليه بالقتل لأن العرض مقدم على النفس، ولا يباح القتل بالاكراه، اذ ليس له أن يفتدى نفسه بنفس غيره.

٤ • الضرورة تقدر بقدرها، فالذي يأكل الميتة خوفاً من الهلاك يجب ان يكتفي بما يسد الرمق، لا ان يشبع.

٥ • الضرورة لا تبطل حتى الغير، يجوز أكل مال الغير عند الاضطرار لكن يجب دفع ثمن ما أكل.

٦ • المشقة تجلب التيسير: ولذلك شرعت الرخص في حالة السفر، والمرض والاكراه، والنسيان والجهل وعموم البلوى ولم يكلف الصغير والنائم والمجنون بتكاليف شرعية.

وكما يراعي الفقيه هذه القواعد يجب على كل من تولى أمراً من أمور الامة ان يعاملهم بالرفق الذي لا يخرج الى حد الميوعة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (ان شر الرعاء الحطمة)(١)، أي ان شر أولياء الامور من اعتمد على العنف، وقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم من ولي من امتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)(٢).

ويجب ان لا يغيب عن الذهن ان التيسير شيء والاهمال شيء آخر،*فاذا وصل الأمر الى الاهمال فهنا تكون العقوبة الرادعة، فالتيسير في أمر الصلاة واضح ليتمكن المكلف من أدائها بلا حرج، لكن اذا تركها بلا عذر مقبول شرعاً كانت عقوبته القتل.

ولك ان تبيع طيلة ايام الاسبوع لكن ساعة النداء للجمعة يصير البيع حراماً، وكذلك لا يجوز الاشتغال بشيء يفوت الصلاة.

وللانسان ان يتزوج مثنى وثلاث ورباع لكن اذا خرج الى الحرام فالرجم، والذنب مهما عظم تكفره التوبة لكن اذا حضرت ساعة الموت ولم يتب فقد فات وقت التوبة وبقيت العقوبة المخيفة نسأل الله السلامة.

---

(١) متفق عليه ، (٢) رواه مسلم.

لـم يكـن الاسـلام أفيـون الشعـوب

هناك صنفان من الناس: صنف لا ينكر الدين ولكنه يفهم الدين على انه صلة بين العبد وربه، أما صلات الناس وعلاقات المجتمع، ومشكلات الحياة، وسياسة الحكم وسياسة المال فلا دخل للدين بها.

وصنف ينكرون الدين فيقولون: لا تذكروا لنا الدين، فالدين ان هو الا مخدر، والقولة المشهورة على لسانهم (الدين افيون الشعوب) وموضوعنا حول هذه الكلمة ورد هذه الشبهة، ونسأل قائليها من أين اخذوا هذه الكلمة فالصقوها بكل الاديان ومنها الاسلام؟

والجواب مقدماً انها كلمة غربية قيلت في غير الاسلام لا تصدق على طبيعة هذا الدين وهي قولة ماركس في دينه ونقلها دعاة الشيوعية في الشرق العربي.(١)

يريدون تطبيقها على الاسلام مع ان الاسلام لا يعرفها، وقصة تخدير الدين للمشاعر لم تكن في يوم من الايام وليدة هذا الدين، ولكن اعداء الاسلام يحاولون وصمه بها فلننظر من اين جاءت هذه الكلمة وكيف جاءت هذه القولة الغربية؟

نشأت هذه القولة في عصر الاقطاع الذي كان يمثل ابشع ادواره في أوروبا وفي روسيا بوجه خاص حيث يموت الالوف جوعاً كل عام ويموت الملايين بالسل وغيره من الامراض، وكان الاقطاعيون اصحاب رؤوس الاموال يتحكمون في الطبقة العاملة واذا خطر للعمال ان يرفعوا رؤوسهم على الاقطاعيين اسرع رجال الدين المسيحي يقولون لهم: (من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر ومن اخذ رداءك فاترك له الثوب ايضاً).

ويضاف الى ذلك ان (صكوك الغفران) بيعت، وقرارات الحرمان صدرت في ذلك العصر، حتى جاء عصر العلم والفكر الحديث فانطلق رجال الدين في محاربة العلم والفكر وعملوا على تعطيل الافكار المتحررة من الجهل والخرافة وكان كل ذلك من اجل ابقاء سلطانهم، وكان رد فعل هذا ان اعتقد الناس ان الدين يحتقر العلم والفكر وانه يحاربه.

ومن هنا قالوا الدين يخدر الناس، ونحن بعد ان عرفنا الارض التي نبتت فيها هذه النبتة الغريبة عن ديننا وعن ارضنا وبعض مواقف رجال الدين عندهم من مشاكل الحياة بعد ان عرفنا ذلك لنرى ما هو الدين الاسلامي وهل صحيح انه يخدر الملايين من البشر.

١ • القرآن الكريم يأمر بالصلاة وهي الصلة ما بين العبد وربه وكلنا يعلم كم تستغرق الصلاة المعروفة من الزمن في اليوم وما بقي فللسعي والعمل على ان الاسلام لا يعد العبادة فقط

(١) تعاد طباعة هذه المحاضرات وقد انهارت الشيوعية في بلادها " روسيا " والحمد لله وتوارى اتباعها في بلادنا ولم يعد للناس أمل إلا بالاسلام.

مجرد الشعائر انما يعتبر كل خدمة اجتماعية وكل عمل خير عبادة، واذا عرفنا حقيقة الصلاة وانها ثورة على النفس للتخلص من شهواتها، وثورة على وساوس الشيطان، وانها القوة الدافعة لكل خير وصلاح للمجتمع، وانها القوة الرادعة عن كل جريمة ومنكر، وان صاحبها هو الحارس الامين على مصلحة المجتمع، وانه يعطي ما تبقى من وقته بعدها للمجتمع والحياة والعمل ادركنا ان الدين الاسلامي لا يخدر الناس، قال الله عز وجل:
﴿وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾. (١)
وان حادثة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تدلنا على الفهم الصحيح لروح الاسلام وهي ان الاسلام يعمل للحياة ولا يخدر اتباعه فعند ما رأى رجلاً يظهر النسك والتماوت خفقه بالدرة وقال له (لا تمت علينا ديننا اماتك الله).
فهذه روح الاسلام في الدعوة الى العمل والانطلاق وليس الحال كما كانت في أوروبا.

٢ . الاسلام ليس فيه واسطة بين الخلق والخالق فكل مسلم قادر على ان يتصل بربه بمفرده، ولا يحول بينه وبين الله حائل، وعلى هذا فليس في الاسلام رجال دين بالمفهوم الغربي وانما في الاسلام علماء دين وليس للعالم ميزة على الناس ليتحكم برقابهم، وميزان التفاضل هو التقوى والعمل الصالح قال الله عز وجل: **﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾**.(٢)

٣ . الاسلام لا يعادي العلم ولا يكره العلماء بل يجعل العلم المؤدي الى معرفة الله (وكل علم صحيح يؤدي الى هذه الغاية) فريضة مقدسة ولم يضطهد الاسلام يوماً من الايام رجلاً من رجال الفكر كما حصل في أوروبا عندما عوقب رجال العلم، فالاسلام دينٌ يقوم على العلم والنظر ولا جفوة بين الدين والعلم الصحيح الذي يؤدي الى معرفة الله.

٤ . ان التاريخ الاسلامي حفظ نماذج كثيرة من العلماء في كل عصر لم تأخذهم في الحق لومة لائم وقفوا في وجه الظالمين ومن ورائهم افراد الامة هكذا فعل سعيد بن جبير ضد الحجاج، ومالك واحمد والعز بن عبدالسلام والنووي، وفي العصر الحديث كان العلماء من وراء حركات التحرر.
ثورة نقيب الاشراف في مكة الحسين بن علي على الاتحاديين، والمهدي في السودان، وعبدالحميد بن باديس في الجزائر، والشيخ بدر الدين الحسني في سوريا. والسنوسيون في ليبيا، ومحمد علي جناح في الهند وفي كل بلد اسلامي كان الاسلام وراء حركات التحرر.
فأين هذا مما وقع في الغرب، اذ كان رجال الدين يقفون مع السلطان واصحاب الاموال في تخدير الناس بالدين لحفظ مصالح السلاطين واصحاب الاموال فشتان بين دين ودين. *

---

(١) القصص : ٧٧ ، (٢) الحجرات : ١٣.
* اعداء الاسلام اليوم يتهمون المسلمين بالتطرف والعنف والارهاب بعد ان كان يتهم الاسلام بالتخدير، وكلا التهمتين باطلة، لكن لاحظ التناقض، وهذا يعني ان المهم لديهم ان يطعنوا في الاسلام **﴿والله غالب على أمره﴾**.

٥ . والاسلام يكافح الظلم بجميع صوره وألوانه ويهدد الراضين بالظلم القاعدين عن مكافحته بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**﴾. (١) وكيف يقال ان الاسلام يخدر الناس وهو يعتبر كل فرد مسؤولاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده...الحديث).

ومن اجل هذا كان اعلم الناس بكتاب الله اسرعهم الى مكافحة الظلم. والاسلام يحارب التخدير النفسي وهو ان يكتفي الانسان بالتمني الفارغ الذي لا يصاحبه عمل منتج.

٦ . الاسلام يضمن حقوق الفقراء في اموال الاغنياء ويضع للحكم وللمال سياسة عادلة فهو لا يخدر المشاعر، ولا يدعو الناس الى ان يتركوا حقوقهم على الارض وينتظروها لتنزل من السماء، واذا اضطرت اوروبا لعزل الدين عن المجتمع فلسنا بمضطرين لمجاراتهم في ذلك، واذا اضطرت الشيوعية ان تعادي الدين (كما صوره رجاله) لتضمن حقوق الطبقات العاملة (كما تزعم) فلسنا كذلك، بل على العكس لن نحفظ حقوق جميع الطبقات الا بالرجوع الى الاسلام، وان ديناً يرتضيه لنا ربنا الذي يلعن الظالمين ليس من طبيعته التخدير للاحاسيس قال عز وجل: ﴿**ورضيت لكم الاسلام ديناً**﴾..(٢)

٧ . الاسلام يأمر بالتكافل والتعاون بين طبقات المجتمع فهو يمنع الترف من جهة الاغنياء، ولا يرضى بالحرمان للفقراء، من جانب آخر، ويحاول التقريب بينهما بالتكافل والتعاون.

٨ . الاسلام لا يطلب من المسلمين ان يزهدوا في الدنيا مرة واحدة، ولا ان يسكنوا المساجد فلا يخرجوا منها، ولا ان يعيشوا في كهوف لا يغادرونها، لا بل ان الاسلام يفرض على المسلمين ان يكونوا في الحضارة الخيرة سادة المتحضرين، وان يكونوا في المال الحلال اغنى الاغنياء، وان يكونوا في العلم اعلم العلماء.

والاسلام في كل شعب من شعوبه كان القوة الدافعة لكل خير وصلاح، فلقد امر بالجهاد لتحرير الانسان من عبودية البشر، وجاء ليحقق كرامة الانسان، وحسبنا في ختام هذا الموضوع ان نذكر:

أ . ان رسالة الاسلام هي التي نقلت معظم امم العالم القديم من فوضى العقائد الوثنية الى ديانة التوحيد الخالص فنقلها من مرحلة التخدير الى مرحلة الاحساس والشعور.

ب . الاسلام كشف القناع امام اعين الناس عما دخل الديانات السماوية القديمة من صنوف التغيير والتحريف والابتداع وصحح كثيراً من الاوضاع الباطلة.

---

(١) النساء : ٩٧ ، (٢) المائدة : ٣.

جـ . الاسلام أحيا الامة العربية واخرجها من جهلها وعزلتها، واصبحت في مركز السيادة والقيادة العالمية، لأنه حرر عقولها بالعلم، وطهرها من الخرافات والجهل والتعصب.

د . ان حضارة الاسلام هي قوام الحضارة الانسانية الحاضرة.

وبعد فهل كلمة (الدين افيون الشعوب) تصدق على الاسلام؟ اللهم لا، الا عند المغرضين المقلدين للاجانب تقليداً اعمى، الذين يحاربون ديننا بهذه الشعارات: (الدين افيون الشعوب) (فصل الدين عن الحياة) يريدون بذلك ان يخلوا الساحة لمبادئهم وافكارهم المضللة وتجاربهم الفاشلة التي هي من صنع اليهود الخبثاء، وعمل الكفار الماكرين، ولن يرضى مسلم عاقل بترك ما رضيه الله له، واتباع ما رضيه اعداء الامة الذين يتربصون بنا الدوائر.

أثـر الاسـلام فـي الحضـارة الانسـانيـة

يعرف بعض الكاتبين الحضارة بانها نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي(١)، وتتألف الحضارة من العناصر الاربعة الرئيسية:

الموارد الاقتصادية، النظم السياسية، التقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون.

ونريد هنا ان نتحدث عن اثر الاسلام في الحضارة الانسانية التي ساهمت فيها كل الامم والشعوب تقريباً بدرجات متفاوتة، ان الفتوحات الاسلامية لم تكن مجرد اعمال عسكرية وانما كان الفتح العسكري يحمل معه المشعل الحضاري ولا تستطيع مدنية من المدنيات ان تدعي انها لم تتأثر بحضارة المسلمين ولذلك يقول احدهم: (ما من ناحية من نواحي تقدم اوروبا الا وللحضارة الاسلامية فيها فضل كبير واثار حاسمة) ويقول آخر (لولا حضارة العرب المسلمين لتأخرت حضارة اوروبا عدة قرون).

وقبل بيان مميزات الحضارة الاسلامية واثرها في الحضارة الانسانية اريد دحض شبهتين لاعداء الاسلام:

الشبهة الاولى : يحاول بعض الناس ان المسلمين كانوا ناقلين لحضارة غيرهم ولم يكونوا مبتكرين والجواب على ذك مايلي:-

١ • ان المسلمين احيوا العلوم القديمة حيث انهم درسوا المدنيات السابقة ورتبوها وزادوا عليها الشيء الهام، انهم نقلوها الى العربية من مصادرها الاصلية ومن كتب كادت تضيع ولولا هم لضاع كثير من الثروة العلمية، وعنهم اتخذت اوروبا تلك العلوم عند اتصالهم بهم اثناء الحروب الصليبية وعن طريق صقلية والاندلس وهكذا كان المسلمون الحلقة التي وصلت بين المدنيات القديمة ونهضة أوروبا الحديثة.

٢ • ان للمسلمين انتاجاً علمياً خاصاً، فالمسلمون لم يكن عملهم حفظ المدنيات القديمة فقط بل قاموا بنهضة علمية رفعت رأسهم عالياً واخذت عنهم أوروبا تلك العلوم فرغم تعصب الغربيين يعترف علماؤهم بفضل المسلمين عليهم يقول احدهم: (ان الكنوز الادبية العظيمة التي اوجدها المسلمون في ذلك العصر ونتاج نبوغهم العلمي واختراعاتهم الثمينة لتنهض دليلاً على نشاطهم الفكري، وتؤيد القائل: بأن المسلمين هم اساتذتنا في كل شيء، اذ انهم زودونا بمواد جليلة القيمة في العصور الوسطى، وباسفار مجيدة، وتركوا لنا صناعة لا مثيل لها، وفناً معمارياً آية في الروعة والجمال، واكتشافات هامة في الفنون والصناعات.

---

(١) الحضارة في اللغة : حياة الحاضرة اي المدينة وهي عكس البداوة التي تعني حياة البادية ، وللحضارة معاني كثيرة عند الناس اليوم كلها ترجع الى المعنى الاصلي لا داعي لذكرها لكن للعقيدة تأثير كبير فيها.

٣ . لا ننكر ان كل امة تنقل عن امة اخرى سابقة او معاصرة لها وتستفيد منها، ولا ننكر ان حضارتنا من سلسلة الحضارات الانسانية، ولكن حضارة الاسلام احدثت الجديد المبتكر في العلوم الطبيعية، وانها لم تقتصر على العلوم الطبيعية فحسب بل كان لها تأثير على الناحية العقائدية والتشريعية والسياسية والاجتماعية.

الشبهة الثانية : تحاول بعض الاتجاهات غير الاسلامية والاستشراقية تعظيم حضارة العرب قبل الاسلام، من أجل ابرازها والتقليل من اثر الاسلام في الحضارة العربية الاسلامية التي ظهرت واضحة بعد الاسلام، وهم بذلك يحاولون نزع الصفة الاسلامية عن هذه الحضارة وجعلها تطوراً طبيعياً للحضارة العربية الجاهلية والجواب على ذلك مايلي:

أولاً : ان أهم ما في الحضارة هو العقيدة التي تقوم عليها، والعقيدة الوثنية التي كان عليها العرب في الجاهلية ما كان لها ان تصبح عقيدة عالمية صالحة لان يدخل فيها البشر كلهم، لأن العقائد التي كانت يومئذ هي عقائد وثنية او شبه وثنية، وليس وثن افضل ولا اقرب الى العقل من وثن، واين هذا من عقيدة التوحيد التي قامت عليها حضارة العرب المسلمين فيما بعد، والتي كانت عالمية أمكنها بالفعل ان تستوعب كل اصناف البشر.

ثانياً : لم تكن للعرب حضارة قبل الاسلام غير صنع التماثيل والاصنام بل بعض هذه التماثيل مستوردة، وان وجدت بعض الحضارات فقد كانت جزئية اندثرت باندثار اصحابها لان الحضارة وليدة الاستقرار ولم يعرف العرب الاستقرار الا بعد ظهور الاسلام.

ثالثاً : ان الحضارة العربية الاسلامية شارك في بنائها كثير من الشعوب الاسلامية، ولولا الاسلام لما عرفنا الخوارزمي والفارابي وأبا حنيفة وسلمان الفارسي وسيبويه والفيروزابادي اصحاب الفضل على لغة العرب نفسها، فهي حضارة عربية من حيث انها كتبت باللغة العربية، وهي حضارة اسلامية من ناحيتين الاولى مشاركة الشعوب الاسلامية في بنائها، والثانية ان المبدأ الذي قامت عليه هو الاسلام.

مميزات الحضارة الاسلامية : تمتاز الحضارة الاسلامية بما يلي:-

١ . انها قامت على اساس الوحدانية المطلقة في العقيدة فهي تنادي بعبادة الاله الواحد الذي لا شريك له في حكمه وملكه، وبذلك ازاحت عن كاهل الانسان كابوس الآلهة الباطلة والوساطة المفروضة بينه وبين ربه، فاصبحت العلاقة بين العبد وربه مباشرة يفرده بالعبادة والتوجه ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ ولذا خلت الحضارة الاسلامية من مظاهر الوثنية في آدابها وفنونها وفلسفتها، فلا تقديس لبشر بل كل رأي وتصرف قابل للمناقشة، ولا تماثيل للاشخاص فالخلود للاعمال لا للاشكال.

وهذا التوحيد في العقيدة يطبع كل الاسس والنظم التي جاءت بها حضارتنا فالباحث يلاحظ الوحدة في الرسالة والتشريع والهدف والتفكير في الحضارة الاسلامية.

٢ • انها انسانية النزعة والهدف عالمية الافق والرسالة، فالقرآن الذي اعلن وحدة النوع الانساني جعل حضارته عقداً تنتظم فيه جميع العبقريات للشعوب والامم التي اجتمعت تحت راية الاسلامية، لذا فالحضارة الاسلامية لم يساهم بها العرب فقط كما ذكرت، بل شعوب مختلفة متعددة تربطهم أقوى الروابط العقيدة الواحدة.

٣ • انها حضارة تقوم على الخلق، لأن الاخلاق فيها ترتبط بالعقيدة مباشرة، فهي ليست اخلاقاً نفعية وصولية، ولذلك التزمت بالاخلاق في الحكم والعلم والتشريع، والحرب والسلم، تشريعاً وتطبيقاً، وتركت في ذلك آثاراً ونماذج تستحق الاعجاب.

٤ • انها تؤمن بالعلم في اصدق اصوله، فقد خاطبت العقل والقلب معاً، واثارت العاطفة والفكر في وقت واحد، فلا مجال للخرافة ولا للجحود والالحاد، فالدين يأمر بالبحث والملاحظة قال الله تعالى: ﴿**فلينظر الانسان مم خلق**﴾. (١) وقال: ﴿**اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء**﴾. (٢) ويأمر بالتحرر من التقليد الاعمى وينعى على الذين يقلدون بلا دليل وعلى الذين يتبعون الظن ولا يقيمون بحثهم على اليقين القاطع. قال الله تعالى: ﴿**ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا**﴾ (٣). وهذه الوجهة التي وجه الإسلام اليها أبناءه كانت المفتاح لهم وللناس من بعدهم الى طريق البحث العلمي الصحيح الذي أدى بالبشرية الى ما تشاهده اليوم من اكتشافات وتقدم صناعي، فلو ظلت الخرافة والظنون والتقليد الاعمى سائدة ما وصلنا الى شيء من ذلك، ولكن الاسلام حطمها ففتح الباب.

وهذا البحث وتلك الملاحظة التي امر بها الاسلام معطرة بندى الروح التي تجعله بحثاً نابضاً بالحياة هادياً الى الايمان بالله لا جاحداً جامداً.

لقد كان الاسلام ولا زال باعثاً للعلم الحق صديقاً له، وكان علماء المسلمين رواد الفكر الحر المستنير لا حجر عثرة في طريق طلاب الحق.

أثر المسلمين في الحضارة الاوروبية:

تمتاز الحضارة الاسلامية بان جوانبها الحضارية واسعة وليست مقتصرة على جانب واحد او على نظريات محصورة وانما اتسعت جوانبها حتى شملت الجانب الاعتقادي والتشريعي والفكري والاجتماعي والعلوم الطبيعية، وان اوروبا لم تتأثر بما اخذته عن المسلمين من علوم

---

(١) الطارق : ٥ ، (٢) الاعراف : ١٨٥ ، (٣) النجم : ٢٨.

طبيعية فحسب بل تأثرت بالتشريع الاسلامي ايضاً. ونريد هنا ان نتحدث عن اثر الاسلام في بعض جوانب الحضارة الاوروبية.

١ . **في مجال العقيدة والدين** . بينا ان العقيدة التي بنيت عليها الحضارة الاسلامية تقوم على وحدانية الله وافراده بالسلطان وتنزيهه عن التجسيم والظلم والنقص... الخ وهذه الافكار التي نادى بها المسلمون الذين انتشروا في مشارق الارض ومغاربها والتي سمعها منهم الوافدون الى ديار الاسلام لمختلف الاسباب كان لها الاثر الواضح في نفوس الشعوب التي كانت يومئذ تعاني من الخصام المذهبي، والخضوع لسلطان رجال الدين على افكارهم وآرائهم وأموالهم وابدانهم، فقام في القرن السابع الميلادي بين الغربيين من ينكر عبادة الصور، ثم قام من بعدهم من ينكر الواسطة بين الله وعباده، ويدعو الى الاستقلال في فهم الكتاب المقدس بعيداً عن سلطان رجال الدين ومراقبتهم، ويؤكد كثير من الباحثين ان مارتن لوثر في حركته الاصلاحية كان متأثراً بما قرأه عن فلاسفة العرب المسلمين من آراء في الدين والعقيدة وهذه الحركات ادت الى انطلاق العقل البشري من سجن الخرافة الى ميادين العلم التجريبي.

٢ . **في ميدان التشريع** . فقد كان لاتصال الطلاب الغربيين بالمدارس الاسلامية في الاندلس وغيرها اثر كبير في نقل مجموعة من الاحكام الفقهية والتشريعية الى لغاتهم، وعندما جاء نابليون الى مصر ترجم اشهر كتب الفقه المالكي الى الفرنسية يقول العلامة سيدو: والمذهب المالكي هو الذي يستوقف نظرنا على الخصائص لما لنا من الصلات بعرب افريقيا، وعهدت الحكومة الفرنسية الى الدكتور بيرون في ان يترجم الى الفرنسية كتاب المختصر في الفقه للخليل بن اسحق بن يعقوب المتوفى سنة ١٤٢٢م.

٣ . **في ميدان العلوم والاخرى** . أبدع المسلمون في مجال العلوم الكونية التالية:-

أ . **الطب** . جمع المسلمون بين طب الامم القديمة واخذوا خلاصته ورتبوا الابحاث التي ترجموها وشرحوها واخترعوا اشياء جديدة منها:

البنج . فهم أول من عرفوه واستعملوه في الطب، وأول من استخدم الكاويات في الجراحة، واستعملوا الماء البارد لوقف النزيف وعالجوا امراض العين، وأول من وصف الحصبة، وفرقوا بينها وبين الجدري، ولقد كان مكتشف الدورة الدموية الصغرى هو ابن النفسي المسلم. انشأوا المستشفيات والتي كانوا يسمونها البيمارستانات، وكانت لهم طريقة لطيفة للتحقق من جودة الهواء وصلاح الموقع عند اختيار مكان المستشفى.فكانوا يعلقون اللحوم في مواضع مختلفة من المدينة في وقت واحد فما اسرع اليه العفن اجتنبوا مكانه، واختاروا المكان الذي تتأخر فيه عوارض الفساد، ولم يحترفوا الطب بل كان الطبيب يجمع مع طب

الفلسفة او الهندسة والرياضيات، كما ان العرب أول من أنشأوا فكرة الصيدلة وكانت تعرف عندهم على شكل دكاكين لجميع الادوية النباتية. وكانوا يسمونها العطارة.

ب . **الكيمياء** . اكتشفوا كثيراً من المركبات الكيميائية التي بنيت عليها الكيمياء الحديثة، فاستحضروا كثيراً من المركبات مثل حامض الكبريتيك، وماء الذهب، وكربونات البوتاسيوم، وكربونات الصوديوم واكتشفوا البوتاس، وروح النشادر، ونترات الفضة، وكانوا يطلقون عليها اسم (حجر جهنم) والكحول والزرنيخ، وهم اول من وصف التقطير والترشيح والتبلور والتصعيد.

جـ . **الرياضيات** . ففي علم الحساب استعملوا النقطة دلالة على الصفر، ووضعوا الكسور العشرية، وتقدموا في بحوث النسبية، وفي الجبر حلوا المعادلات من الدرجة الثانية، وعرفوا ان المعادلات لها جذران وحلوا المعادلات منم الدرجة الثالثة، وهم أول من وضعوا اسس الهندسة التحليلية والهندسة المستوية والمثلثات. فلولا المسلمون لم يعرف الغرب الهندسة وقام المسلمون بتقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية، والمثلث علم عربي ادخلوا عليه المماس وكشفوا العلاقات بين الجيب والمماس والقاطع ونظائرها.

د . **الفلك** . جمع المسلمون معلومات قديمة وصححوا اخطاء اليونان واخترعوا آلات الرصد كالاسطرلاب، وهم أول من استخدم الجيوب والاوتار واخترعوا الندول لقياس الزمن واخترعوا التسلكوب.

هـ . **الجغرافيا** . عرف المسلمون جميع اقطار العالم واكتشفوا الجزر المعروفة الآن، واخترقوا الصحراء الكبرى، ومن اختراعاتهم القيمة البوصلة البحرية والاسطرلاب، وقاسوا محيط الكرة الارضية، وهم اول من عرف اصول الرسم على سطح الكرة، ووضعوا الخرائط وعرفوا اثر الجو في طبائع الناس.

و . **وفي علم الطيران**. فان أول من فكر فيه هو العالم عباس بن فرناس الذي صنع جناحين وطاربهما ولكن وجود خطأ في عمليته نتج عنها سقوطه وتحطمه. اضف الى ذلك فان الحضارة الاوروبية تأثرت بالمسلمين في الاندلس حيث عرفوا فنون الزراعة عندما كانوا يرون المسلمين يمارسونها وايضاً اخذوا عنهم العمران والبناء الحديث حتى انهم اخذوا عنهم النظافة فلم يكونوا يعرفونها.

وهنا كلمة اخيرة لابد منها وهي: هل يمكن ان نقدم الان للحضارة الغربية شيئاً؟

قد يقول قائل ان الغرب قد بلغ الذروة في الحضارة فلم يعد لنا مجال في المساهمة في بناء الحضارة الاوروبية، وهل بقي مجال بعد ان صار الاكتشاف العلمي في عالم السماء وعلى سطح القمر؟ أقول: ان كل حضارة لابد من قيامها على عنصرين: الاول: المادة والثاني: الخلق، ومما

لاشك فيه ان الغربيين قد بلغوا الذروة في حضارتهم المادية ولكنهم اخفقوا في عنصر الاخلاق او الروح الذي يعتبر ضماناً وحفظاً لكل حضارة وان مجالنا اليوم هو ان نتقدم للمشاركة في بناء الحضارة على الخلق الذي يحفظ بقاءها، وكل حضارة تقاس بآثارها التي خلفتها في المجتمعات وهل خلفت حضارة الصاروخ والطائرة غير حربين عالميتين وحرب ثالثة منتظرة؟

فالحضارة الاوروبية لا يوجد فيها عنصر اسعاد البشرية واستقرارها، وانما تقوم على القلق والاضطراب، ومجالنا هو اعادة الهدوء والسعادة لكل الشعوب قاطبة.

ويضاف الى ذلك ان كل حضارة لاحقة تفوق السابقة من الناحية المادية، وهذه سنة من سنين الكون ومما لاشك فيه انهم سبقونا في هذه الناحية، ولكن المادة ليست ميزان التحضر فقد صنعوا المركبة الفضائية على حساب الاخلاق، وصنعوا القنبلة الذرية على حساب أرواح البشر وهل يعتبر ذلك رقياً؟

كما ان التوازن معدوم في الحضارة الاوروبية ومجالنا ايجاد التوازن فيها عن طريق ادخال عنصر الاخلاق ولا يتوهم ان ذلك لا قيمة له فان كل حضارة لا تقوم على الخلق لا تحقق السعادة التي هي غاية كل حضارة.

عناصر التماسك في المجتمع الاسلامي

من اهداف الاسلام بناء مجتمع فاضل يقوم على قواعد متينة، وهو يحرص كل الحرص على تماسك المجتمع ويعتبره كالجسد الواحد، ولا ادل على ذلك من الصورة الرائعة التي يرسمها الحديث النبوي الشريف: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).(١)

ولم يكتف الاسلام بالحث على التماسك، بل نظم المجتمع تنظيماً يكفل له التماسك ووضع لذلك خطة شاملة محكمة، فالمجتمع له حركتان حركة داخلية بين افراده وحركة خارجية مع غيره من المجتمعات، والتفتت يصيبه اما من الحركة الداخلية او من احتكاكه بغيره، ولذا يجب ان يكون البناء الداخلي والخارجي محكماً، وقد وضع الاسلام جملة قواعد تؤدي الى صيانة كل عنصر من العناصر التي يتكون منها المجتمع، وضمن تطبيق هذه القواعد بالايمان والخلق وفي هذه المحاضرة سنعرض ان شاء الله لعناصر التماسك في المجتمع.

ما هو المجتمع ؟

المجتمع هو مجموعة من الناس تعيش في ارض معينة تربطهم مفاهيم ومشاعر معينة وبناء على هذا التعريف ما كل مجموعة من البشر تكون مجتمعاً الا اذا وجدت مفاهيم ومشاعر تربطهم، فاجتماع الناس في السفينة لا يقال عنه مجتمع، وانما هم ركاب، ونقصد بالمفاهيم والمشاعر العقيدة والثقافة المشتركة.

عناصر المجتمع :

من التعريف السابق يتبين ان المجتمع يتكون من العناصر التالية:-

١ – الحكومة . ٢ – الشعب . ٣ – الوطن . ٤ – الثقافة.

ومعنى ذلك ان فساد المجتمع وانحلاله يرجع الى فساد احد هذه العناصر كالدكتاتورية في الحكم وضياع الوطن بالاحتلال وهلاك الشعب بالامراض او الحروب.

كما ان وحدة المجتمع وتماسكه تتعلق بصلاح كل عنصر من عناصر تكوينه وسنعرض التنظيمات والقوانين التي وضعها الاسلام لحفظ كل عنصر من هذه العناصر وصونه من الفساد.

أولاً : الحكومة : وقد حدد الاسلام شكلها وتصرفاتها بالقواعد التالية:

١ . **شخص الحاكم** . ينتخبه أهل الحل والعقد وليس الرعاع، وهكذا انتخب المسلمون خليفتهم

---

(١) متفق عليه.

الاول ابا بكر رضي الله عنه، وبهذا يتولى امر الامة من يرضى عنه عقلاؤها وأهل الشأن فيها، فلا ينازعه احد ممن يستطيع المنازعة لانه نصب برضاهم ومشورتهم وان شق احد عصا الطاعة رده الباقون اليها.

٢ . **الحاكم منفذ لأوامر الله.** مقيد باحكام الشريعة، وليس له ان يتسلط على الناس ولا ان يحكم بهواه قال ابو بكر رضي الله عنه حين تولى الخلافة: (اطيعوني ما اطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم) وهذا قريب منه ما يسمى اليوم بالحكم الدستوري، وبذلك يضمن العدل بين الناس، ومن ثم يضمن عدم التذمر الذي قد يؤدي الى العصيان.

٣ . **الشـورى** . أصل من اصول الحكم قال الله تعالى: **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾**. (١) وقال عز وجل: **﴿وشاورهم في الامر﴾**. (٢) وذلك في الامور التي لم يرد فيها نص شرعي او ورد نص يحتمل عدة معان، وكذا في الامور التي تتعلق بمصالح الامة الطارئة، لأن ولي الامر يدبر لكل الرعية الا لنفسه فقط، ولذا لابد من مشاورة وجهاء الناس ليتحملوا معه المسؤولية، وكم جر الانفراد بالرأي الدمار على الامم، لأن البشر معرضون للخطأ، والعصمة للرسل.

هذه القواعد المتقدمة تتعلق بالحاكم، اما الرعية فتتعلق بهم القواعد التالية:-

أ . السمع والطاعة للحاكم وعدم الاعتراض عليه الا فيما خالف الشريعة صراحة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة)(٣) لان الاعتراض على الحاكم في كل شيء يفسد تدبيره، فقد يظهر ما يبطن من اجل ان يكيد اعداء الامة.

ب . النصيحة واجبة لولاة الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم).(٤) وعلى المسلم ان يقول الحق لا يخاف في الله لومة لائم، لكن على الناصح ان يقصد بنصيحته وجه الله ومصلحة الامة، وان يراعي فيها ما ذكرناه في بحث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا سيما اللطف وعدم التشهير.

جـ . الصبر على الجور قال عليه الصلاة والسلام: (إنكم سترون بعدي اثرة واموراً تنكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله فقال ادوا اليهم حقهم وسلوا الله حقكم)(٥) لان مشاكسة ولي الامر في صغائر الامور يجر من الخسارة على الامة اكثر من تلك الامور، وليس هذا من باب التخدير الذي نفيناه عن الاسلام بل من باب تحمل الضرر الخاص في سبيل الصالح العام.

---

(١) الشورى : ٣٨ ، (٢) آل عمران : ١٥٩ ، (٣) رواه البخاري.

(٤) اخرجه مسلم ، (٥) متفق عليه.

هذه القواعد تتضمن العلاقة المتينة بين الحاكم والامة وهي كما ترى علاقة ايجابية لا مجال فيها لشق عصا الطاعة.

ثانياً : الوطن : وهو في نظر الاسلام كل ارض وصل اليها حكم الاسلام ولا حدود للوطن الاسلامي وما الفوارق والحواجز الا وليدة ظروف طارئة، والاسلام يهتم بالوطن اهتماماً بالغاً لأنه الوعاء الذي تقوم عليه العقيدة والذي يحفظ الامة، ولذا وضع الاسلام تعاليم كثيرة للمحافظة على الوطن وحمايته من التمزق منها:

١ • البلاد الاسلامية تعتبر كلها وحدة واحدة من كل وجه فلا يجوز تمزيقها ولا يجوز ان ينصب فيها اكثر من حاكم.

٢ • الدفاع عنها في حالة العدوان فرض عين على كل افراد الامة بالنفس والمال واللسان وبكل طاقة اخرى.

٣ • الموت في الدفاع عن الوطن شهادة والسهر في حمايته اجر وعبادة.

٤ • الامة الاسلامية مكلفة بالعمل على ازالة الكفر من العالم بالجهاد لتصبح الدنيا كلها واحداً يعبد رباً واحداً لا شريك له.

ثالثا : الشعب : وهو مجموعة الناس الذين يعيشون في الوطن الاسلامي سواء كانوا مسلمين ام لا، وهم الذين يحملون رسالة الاسلام ويحمون ارضه، ووحدة كلمتهم هي التي تعينهم على ذلك وتفرقهم يؤدي بهم الى الفشل والضياع، من اجل هذا وضع الاسلام ترتيبات كثيرة تحول دون تنازعهم وتمزقهم، وخلاصة هذه الترتيبات انه عرف كل شخص بحدوده ونسق له عمله بحيث لا يصطدم مع الآخرين، فاذا ما حصل الاصطدام لاعتقاد كل من الخصوم انه في حدود حقه جاء القضاء العادل النزيه فحكم ورد المخطيء الى حدوده، وهناك رقيب اقوى من القانون وهو الله تعالى الذي تسكن خشيته القلوب فتحول بين المسلم والعدوان، وهذه القواعد المطبقة في هذا المجال.

١ • (الحلال بين، والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس.. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)(١) وبهذا تضبط تصرفات كل انسان بالاحكام الشرعية صغيرها وكبيرها فلا فوضى ولا ارتجال.

٢ • كل عضو يتحرك في دائرة معينة يرسمها له الدين فلا تصادم قال الله تعالى: **﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾**. (٢)

٣ • قال الله عز وجل: **﴿واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل﴾**. (٣) هذه الآية هي شعار القضاة والفقهاء.

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، (٢) البقرة : ٢٢٩ ، (٣) النساء : ٥٨

فالعدل والمساواة واجبان في الاحكام والقضاء، واذا تحققا استقر المجتمع وسلت السخيمة (١) من الصدور.

٤ • المعاملات المدنية والامور العادية منظمة واذا حصل تعارض يرفع الامر الى القاضي ليبين الحق من الباطل.

٥ • في حال الاختلاف في امر يرجع الى كتاب الله وسنة رسوله: قال الله تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول**﴾. (٢)

٦ • يحقق نظام الاسلام حل جميع المشاكل وأهمها الفقر الذي يعالجه بكفالة الدولة والاقارب فلا تبقى بين طبقات المجتمع ضغائن تدفع للتنازع.

٧ • يحمي المجتمع قوتان قوة القانون وقوة الضمير، فالمسلم لا يعادي الشرع ولا يتحايل عليه، خوفاً من الله تعالى.

هذا كله في مجال الاحكام والقوانين ولا تنس السند الاقوى الذي تتركه العبادة في النفس فهي تجعل الخلق امتن، وتشيع المحبة بين الناس، وتعلمهم الاخاء الذي من مقتضياته ان يحب احدهم لاخيه ما يحب لنفسه، فليس المسلم بالطعّان ولا اللعان ولا المغتاب ولا النمام وهذه بعض ثمرات العبادات.

رابعاً : العقائد والثقافة : حرص الاسلام على ترسيخ العقيدة وتوضيحها حتى لا يبقى مجال للاختلاف فيها لأن الخلاف في العقيدة يشتت الامة ويبعثر صفوفها وقد حقق وحدة الامة العقدية بأمرين:

الأول : انه نص على العقائد في القرآن الكريم، وبهذا لا يبقى مجال لزيادة ونقص فيها اذ القرآن محفوظ من التغير والتبديل.

الثاني : ان القرآن الكريم بين الحجج والبراهين التي تثبت صحة هذه العقيدة، ولذلك نرى ان المسلمين لم يختلفوا في توحيد الله ولا في بقية العقائد الاساسية. بل في فروع يمكن السكوت عنها ابقاء على وحدة الامة.

اما بقية فروع الثقافة فان لها محوراً تنطلق منه وتدور حوله، هذا المحور هو الكتاب والسنة فكل ما خالفهما مرفوض وباطل، وهكذا تسير الثقافة في مختلف دروبها يصدق بعضها بعضا وتتعاون جميعاً على ترسيخ العقيدة، واذا اتحدت الثقافة اتحدت القلوب والميول.

ومن الامور النفسية التي اكدها الاسلام ليحافظ على وحدة المجتمع انه جعل الناس يشتركون في محبة الله ورسوله وصالحي الامة.

---

(١) السخيمة : الحقد ، (٢) النساء : ٥٩.

قال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين).(١)

وهذا الحب تنمية الثقافة الاسلامية، كما أن الاسلام جمع الناس على عداوة عدو واحد هو الشيطان، قال الله تعالى: ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير**﴾. (٢)

وبشكل عام: فمن أجل تماسك المجتمع أرسى الاسلام القواعد التالية:-

١ . الوحدة بكل معانيها فريضة قال الله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾.(٣)

٢ . كل من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه قال عليه السلام: (عليكم بالجماعة واياكم والفرقة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين ابعد). (٤)

٣ . كل شقاق تجب معالجته فاذا كان عقائدياً كالردة يستتاب ويناقش صاحبها في شبهته فان اصر قتل، وان كان الشقاق سياسياً يضرب على يد صاحبه قال عليه الصلاة والسلام: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه).(٥)

٤ . القضاء على النزعات العصبية والاقليمية قال عليه الصلاة والسلام: (ليس منا من دعا الى عصبية)(٦)

ويكون حفظ هذه القواعد المذكورة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه يكبح جماح الشقاق.

والخلاصة :

تماسك المجتمع يقوم على:-

الأول : بقاء كتاب الله عز وجل محور توجيه للناس.

الثاني : تنظيم شؤون المجتمع ضمن دوائر لا تتصادم.

الثالث : محاربة الفساد والتفسخ بشتى الوسائل.

هكذا جمع الاسلام الناس على احسن وجه في ادق نظام، بل جمع خطرات القلوب على محبة محبوب واحد هو الله وعداوة عدو واحد هو الشيطان، وقد نجح الاسلام في خطته يوم كان حكماً مطاعاً بين الناس فأخرج للدنيا خير امة اخرجت للناس، وهو قادر على ان يفعل ذلك مرة اخرى ان وجد من يتبع تعاليمه وعسى الله ان يجعلنا من المتبعين.

---

(١) رواه مسلم ، (٢) فاطر : ٦.

(٣) ال عمران : ١٠٣ ، (٤) رواه الترمذي ، (٥) رواه مسلم ، (٦) رواه ابو داوود.

مــن ثمارهـم تعرفونـهـم

الثقافة الاسلامية التي تحدثنا عن جوانب منها في المحاضرات السابقة لم تكن مثلاً خيالية يصعب تطبيقها، بل كانت أسلوباً عملياً للحياة الفاضلة استطاع المسلمون أن يستوعبوها وأن يعملوا بموجبها من التاريخ بل في كل العصور التي عمل فيها المسلمون بالاسلام، فكانوا خير دليل على عظمة الاسلام، وعلى حاجة الناس اليه في كل زمان ومكان، فقد قيل من ثمارهم تعرفونهم.

وقد اخترنا نماذج من تلاميذ الاسلام في المجالين العسكري والمدني في عصور متفاوتة ليكونوا قدوة لنا فننهل من المعين الذي نهلوا منه، وعسى أن يرزقنا الله ما رزقهم من مجد الدنيا وسعادة الآخرة.

شخصيات عسكرية إسلامية

مقدمة :

تاريخ المسلمين زاخر بالمجد، حافل بالبطولات التي سطرها أبطال مؤمنون ملأوا سمع الدنيا وبصرها، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثلهم الاعلى في ذلك فاهتدى بهديه اصحابه، وساروا على سنته، فبرزت منهم أسماء سيظل التاريخ يفخر بها ونظل نحن نفخر بها.

لقد جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وحملوا راية الدين الحنيف ومنذ ان قاموا لم تقم للوثنية قائمة ولم يقف المسلمون في جهادهم حتى بلغوا في الغرب قلب فرنسا وفي الشرق قلب الهند.

ونحن سنعرض هنا نماذج من حياة أولئك الرجال من اجل ان نسير على طريقهم لنبلغ في الدنيا من النصر ما بلغوا ثم نلتقي حول الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصحابه في الآخرة على الحوض وعلى ابدانهم شهادة الدم الذي سفكوه، والجهد الذي بذلوه، والدنيا التي حطموها تحت اقدامهم نصرة لدين الله وتأسيا بجهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١ - خالد بن الوليد (سيف الله المسلول)

لكل تاريخ ابطال، وتاريخ المسلمين حافل بالابطال ومنهم سيف الله المسلول خالد بن الوليد وسوف نتناول الجانب العسكري من شخصيته فنتحدث عن صفاته العسكريه، واسباب انتصاراته، وعن بعض مواقفه في تصريف الامور وحسن تقديره لها.

١ . **صفات خالد العسكرية** : رحم الله خالداً فقد كان جندياً بالفطرة وجندياً في اخلاقه العسكرية وكما يقول المثل كان عسكرياً من فرق رأسه الى قدميه، كان يحب الجهاد والجهاد يحبه ومن صفاته:

أ . **الشجاعة** : فلقد كان مقداماً في جاهليته واسلامه وأول معركة يشترك فيها مع المسلمين هي مؤتة، وكانت تلمح شجاعته في كل حرب فهو الذي يقول في يوم مؤتة: ولقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة اسياف فما بقي في يدي الا صفيحة يمانية.

وكان من اعز امانيه ان يدركه الموت اثناء حروبه مجاهداً في سبيل الله، ولما حضرته الوفاة وعلم ان الشهادة قد فاتته قال متأسفاً عليها: (لقد حضرت مائة معركة وما في جسدي موضع الا وفيه ضربة رمح او طعنة سيف وها انا اموت على فراشي كما يموت العير(١) فلا نامت اعين الجبناء).

ولقد وصفه عمرو بن العاص: في اناة القطاه ووثة الاسد فهو وان كان شجاعاً الا انه لا يهمل الحزم والحيلة.

ب . **الحيلة والدهاء** . هي صفة يعتمد عليها كل قائد عسكري ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام: (الحرب خدعة)(٢)، وتظهر هذه بارزة في شخصية خالد في انقاذ المسلمين يوم مؤتة حيث استلم الراية واحدث تنظيماً في جيشه فجعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمنته ميسرته واثار الغبار من خلفه فقالت الاعداء جاءهم مدد، وهكذا بدهائه الحربي انقذ الجيش الاسلامي من الفناء وحصل على وسام من الرسول علية الصلاة والسلام اذ لقبه: (سيف الله المسلول)(٣)

جـ . **النشاط وقوة التأثير** . كان يستطلع اخبار العدو ولا يتيح له ان يستطلع خبراً من اخباره فكانت اليقظة والجلد عنوان نشاطه، وفي سفره من العراق الى الشام في ثمانية عشر يوماً دليل على جلده وصبره، وكان بالاضافة الى ذلك يؤثر في جنده فهو يخوض المعركة ويدور بين الصفوف قائلاً لجنده(الصبر عز، والفشل عجز، والنصر مع الصبر).

وكان يستعمل الحرب النفسية مع اعدائه فلقد كتب الى هرمز قائد الفرس (جئتك بقوم يحبون

---

(١) العير : الحمار ، (٢) متفق عليه ، (٣) رواه الترمذي.

الموت كما تحبون الحياة) وهكذا كان يذكي العزيمة في نفوس جنده من جانب ويضعف العزيمة في نفوس خصمه من جانب آخر.

د . **رسمه الخطة** . كان خالد حاضر البديهة، سريع الملاحظة يخطط للمعركة مسبقاً وكانت خطته تشمل اختيار الموقع لمنازلة الاعداء كما فعل في اليرموك وغيرها، وتنظيم جيشه في مواقفه ميمنة وميسرة وقلب وطليعة تسبقه ومؤخرة تحمي ظهره وتعدت الخطة الى تنظيم جيشه في حركاته واثناء القتال، ومن اقواله العسكرية المشهورة في التخطيط للحرب: (عقول الرجال على اسنة اقلامهم لا على اسنة رماحهم).

ولنا ان نسأل السؤال التالي:

كيف جمع خالد هذه الامور وكيف حقق الانتصار؟

والجواب باختصار : لقد كان يجمع بين تربيتين: التربية العسكرية، والتربية الاسلامية، قلبه عامر بتقوى الله، وصدره يحوى كتاب الله، ويده التي تحمل السيف متوضئة، وعينه التي يصوب بها على الاعداء تعف عن المحارم، ولقد تلقى علومه العسكرية في مدرسة الابطال مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم التي كانت تتمثل في المسجد الذي فيه يأخذ كل مقاتل درساً في الجهاد والتضحية وآخر في الصبر والثبات وآخر في الخلق والايمان...الخ.

٢ . **اسباب انتصاراته العسكرية** : ترجع انتصارات خالد الى اسباب منها:

الأول : انه كان قائداً محنكاً له تجربة طويلة في الحرب لم تكن لغيره سواء اكانت هذه الحروب صغيرة او كبيرة.

الثاني : المعنوية عالية لانه كان يطير من نصر الى نصر فلم تنكس له راية منذ حمل السلاح فكان مقداماً وشجاعاً.

الثالث : الكفاءة والتمرس على فنون القتال واساليبه الباهرة الى ابعد الحدود.

الرابع : الادارة الناجحة وعدم الزهو والخيلاء.

الخامس : الايمان الذي شحنه بالقوة وعرفه منزلة الشهادة عند الله فأصبح يبحث عنها ويركض وراءها ولا يغلب قائد وجيش (بإذن الله) يتحلى بمثل هذه المعنويات والصفات.

٣ . **حسن تصريف الامور** : ويظهر ذلك في قضية عزله عندما قال: لا اقاتل من اجل عمر ولكن اقاتل من اجل رب عمر، هذه العبارة الآخذة بالقلوب والصاعدة بالنفس البشرية الى درجة الملائكة، والقاتلة للفتنة تفسر لنا كيف كان خالد يقدر الامور ويحسن تدبيرها بضبط النفس ومحافظته على الروح المعنوية وتدل على ضرورة اتساع الصدر. للقادة العسكريين، وكان يعامل الناس بالرأفة والرحمة وكتب اليه عياض بن غنم يستنجده فارسل اليه كتاباً مختصراً تظهر الصفة العسكرية: (من خالد الى عياض اياك اريد).

وأخيراً ، فمن دراستنا لشخصية خالد العسكرية يظهر لنا انه كان يمتاز بناحيتين: التفوق العسكري الذي ظهر في خططه العسكرية واستعملها رومل في حربه مع خصمه، والتفوق المعنوي وهو سلاح الايمان العميق الذي ظهر بالتصميم على النصر او الاستشهاد وعسى ان تكون شخصيته قدوة لنا فنسعى الى تحقيقها في انفسنا، لقد كان يريد نصر دين الله فنصره الله، وقد وعد الله كل من أراد نصره بالنصر.

ولذا عندما روجع عمر رضي الله عنه في عزل خالد قال: خشيت ان يفتن الناس بخالد، يعني انه أراد ان يبين للناس ان الله ينصر خالداً لأن خالداً يريد نصر دين الله، لا لأنه خالد. ولهذا استمرت الانتصارات بعد عزله لأن إخوانه أيضاً كانوا يريدون نصر دين الله.

٢ – أبو عبيدة (أمين الامة)

حديثنا عن أبي عبيدة يتصل بقائد عظيم من عظماء المسلمين:

١ . **موجز حياته :**

أ . أسلم قديماً فكان احد العشرة السابقين إلى الاسلام، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل امة أمين وان أمين هذه الامة أبو عبيدة(١) وشهد له بالايمان، وبشره بالجنة، وكان من أحب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إليه، ففي معركة أحد وقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة فدخلت حلقتا المغفر في وجنتيه الشريفتين، فجاء أبو عبيدة فنزع احدهما باحدى ثنيتيه فسقطت ثنيته، ثم انتزع الثانية بثنيته الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى.

ب . كان على جانب عظيم من الورع والتقوى والاخلاص للعقيدة، وكان معروفاً بسلامة الدين، وقوة الخلق، وكان متفقهاً في الدين ومثالاً حياً للانسان القائد.

جـ . تاريخ جهاده طويل، فقد جاهد لاعلاء كلمة الله، واشترك في سرايا في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، وشهد بدراً وأحداً ومواقع اخرى، وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام اشترك في المعارك الاسلامية وعلى يده كان فتح بلاد الشام.

د . عاش مجاهداً ومات مجاهداً، وهو الصحابي الجليل، والمحدث الفقيه، والمؤمن الصادق، والقوي الامين، والمجاهد الشهيد.

هـ . ولما توفي الرسول عليه الصلاة والسلام اتاه بعض الناس ليبايعوه فقال: (أتأتوني وفيكم ثاني إثنين؟ يريد ابا بكر، مصداقاً للآية الكريمة، فكان لا يكترث بمتاع الدنيا من مال وعقار، فلقد كان رأس ماله السيف والفرس).

٢ . **شخصيته العسكرية :**

أ . لمعت شخصيته وهو صغير، فلقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم على ثلاث سرايا، وكان أبو بكر وعمر من بين جنوده، فنجح أبو عبيدة في قيادته نجاحاً باهراً.

ب . امتاز بالخلق الرفيع، والايمان الراسخ، وسعة الصدر والحلم، وكان من اثر ذلك ان بعض مدن بلاد الشام فتحت صلحاً، وحقن كثير من الدماء.

جـ . كان من شجعان قريش المعدودين، ثبت حين انهزم الناس في أحد ذلك اليوم الذي لم يثبت فيه الا اشجع الشجعان.

---

(١) رواه احمد.

د . كان محباً لجنده، موضع ثقة لهم فأحبوه وقدروه، فلقد كتب إلى عمر لما وقع الطاعون في بلاد الشام وهو فيها: أني من جند المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه، وكان عمر قد كتب إليه يستقدمه الى المدينة المنورة لعله ان ينجو من الطاعون.

هـ . كان يستشير جنده، فقد استشار أصحابه في الحصار على حمص وأخذ برأيهم.

و . كان ينفذ الأوامر العسكرية باخلاص، متبعاً لها بصدق، ففي اليرموك وبعد المعركة بقي في موضعه لا يبرحه حتى أتاه رأي عمر وأمره.

هذه حياة الصحابي القائد الفاتح أبو عبيدة عامر بن الجراح، فمن كان على شاكلته وسيرته فتح الله عليه ما فتح له، وهكذا كان صلاح الدين فكان الفتوح وهكذا سنكون ان شاء الله.

وان مما يشرفنا في هذا البلد الاسلامي ان تضم أرضنا ضريح أبي عبيدة فقبره في غور الأردن مشهور عليه رحمة الله.

٣ - صلاح الدين (قاهر الصليبيين)

يرتبط اسم صلاح الدين باسم القدس فهو قاهر الصليبيين ومنقذ القدس من براثنهم، صنع المنبر الخشبي في حلب ليخطب عليه الجمعة في الاقصى واعطاه الله النصر لأنه صدق الله في نفسه، وفي جهاده.

لقب بالناصر لأن الله نصر به الاسلام والمسلمين وبيض وجوههم ورد غارة الصليبيين عن بيت المقدس، وقد جمع مفاخر ومآثر قلما اجتمعت لغيره بعد عصر الراشدين.

تمرس على القتال وهو صغير وشارك عمه في حملاته الى مصر ضد الفاطميين حتى وصل الى مركز القيادة ووصل الى الحكم والدولة الاسلامية مفككة ضعيفة متفرقة، فكان أول عمل قام به توحيدها وجمع كلمتها في مصر والشام وقابل أعداءه في حطين فضربهم ضربة قاسية دخل على اثرها الى القدس يوم ذكرى الاسراء والمعراج ٢٧ رجب، وهنا ظهرت رحمته ومروءته الاسلامية اذ تسامح البطل وتغاضى عن جميع ما اقترفه أعداءه من أعمال ودخل مظفراً وصلى صلاة الشكر لله تعالى.

جمع التقوى والحنكة العسكرية قال احدهم يصفه في خلوته: انه رأى صلاح الدين في خيمة صغيرة على بساط لطيف وتحته وسادة وبين يديه مصحف وهو مستقبل القبلة والى جانبه سيفه وقوسه وجعبته معلقة في عمود الخيمة.

خلد التاريخ ذكراه ابد الدهر وسجل صفحة ناصعة في تاريخ العروبة والاسلام، وكان رحمه الله مثال الشهامة والنجدة والمرؤة وحسن السياسة والتدبير والورع والتقوى.

امتاز بمهارته العسكرية وادارته الحازمة اذ كون دولة اسلامية متحدة ارهبت الصليبيين، كان كتاب الله في جيبه دائماً ولقد سأله الناس عن سر انتصاره: فأخذ القرآن من جيبه وقال: بهذا القرآن انتصرت جمعت الامة تحت رايته فحللت حلاله وحرمت حرامه فاتانا الله ما آتى القرون الاولى من النصر.

وبعد حروبه ذهب صلاح الدين الذي انهكته الحروب المتوالية الى دمشق ليستريح فحم ومات رحمه الله سنة ٥٨٩هـ - ١١٩٣م وقبره في الجانب الشمالي من مسجد بني امية.

يرجع نسبه إلى أصل كردي ولكنه جندي من جنود الاسلام.

ولقد بلغ حقد الاعداء عليه أن غورو القائد الفرنسي عندما دخل سوريا، ذهب إلى قبره وقال ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين وركله برجله، وما اخس الكلب يعض أسداً ميتاً.

وسيأتي يوم نحرر فيها الارض المقدسة التي فتحها عمر وابو عبيدة واستردها صلاح الدين، وان قلت متى؟ فهو يوم نسير على طريقهم.

٤ – الملك المظفر قطز بن عبدالله (قاهر التتار)

هو أحد سلاطين المماليك، وبطل معركة عين جالوت المشهورة ويلقب بسيف الدين، لما قتل استاذه المعز قام في تولية ولده نور الدين علي فلما سمع بأمر التتار خاف ان تختلف الكلمة لصغر ابن استاذه فعزله ودعا لنفسه وبويع في ذي القعدة سنة ٦٥٧ هجرية.

وقد أرسل هولاكو بعد الاستيلاء على دمشق سفارة الى قطز ومعها كتاب تهديد ووعيد يطلب فيه من المماليك الاعتراف بالولاء للمغول وبسيادتهم على الشام ومصر، وأقدم قطز بدافع من شجاعته وحبه للدفاع عن العالم الاسلامي وكرهه الشديد للمغول على تمزيق الخطاب وقتل سفراء هولاكو، وأخذ يحشد قواه ويستعد لملاقاة المغول، ومما قاله لأمرائه يومئذ: يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت مال المسلمين وأنتم للغزو كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته فان الله مطلع عليه وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين).

فلم يكد ينتهي من كلامه حتى اتفقوا على مهاجمة العدو وصده عن البلاد.

فسار الى التتار وجعل الله على يده نصرة الاسلام، وقد روي عنه انه لما رأى عصائب التتار قال للأمراء والجيوش الذين معه لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفيء الظلال وتهب الرياح ويدعوا لنا الخطباء والناس في صلاتهم، وكان قد خطط لتكون المعركة يوم الجمعة وأمر الخطباء ان يدعوا للمجاهدين على المنابر، وهكذا فعلوا، فكان النصر، ورد الله التتار عن بلاد المسلمين بل عن العالم كله.

وقد كان شجاعاً بطلاً كثير الخير ناصحاً للأمة وكان الناس يحبونه ويدعون له كثيراً، ذكر عنه انه لما كان يوم معركة عين جالوت قتل جواده ولم يجد احداً من المساعدين الذين معه الخيول الاحتياطية فترجل وبقي واقفاً على الأرض ثابتاً والقتال في المعركة على أشده فلما رآه بعض الامراء أعطاه فرسه وحلف عليه ليركبنها فامتنع وقال للأمير ما كنت لأحرم المسلمين نفعك، ثم جيء له بفرس فركب وقد عاتبه بعض اخوانه في ذلك وقال له لم تركب فرس فلان، فلو أن بعض الاعداء رآك لقتلك وهلك الاسلام بسببك فقال: أما أنا فكنت اروح الى الجنة وأما الاسلام فله رب لا يضيعه، قد قتل فلان وفلان من الملوك فاقام الله للاسلام من يحفظه غيرهم ولم يضع الاسلام، ولما هزم التتار وتم له النصر نزل عن فرسه ومرغ وجهه على الارض وقبلها وصلى ركعتين شكراً لله تعالى.

ومن المؤسف انه على الرغم من نجاحه في هذه المعركة الفاصلة المصيرية لم ينج من كيد الطامعين فقد دبروا له مكيدة وقتلوه غدراً وهو عائد الى مصر.

وقد ظل الناس يزورون قبره ويترحمون عليه اعترافاً بفضله الى ان بعث احد خصومـه مـن سوى قبره بالارض واخفاه عن عيون الناس رحمه الله تعالى وجزاه عن هذه الامة خيراً.

ومن الجدير بالذكر أن نسبه يرجع الى أصل شركسي، وهكذا يحمي الله الاسلام بكل ابناء المسلمين فهم اخوة في الدين وشركاء في تحمل المسؤولية.

٥ – محمد الثاني (فاتح القسطنطينية)

هو أحد خلفاء الدولة العثمانية، ويعد شخصية عسكرية فذة في تاريخ العثمانيين ومن أهم اعماله:

١ . **فتح القسطنطينية** : وكان في عام ١٤٥٣م، توجه اليها بجيشه ولكن حصونها كانت قوية واستطاعت المدينة ان تثبت ما يقارب شهرين في وجه العثمانيين المشاة ولم يستطيعوا شق طريقهم الى المدينة الا بهجوم مباشر، وصرع امبراطور بيزنطه في القتال الذي دار في الشوارع وقام محمد باصدار امره الى جيشه بوقف المجزرة، ومنح محمد الفاتح من التزموا الحياد اثناء الحصار شروطاً للصلح ملائمة، كان منها: ضمان حرية العيش والتملك لقاء تسليمهم اسلحتهم جميعاً، كما ضمن لهم حرية التجارة مقابل ادائهم الضرائب، وقد قام باصلاح المدينة فأمر ببناء حصونها من جديد ليجعلها عاصمة له، ومقراً، فتدفق المسلمون من آسيا الى العاصمة الجديدة وهكذا اصبحت استانبول المركز السياسي والفكري الاول في العالم الاسلامي.

٢ . **بناء مسجده المشهور وملحقاته الهامة:** كان محمد الفاتح يهتم بالناحية الدينية فكان يرى ان واجبه كحاكم هو تشييد مسجد فأمر ببناء مسجد رسمي سمي باسمه (جامع السلطان محمد الفاتح)، وكان البناء حديثاً تحفه مئذنتان ترتفعان فوق الجامع بالاضافة الى بناء ملحقاته من المدارس والحمامات، واضاف اليه شيئاً جديداً وهو جعل قسم من البناء بيتاً ينزله التجار الغرباء فيطعمون وينامون، وجعل داراً للعجزة والمستشفى وكتب على الباب الرئيسي للمسجد هذا الحديث النبوي الشريف الذي تحقق بعد: (لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش).(١)

وبالاضافة الى بناء المسجد عمل المدارس ودور الكتب والمستشفيات وحصن المدينة وبناها على تخطيط حديث وانشأ الاسوار المحيطة بها.

٣ . **الاهتمام بالشؤون العسكرية والعمرانية ومنها:**

أ . قام بانشاء احواض لبناء السفن ودور صناعة اي مخازن للسلاح في الميناء.

ب . قام ببناء قصر له وجعله مقراً لوزير الحرب.

جـ . توسيع سلطة الدولة. اذ قام باخضاع بلاد الصرب التي كانت تهدد دولته وكان يخوض كل حرب بنفسه واقام القلاع والحصون.

---

(١) رواه احمد.

د . جمع بين الامور الفكرية والثقافية والعسكرية وناصر العلوم الاسلامية.

وكلمة أخيرة . فما الذي جعل هذه الشخصية فاتحة وتعرف بهذه الشجاعة. انه الايمان الذي يصنع العجائب، وانها الهمة الكبيرة النابعة من الايمان، وانها البطولة والشجاعة التي وضعها الرسول عليه الصلاة والسلام في قلب كل قائد عسكري فورثها عنه قادة من بعده أمثال محمد الفاتح.

نماذج من السلف الصالح

مقدمـــة :

في تاريخنا الاسلامي نماذج كثيرة من السلف الصالح وقفوا حياتهم على الجهاد، لم يلههم عرض الدنيا الزائل عن طلب الخلود في جنات النعيم والرضوان.

نعرض بعضها لتكون سيرهم نماذج نقتدي بها، وهذه النماذج لم تكن سيرها مقتصرة على الصلاح والتقوى بل كان احدهم الرجل الصالح، والرجل العالم، والرجل العابد، والرجل المجاهد، والخليفة الناجح الحازم.

ان صلاحهم لم يمنعهم من ان يشاركوا في البناء والتعمير وان سر نجاحهم في ذلك ثباتهم على العقيدة فنشروا الدين الحنيف جزاهم الله عنها خير الجزاء.

١ - أبو بكر (خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ولد ابو بكر بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين ومات عام ١٣ هـ وله ثلاث وستون سنة، وسيرة ابي بكر افضل سيرة بعد سير المرسلين، ولقد كان الرجل الصالح والرجل العابد، والرجل المجاهد، والخليفة الناجح الحازم.

* كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه وأول من آمن به من الرجال. لم يفارق الرسول عليه الصلاة والسلام سفراً ولا حضراً وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في الله ورسوله، وهذه نبذة من مآثره وفضائله.
* كان رحيماً بأمته قال فيه عليه الصلاة والسلام: (ارحم امتي بأمتي ابو بكر).(١)
* كان شديد الخوف من ربه فكان يصوم الصيف ويفطر الشتاء.

وقال فيه عليه الصلاة والسلام: (أبو بكر في الجنة)(٢) وقال عمر في ايمانه: (ولو وزن ايمان ابي بكر بإيمان أهل الارض لرجح بهم). ولم يشرب خمراً في جاهليته ولم يسجد لصنم قط قبل الاسلام.

* كان متواضعاً وهو خليفة المسلمين فكان اذا سقط خطام ناقته ينزل ليأخذه فيقال له لو أمرتنا ان نناولكه فيقول: امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نسأل الناس شيئاً، وكان محباً لجنده متواضعاً لهم، ومن ذلك أنه سار يودع اسامة عندما خرج بجيشه الى الشام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسامة راكباً وابو بكر الخليفة راجلاً فاستحى اسامه ان يركب وهو شاب وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وهو شيخ فقال: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن فأقسم الخليفة: والله لا تنزل والله لا اركب وما علي ان أغبر قدمي في سبيل الله ساعة؟
* جاهد بماله ونفسه حين شرع الجهاد حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فلما سمع ابو بكر هذا منه بكى وقال وهل انا ومالي يا رسول الله الا لك؟(٣)
* ايد الاسلام بنفسه وحمى رسول الله من كفار قريش، وجهز له زاد الهجرة وانفق في غزوة العسرة وانفق من ماله في تحرير الارقاء وكان يحفظ القرآن ويخطب الناس ويعضهم.
* كان سباقاً لكل خير وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال: امر نا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق فوافق ذلك مالا عندي قلت اليوم اسبق ابا بكر ان سبقته يوماً،

---

(١) رواه احمد ، (٢) رواه ابو داود ، (٣) رواه الترمذي.

فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله واتى ابو بكر ما عنده فقال يا ابا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه في شيء أبدا.(١)

* كان حازماً وظهر حزمه وعزمه في حروب الردة حيث قال والله لو منعوني عقالا كانوا يودونه لرسول الله لقاتلتهم عليه فضرب بذلك مثلا في الشجاعة والقوة وكذلك يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذهل الناس وثبت ابو بكر.
* كان عادلاً ويسهر على مصالح رعيته وهو الذي قال لهم اطيعوني ما اطعت الله فان عصيت الله فلا طاعة لي عليكم وهو الذي قال القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له.

(١) رواه الترمذي.

٢ - عمر بن عبدالعزيز (الخليفة الراشد)

عمر بن عبدالعزيز الخليفة الصالح الراشد. ثاني عمر بن الخطاب في الاسم والسيرة وهو جده لامه، ولد عمر بحلوان من قرى مصر جمع القرآن وهو صغير وبعثه أبوه الى المدينة يتأدب بها، وكان قبل الخلافة على قدم الصلاح قال بعضهم عنه: ما صليت وراء امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى وكان يومئذ أميراً على المدينة.

تولى الخلافة فأدى الامانة وبلغ الغاية وهو قدوة الملوك والامراء الى يوم القيامة في الورع والزهد والعدل، وعندما تولى الخلافة قال: انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام لست بمبتدع ولكني متبع.

كان يفكر في المسؤولية في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود والمظلوم المقهور والغريب الاسير، وكان رضي الله عنه يجمع كل ليلة الفقهاء يتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين ايديهم جنازة، كان ورعاً زاهداً فاكتفى من الحياة بخشونة العيش وخشونة المطعم والملبس، كان مثلا في العدل والانصاف فاعاد سيرة الخلفاء الراشدين حتى اطلق عليه خامس الخلفاء الراشدين ضرب مثلا في التواضع فلقد قام بنفسه يصلح السراج فقال بعض الحاضرين هلا امرتني؟ قال: قمت وانا عمر بن عبدالعزيز ورجعت وانا عمر بن عبدالعزيز.

ولقد كان من الفقهاء والمحدثين في المدينة جمع بين الفقه والسياسة، فاتسعت البلاد في عصره وعم العدل والرخاء، وانتهت الفتنة اذ لم يجد الخوارج سبباً يدعوهم للخروج عليه ويعتبر عصره العصر الذهبي لبني امية فكان له كثير من الاصلاحات العمرانية والزراعية وقد فاضت خزينة الدولة في عهده حتى لم يوجد فقير يأخذ الزكاة مع انه ابطل كثيراً من الضرائب الظالمة، لكنه لم يعط الا بحق.

جاء في عدله وانصافه: انه كان يسرج الشمعة ما كان في حوائج المسلمين فاذا فرغ من حوائجهم اطفأها ثم اسرج عليه سراجه.

ويروى عنه انه اشتهى تفاحاً فاهدى له رجل من اهل بيته تفاحاً فقال ما اطيب ريحه واحسنه، ارفعه يا غلام (للذي اتى به) فقيل يا امير المؤمنين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية فقال عمر: ويحك ان الهدية كانت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية وهي اليوم لنا رشوة.

٣ - هارون الرشيد (قاهر الروم)

شخصية هارون الرشيد شخصية فذة حاول تشويهها وتغيير واقعها في التاريخ اعداء هذه الامة مستغلين ما عرف به عصره من ترف وغنى صاحب التقدم والحضارة فاظهروه على غير حقيقته، وصوروه للناس فاسقاً عربيداً يعكف على الخمرة والمحرمات ويتهالك على النساء مستندين في ذلك الى كتاب عرف بتزوير كثير من الحقائق التاريخية وهو كتاب (الاغاني) الذي يهتم بالطرفة والنكتة دون ان يهتم بالحقيقة التاريخية.

وتلقف ذلك اعداء التاريخ وحاولوا الكتابة فيه فوصل الامر بهم الى ان يجزموا بأن هارون كان زير نساء، وهذا كله تشكيك في عظماء المسلمين ثأراً منهم بعد موتهم لانهم ارغموا انوف الاعداء اكثر من مرة فلنعرف حقيقة هارون الرشيد من التاريخ.

حكمه ودولته . اتسعت دولته فكانت على اقصى ما يكون في الاتساع ويصور لنا ذلك قوله للسحابة (اينما تمطري فسيأتيني خراجك)، ولقد وصل التفوق لدولته الى منتهاه فحطم بيزنطه، ووصل التقدم الحضاري والثقافي الى غايته فبنيت المدارس وكثرت دور العلم ودور الترجمة والنسخ، واطلع العرب في عهده على اكثر ما هو موجود آنذاك من التراث القديم.

كانت حياته جهاداً وفتوحاً وكان يشارك بنفسه في الجهاد ولا ادل على ذلك من انه مات في الغزو بطوس ودفن فيها، ومن المواقف التي ترفع الرأس عالياً قصته مع ملك الروم نيقفور الذي نقض الهدنة وخلاصتها (ان ريني ملكة الروم كانت تدفع الجزية لهارون ولما تولى نيقفور الملك كتب الى هارون الرشيد:

من نيقفور ملك الروم - الى هارون ملك العرب:

اما بعد فان الملكة السابقة اقامتك مقام الرخ(١) واقامت نفسها مقام البيدق(١) فحملت اليك اموالها احمالا وذلك لضعف النساء فاردد ما حصل قبلك والا فالسيف بيننا وبينك. ولما قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضباً حتى لم يتمكن احد ان ينظر الى وجهه فضلا عن ان يخاطبه ثم كتب على ظهر كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم - من هارون أمير المؤمنين الى نيقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه لا ما تسمعه.

ثم سار ليومه حتى بلغ الحدود وطلب نيقفور الموادعة فأجابه، وكانت الجزية ديناراً ، ولما رجع هارون وجيشه نقض نيقفور العهد فرجع الجيش اليه مرة ثانية وضاعف الجزية، هذه

---

(١) أسماء بعض احجار الشطرنج.

مواقف هارون الرشيد كوت قلوب الاعداء والتي يخجلون من ذكرها لأن في ذكرها ذلاً لهم فيتلمسون سقطات مختلقة لو كانت حقيقة لما كانت غريبة لان الكمال لله ولا بد من هفوات، والحكم على الشخص انما هو بغالب اعماله لا ببعضها واقلها سيما اذا كانت مفتراة، لقد نسوا او تناسوا ان هارون كان يحج عاماً ويغزو عاماً فصوروه عربيداً مغرماً بالنساء هائماً في الخمر ولكنهم لن يستطيعوا ان يخفوا الوجه الآخر وجه البطولة والعبادة الذي يثبته التاريخ الصحيح.

شخصية هارون الرشيد

١ • كان اماماً ملكاً حازماً ساهراً على شؤون رعيته، شجاعاً نقياً لقن الروم درساً في القتال كما لقنهم درساً في كرم الاخلاق والتفوق العلمي اهداهم الهدايا العجيبة لديهم.

٢ • كان يحج عاماً ويغزو عاماً وحج مرة حافياً ولو لم يكن له الا **هذا العمل لكفى وهذا لا ينكره** حتى الاعداء وكان من عادته اذا حج حج معه مائة من الفقهاء على نفقته.

٣ • كان شديد التمسك بالدين فكان يكره الجدل والمراء فيه وكان خطيباً يخطب الناس الجمعة يعظهم ويرشدهم.

٤ • اجمع الرواة والمؤرخون على انه كان اكثر الخلفاء **العباسيين حياء** واخشعهم قلباً واغزرهم دمعاً وكثيراً ما كان يذهب الى الواعظ الزاهد فيطلب منه الموعظة فيخشع قلبه ويسيل دمعه حتى يخشى عليه مرافقوه من الموت فيطلبون من الواعظ ان يكف ويطلب هو ان يزيده.

٥ • كان شجاعاً يحب الشجاعة ويغرم بادوات القتال ويتمثل ذلك في انه جعل متحفاً حربياً للسيوف ضم فيها (ذا الفقار)(١) و (الصمصامة)(٢).

٦ • كان يتصف بالتواضع فلقد كان يصب الماء على الضرير العالم وكان يحب العلم والعلماء ويكرمهم، هذه حقائق عن هارون الرشيد واليك ما قاله المؤرخون الذين تعتمد اقوالهم كالطبري وابن خلدون عن هارون.

* قال الطبري : غزا الروم سبع غزوات وجهز عشرين حملة لجهادهم في البر والبحر.
* قال ابن خلكان : حج في خلافته تسع حجج وكان يصلي في اليوم مائة ركعة.
* قال ابن خلدون : يجتنب المنكر ويبتعد عن الحرام ويتمتع بما أحل الله له.

---

(١) اسم سيف من أسياف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) سيف عمرو بن معد يكرب.

٤ - الامام الغزالي (حجة الاسلام)

١ . **موجز حياته** . هو ابو حامد الغزالي الملقب بحجة الاسلام، ولد عام ٤٥٠هـ بطوس ودرس على علماء بلده وعلى امام الحرمين (الجويني) فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن ودرس اللغة العربية والحساب والنحو والفقه، رحل من طوس الى نيسابور وسافر الى بغداد ثم ذهب الى مكة حاجاً وعاش في دمشق وزار بيت المقدس وذهب الى الاسكندرية ثم رجع الى مقره طوس حيث دفن فيها، ولقد اشتغل في حقل التدريس في المدرسة النظامية ببغداد التي كانت اشبه بجامعات اليوم فكان رئيساً لهذه المدرسة ثم اعتزل التدريس وخرج في طلب السعادة واليقين فعكف على العبادة والتربية.

ولد الغزالي من أب فقير وكان يعمل بنفسه ويأكل من عمل يده بالرغم مما وصل اليه من المكانة العلمية، توفي رحمه الله في طوس عام ٥٠٥هـ.

٢ . **شخصيته** . الغزالي من ابرز الشخصيات في تاريخ الفكر الاسلامي بل والعالمي واعظمها اثرا في حياة المسلمين العقلية والسلوكية على حد سواء. ترك الدنيا وراء ظهره واقبل على الله يعامله في سره وجهره، وطمع في سعادة الآخرة وجعل طريق السعادة هي التقوى وكف النفس عن الهوى وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله فكان امام الصوفيين، ولقد كان اماماً في كل فن دخله، فكان اماما في الفقه نبغ على اقرانه، واماماً في الفلسفة وشيخاً من شيوخ الصوفية ولقد تصدى لمقارعة كثير من الفرق الباطنية والزنادقة وكان عارفاً بالله عرف خواطر النفوس والقلوب فوصف لها العلاج في كتابه (احياء علوم الدين).

٣ . **اثر الامام الغزالي** . لقد اثر الامام الغزالي في عقول المسلمين وسلوكهم ونلخص اثره فيمايلي:

أ . كان عاملاً على ارجاع المسلمين عن التعاليم المجردة التي لا مغزى ولا معنى لها من الفلسفات المستوردة الى اتصال قوي مع الكتاب والحديث.

ب . كثر في عصره الترف والانغماس في الدنيا، وقل الخوف من الآخرة في قلوب الناس فادخل خوف الله والآخرة في قلوبهم مرة ثانية بعلمه وسلوكه.

كانت الصوفية موجودة قبل الامام الغزالي فقام الغزالي فعزز مكان الصوفية ونقاها من شوائبها حتى صارت ذات مكانة عالية بين عموم الناس، بعد ان دعمها بالادلة الشرعية واوضح حججها وبراهينها ولا يزال كتابه احياء علوم الدين عمدة اهل التصوف.

جـ . حلل الفلسفة حتى جعلها قريبة من العقول العادية ثم بين خطرها ومبادءها الاساسية ثم اظهر بشكل واضح التوافق بين الفلسفة الحقة ومبادىء الاسلام.

٤ . **آثاره العلمية** . امتاز الغزالي بانه كتب في مواضيع مختلفة وقد عد الباحثون من كتب الغزالي حوالي ثلاثماية كتاب وكان حديثه يخرج من اعماق نفسه فكان كلامه عذباً كالسيل يتدفق في حديثه فكان اعجوبة زمانه وأهم آثاره:

أ . احياء علوم الدين وهو من خيار كتب التصوف.

ب . مقاصد الفلاسفة الذي أقر له الفلاسفة بعد كتابته انه احد فلاسفة عصره.

جـ . تهافت الفلاسفة وهو الكتاب الذي الفه بعد المقاصد ليدحض فيه بعض الافكار الفلسفية الخاطئة.

د . الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة يتحدث فيه عما يشعر الانسان به حين الموت وما يصير اليه بعده وعن احوال الجنة والنار.. الخ.

هـ . البسيط والوسيط والوجيز في الفقه الشافعي وهي كتب تعد مرجعاً في فقه الشافعية.

و . المستصفى في علوم الاصول.

ز . له رسائل وكتب موجزة كثيرة في مواضيع مختلفة.

من بعض اقواله :

قال رحمه الله : لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث : صفاء القلب اعني طهارته من ادناس الدنيا، وانسه بذكر الله، وحبه لله.

وقال : الاستغراق في الضحك، والحدة في الحركة، من آثار البطر والغفلة.

وقال رحمه الله : السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة كلها في ان تملكه نفسه، والبطن والفرج باب من ابواب النار: واصله الشبع.

والدنيا مزرعة الآخرة وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين. أي أقلهما شأناً. والمنزلتان هما هذه الحياة والحياة الأخروية.

٥ - العز بن عبدالسلام (سلطان العلماء)

هو عز الدين بن عبدالسلام ويلقب بسلطان العلماء عالم من علماء دمشق، وقاض من قضاتها وخطيب من خطباء الجامع الاموي، لم يكن من اسرة كبيرة ولا من بيت علم ولم يقبل على الدراسة في مطلع شبابه ولكنه طلب العلم على كبر فاقبل على العلم بهمة ليس لها مثيل، يسهر ليله كله في العلم فلم تمر عشر سنين حتى صار احد افذاذ العلماء واعلام الدنيا. وكان شيخاً مفكراً وفقيهاً مهاباً يحبه الشعب ويطيعه، شيخ كانت له مواقف انقذ الله بها الحضارة وحفظ الاسلام وحول مجرى التاريخ.

ولي الخطابة في الجامع الأموي مع القضاء فاصلح البلاد وابطل بدعا كثيرة، وكان يحضر خطبته الملوك والامراء ويجلونه، غيرّ المنكر وصدع بالحق على المنبر ولم يقف عند كلمة (اللهم ان هذا منكر لا ارضى به ولا اقدر على ازالته)، وقد حبس وعذب لانه كان يقول الحق، وله وقائع مع المماليك نسمعها اليوم فنراها من باب الخيال، فبسبب فتواه بيع المماليك ثم اعتقوا وبويعوا بالسلطنة وكان من بركة استجابتهم للشرع الاسلامي ان نصرهم الله تعالى على الشر الداهم جيوش التتار في عين جالوت.

وهو الشيخ الذي ايقظ الناس في مصر وجمع الامراء وحثهم على الجهاد ومقاتلة التتار، وشحن الايمان في نفوس الجند وبث روح الجهاد وحببهم في الاستشهاد والدفاع عن الحضارة والاسلام، وكان معه أبو الحسن الشاذلي فتقدما الجيش، يوقظان الهمم ويحثان على الجهاد بالمال والنفس، وقد اصدر فتوى لقطز اجاز له فيها الاخذ من اموال الشعب لأجل تجهيز الجيش لكن بشرط ان تكون خزائن الدولة عاجزة عن ذلك واصدر فتوى ثانية بوجوب الانضمام الى جيش قطز للدفاع عن بلاد الشام.

والتقى الجيش الاسلامي بالجيش الغازي في عين جالوت وكان ان انهزم التتار وضمت معركة عين جالوت الى سلسلة المعارك المقدسة التي خاضها المسلمون دفاعاً عن الحق والخير والعدل: كبدر، والقادسية، واليرموك، وجبل طارق، وحطين. ويمكن تلخيص مظاهر عظمته في هذه النواحي الثلاث:

١ • جرأته في الحق وشدته على المبطلين واخلاصه النصح لله ولرسوله وللمسلمين اخلاصا اورده المهالك، ولكنه كان في نفسه اعظم من ان يستحضر الخوف من المهالك ولقد صور نفسه على حقيقتها عندما اخبره ابنه بالتهديد بالقتل فقال له: (يا بني ان اباك احقر من ان يقتل في سبيل الله...) انه يرى الشهادة درجة عالية لا ينالها الا منْ له عمل صالح يرفعه الى تلك الرتبة.

٢ . جهاده في سبيل الله وتحريضه الناس على قتال التتار وخوض المعارك على كبر سنه.

٣ . غوصه العظيم على اسرار الشريعة واحاطته بمقاصدها، فلقد كان اماماً في الفقه والفكر وقائداً مخلصاً للمجتمع وله في ذلك كتاب مشهور اسمه (قواعد الاحكام في مصالح الانام).

هذه هي حياة عالم وشيخ جليل كان يعيش في دنيا من عقيدته وايمانه دعا الى الجهاد وخاف الله واخلص في عمله لله ومن خاف الله، خافه كل شيء، وهذا ما حدث له.

ملاحظـــة :

اشترك في كتابـة هذه المحـاضرات سـماحة الدكتـور الشـيخ نـوح علـي سلمان والعميد الدكتور الشيخ سامي الصالح وقد أشرنا في الفهرس الـى ما كتبه الاول بحرف (ن) ولما كتبه الثاني بحرف (س).

الفهـــــرس

المطابع العسكرية